تراثنا

ديوان

ابن شهيد الأندلسي

(٣٨٢ - ٤٢٦ هـ)

جمعه وحققه

يعقوب زكى

راجعه

الدكتور محمود على مكى

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

هذا البحث نتاج أعوام أربعة فى محاولة لسد حاجة كانت تفتقر اليها الدراسات الأندلسية ، وما يجرى منذ أكثر من قرن من الزمان من استرداد شتات الثقافة الأندلسية هو ما جعلنى أشعر بشدة الحاجة الى ديوان ابن شهيد ، وأبدى العلماء فى أسبانيا ومصر اهتماما بالغا بهذا البحث أثناء اعداده .

ولقد يكون عقوقا منى ألا أسجل هنا تقديرى العميق لما طوق به عنقى كثير من العلماء الباحثين من فضل ، وأنا أقدم الشكر أولا للدكتور « لويس سيكو دى لوثينا » أستاذ اللغة العربية بجامعة غرناطة من أجل مساعدته فى الدكتوراه وأيضاً للدكتور « محمد قدال » المدرس بجامعة الاسكندرية الذى أخذ على عاتقه أن يقوم بترجمة المقدمة . وأما الدكتور « عبد القادر القط » أستاذ الأدب العربى بجامعة عين شمس ، الذى أشرف على بحثى فى القاهرة ، فاننى مدين له بكثير مما لا يمكننى تفصيله فى هذه العجالة ، فلولا عونه لما وجد هذا المؤلف طريقه الى النور . وأقدم شكرى أيضا الى الدكتور « محمود مكى » بمعهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، فقد أشرف على بحثى هذا فى مراحله الأولى . وأزجى الشكر أيضا الى الدكتور « شوقى ضيف » أستاذ الأدب العربى بجامعة القاهرة ، فقد ضمنت بحثى عدة نقاط ثمينة تفضّل بها علىّ . والى الأستاذ « محمد خضر » الذى ساعدنى فى فهم النصوص والى الأستاذين «محمد فهمى» و « عبد الوهاب أبو النور » اللذين ساعدانى أيضا . وأما الأستاذ « فـؤاد السيد » أمين المخطوطات بدار الكتب بالقاهرة رحمه الله ، فان دينى له يعجز عنه البيان ، ولا شك ان اسمه هنا ينوب عن هؤلاء الموظفين فى الدار الذين أبدوا كثيراً من الغيرة على مساعدة غريب فى بلادهم .

المقدمة

حياة ابن شهيد

(١)

(٣٨٣ - ٣٩٩ / ٩٩٢ - ١٠٠٨ م)

هو أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد ابن شهيد بن عيسى بن الوضاح الأشجعي، وقد سمى «أحمد» على اسم جده ، وكنيته أبو عامر[١] . وقد دخلت أسرته التاريخ أول مرة حينما قاتل جده الوضاح بن رزاح في معركة مرج راهط عام ٦٤هـ (٦٤٨) في صف الضحاك بن قيس الفهري ضد الأمويين ومؤيديهم من بني كلب[٢] . وكان الوضاح هذا هو الجد الأكبر للأسرة التي تحمل هذا الاسم ممن يقطنون مرسية[٣] . وكان من قبيلة أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر[٣] . وقد وقع الوضاح في تلك المعركة أسيرا في يد مروان بن الحكم[٤] ، مؤسس الفرع المرواني من الأسرة الأموية ، التي قدر لذرية الوضاح من بعده أن تخدمها باخلاص شديد . وابن شهيد نفسه يشير الى أصله هذا في قصيدته (رقم ٣)[٥] :

مِن شُهَيْدٍ في سِرِّهَا ثُمَّ مِن أَشْـ ـجَعَ في السِّرِّ مِن لُبابِ اللُّبابِ

ولقد كانت أسرة ابن شهيد أسرة شامية لاجئة استقرت في أسبانيا في حكم عبد الرحمن الأول (١٣٨ - ١٧٢ / ٧٥٦ - ٧٨٨) حين وجد شهيد بن عيسى أحد

---

(١) ابن دحية : المطرب ص ١٦٠ ، ابن خلكان : الوفيات ج ١ ص ٩٨ .

(٢) الضبي : البغية ص ١٧٨ - ١٧٩ ، ابن الأبار : الحلة ج ١ ص ٣٨ .

(٣) الضبي : البغية ص ١٧٩ . وعن نسب بني أشجع انظر ابن حزم : الجمهرة ص ٢٣٨ .

(٤) الضبي : البغية ص ١٧٩ .

(٥) الذخيرة ، قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢١ .

حفدة الوضاح (وكان هو نفسه شاعرا [١]) من الحكمة أن يهرب من حكم العباسيين [٢] . وكان من حظه أن ارتقى الى مرتبة من الغنى والنفوذ ، وتولى بعض المناصب العامة مرات عدة ، ولقد عين عبد الرحمن الناصر الثالث[٣] جد شاعرنا الأكبر واسمه عبد الملك وزيرا عام ٣١٧ (٩٣٩) ، وكان من حظ ابنه أحمد أن خلع عليه عبد الرحمن الناصر لقب « ذى الوزارتين » وكانت هذه أول مرة يستخدم فيها هذا اللقب فى اسبانيا[٤] ، ولم يكن من حظ أى فرد آخر من أفراد الأسرة أن يحظى بمثل هذا اللقب . وخلع هذا اللقب ، مع لقب « الحاجب » على المنصور . ويبدو أن « ذا الوزارتين » هذا قد جمع لنفسه ثروة خيالية ، وذلك واضح مما كتبه كل من ابن خلدون[٥] والمقرى[٦] ناقلين عن ابن حيان وابن الفرضى بهذا الترتيب ، عن ظروف خلع هذا اللقب عليه :

« خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين وأربعمائة رطل من التبر ومصارفه خمسة وأربعون ألف دينار ، ومن سبائك الفضة مائتا بدرة ، واثنا عشر رطلا من العود الهندى يختم عليه كالشمع ، مائة وثمانون رطلا من العود النقى الحر ، ومائة رطل من العود شبه المنقى ، ومائة أوقية من المسك الذكي المفضل في جنسه ، وخمسمائة أوقية من العنبر الأشهب المفضل فى جنسه على خليقته من غير صناعة ، ومنها قطعة ململمة عجيبة الشكل وزن مائة أوقية ، وثلثمائة أوقية من الكافور المترفع الذكاء ، ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المخمل المرقوم بالذهب للباس الخلفاء مختلفة الألوان والصنائع ، وعشرة أفـرية من غالى جلود الفنـك الخراسانية ، وستة من السرادقات العراقية ، وثمانية وأربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب ، وثلاثون شقة من الفربون من الملاحف لسروج الهبات ، وعشرة قناطير من السمور فيها مائة جلد ، وأربعة آلاف من الحرير المغزول ، وألف رطل من الحرير المنتقى للاستغزال ، وثلاثون بساطا من الصوف ، مختلفة الصناعات طول كل بساط منها عشرون ذراعا منتقاة مختلفة الألوان ، ومائة قطعة مصليات من وجوه الفرش المختلفة ، وخمسة عشر من نخاخ الخز المقطوع شطرها ، ومن السلاح والعدة ثمانمائة

---

(١) الحميدى : الجذوة ص ٢٢١ ، ابن الأبار : الحلة ج ١ ص ٣٨ .
(٢) ابن الأبار : الحلة فى دوزى : Notices ص ١٢٧ .
(٣) ابن عذارى : البيان ج ٢ ص ٢١٦ .
(٤) النفح ج ١ ص ٢٠٢ و ٣٣٣ ، انظر أيضا ابن الأبار ، الحلة ص ١٢٧ .
(٥) العبر ج ٤ ص ١٣٨ وهو ينقل عن ابن الفرضى .
(٦) النفح ج ١ ص ٣٣٤ - ٣٣٦ . وانظر ابن حيان : المقتبس ص ١٨٥ (ببروت ١٩٦٥) .

من التجافيف المزينة أيام البروز والمواكب ، وألف ترس سلطانية ، ومائة ألف سهم من النبال البارعة الصنعة ، من الظهر خمسة عشر فرسا من الخيل العراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعوت ، وعشرون من بغال الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافية ، ولجم بغال مجالس سروجها خز جعفرى عراقى ، ومائة فرس من عتاق الخيل التى تصلح للركوب فى التصرف والغزوات ، ومن الرقيق أربعون وصيفا وعشرون جارية متخيرات بكسوتهن وزينتهن ، ومن سائر الأصناف قرية تغل آلافا من أمداد الزرع ومن الصخر للبنيان ما أنفق عليه فى عام واحد ثمانون ألف دينار وعشرون ألف عود من الخشب من أجمل الخشب وأصلبه وأقدمه قيمته خمسون ألف دينار . وعرضت الهدية على الناصر سنة سبع وعشرين فشكرها وحسن لديه موقعها[1] » .

وينقل ابن الفرضى[2] نص رسالة بعث بها أحمد بن عبد الملك الى الخليفة تفيد تسليم هذه الهدايا :

« وكان قد أربى ــ أيده الله ــ بابتياعهم من مال الأخمس ، فابتعتهم من نعمته عندى ، وصيرتهم من بعثى ، ومع ذلك عشر قناطير سكر طبرزذ لاسحاق فيه ...... ولما علمت تطلع مولاى ــ أيده الله تعالى ــ الى قرية كذا بالقنبانية المنقطعة الغرس شرفها ، وترداده ــ أيده الله تعالى ــ لذكرها لم أهنأ بعيش حتى أعملت الحيلة فى ابتياعها بأحوازها ، وأكتبت وكيله ابن بقية الوثيقة فيها باسمه ، وضمها الى ضياعه ، وكذلك صنعت فى قرية شيرة من نظر جيان عندما اتصل بى من وصفه لها وتطلعه اليها ، فما زلت أتصدى لمسرته بها حتى ابتعتها الآن بأحوازها وجميع منازلها وربوعها، واحتاز ذلك كله الوكيل ابن بقية ، وصار فى يده له ــ أبقاه الله سبحانه ــ وأرجو أنه سيرفع فيها فى هذه السنة آلاف أمداد من الأطعمة ان شاء الله تعالى ، ولما علمت نافذ عزمه ــ أبقاه الله تعالى ــ فى البنيان ، وكلفه به ، وفكرت فى عدد الأماكن التى تطلع نفسه الكريمة الى تخليد آثاره فى بنيانها ــ مد الله تعالى عمره ، وأوفى بها على أقصى أمله ــ علمت أن أسه وقوامه الصخر والاستكثار منه ، فأثارت لى همتى ونصيحتى حكمة حيلة أحكمها سعدك وجدك اللذان يبعثان ما لا يتوهم عليه حيلة أقيم لك فيها بعام واحد عدد ما كان يقوم على يدى عبدك ابن عاصم فى عشرين عاما ، وينتهى تحصيل النفقة فيه الى نحو الثمانين ألفا أعجل شأنه فى عام ، سوى التوفير العظيم الذى يبديه العيان قبلا ان شاء الله تعالى ، وكذلك ما ثاب الى فى أمر الخشب ..

(١) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٣٨ .

(٢) النفح ج ١ ص ٣٣٦ – ٣٣٧ .

لهذه المنية المكرمة ، فان خليل عبدك المجتهد الدؤوب انتهى فى تحصيل عدد ما تحتاج اليه الى ثلثمائة ألف عود ونيف على عشرين ألف عود ، على أنه لا يدخل منه فى السنة الا نحو الألفى عود ، ففتح لى سعدك رأيا أقيم له بتمامه جميع هـذا الخشب العام على كماله بورود الجلبية لوقتها ، وقيمته على الرخص ما بين الخمسين والستين ألفا » .

فلا غرابة اذن أن نكتشف أن اللقب الذى ابتاعته هذه الهدايا قد جعل دخل الوزير وقدره عادة أربعون ألف دينار فى السنة ، يزيد ضعفين . ويذكر الحميدى[1] انه ذات مرة زار « ذا الوزارتين » عبد الملك بن جهور ، ولكن هذا الأخير ادعى أنه غير موجود ، فكتب اليه :

أَتَيْنَاكَ لا عن حاجةٍ عَرَضَتْ لنا ... إِلَيْكَ ولا قَلْبٍ إِلَيْكَ مَشوقِ
ولَكِنَّنَا زُرْنا بفَضْلِ حُلُومِنا ... حِمَاراً تَلَقَّى بِرَّنا بعُقوقِ

ويقص علينا المقرى[2] قصة ، تبدو لنا موضوعة ، عن علاقاته بالخليفة العظيم ، فقد تلقى الوزير هدية هى فتى نصرانى جميل غاية فى الجمال ، فلما رآه عبد الرحمن طلب الى وزيره أن يهديه اياه ، فما كان من الوزير الا أن يفترق عن عشيقه الفتى وأن يرسل معه الى الخليفة هذه الأبيات :

أَمَوْلاىَ هذا البَدْرُ سارَ لأُفْقِكُمْ ... ولَلْأُفْقُ أَولى بالبُدُورِ من الأَرْضِ
فأُرْضيكُم بالنَّفْسِ وهْىَ نَفيسة ... ولم أَرَ قَبْلِى مَن بمهجتِهِ يُرْضِى

فسر الخليفة غاية السرور . وبعد مدة غير طويلة أهديت الى الوزير جارية ذات جمال أخاذ ، فخاف أن تتكرر القصة ، فبعث بها على التو الى عبد الرحمن ، وأرسل معها هذه الأبيات :

أَمَوْلاىَ هذى الشَّمْسُ والبَدْرُ أَوَّلا ... تقدَّم كيما يلتقى القمرانِ
قِرانٌ لَعَمْرِى بالسَّعادةِ قدأَتى ... فَدُمْ منهما فى كَوْثَرٍ وجنانِ
فما لهُما واللهِ فى الحُسْنِ ثالِث ... وما لك فى مُلْكِ البريَّة ثـانِ

---

(١) الجذوة ص ١٢٣ ، الضبى : البغية ص ١٧٧ ؛ نص القصيدة من الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٥١ .
(٢) النفح ج ١ ص ٣٣٧ – ٣٤٠ .

فزاد عند الخليفة قدره ، وعلا مركزه • ولكن واشيا ذكر لعبد الرحمن أن الوزير لم يزل يحمل فى قلبه مرارة وحزنا على الفتى ، فهو يكرر اسمه عند سكره، ولكن الخليفة قال للواشى لا تحرك لسانك والا طار رأسك • ومع ذلك كتب الخليفة رسالة مزيفة ، على أنها من الفتى الى سيده القديم ، فلما كان هـذا الأخير حاضرا مجلس شرب عند الخليفة ، وأعطى الرسالة ، كتب على ظهرها هذه الأبيات :

أَمِنْ بعد إِحْكامِ التَّجارِبِ يَنْبَغِى
لدَىَّ سُقُوطُ الطَّيْرِ فِى غابةِ الأَسَدْ ؟

وما أَنا مِمَّن يغلب الحُبُ قَلْبَـهُ
ولا جاهل ما يدعيه أُولو الحَسَدْ

فإِنْ كُنْتَ رُوحِى قد وَهَبْتُكَ طائِعاً
وكَيْفَ يُرَدّ الرُّوحُ إِنْ فارَقَ الجَسَدْ

وعندما قرأ الخليفة رد وزيره هذا ، دهش لبصيرته النافذة ولم يعد يستمع للواشين من بعد • وقد سأل الخليفة وزيره بعد ذلك بزمن ، كيف أمكنه أن يتفادى ذلك الفخ المنصوب ، فأجاب عبد الملك ، « لأن عقلى بالهوى غير مشترك » •

ولقد ولد أبو مروان ، ولد شاعرنا هذا فى عام ٣٢٣ (٩٣٥) ، أى بعد أن أعلن عبد الرحمن الخلافة بسنوات ست • ولقد رأى أبو مروان هذا فى صباه رؤيا ، وكأنما هو يبتلع سبعين دينارا ، واحدا بعد الآخر • وذهب الى أقدر مفسرى الأحلام فى عصره يسأله الرأى ، فقال ان كل دينار يمثل عاما ، ومعنى الحلم اذن أنه سيعيش سبعين عاما ، وكان ذلك بالطبع مصدر سعادة له لما كان شابا ، فلما ابتدأت نهاية الفترة تقترب خطوة خطوة ، صار ذلك مصدر قلق وفزع ، وعاد صاحبنا يسأل نفسه ان لم يكن قد أخطأ فى عد السنين ، وكان المتملقون من حوله يزيدون من تردده ،ويخلطون عليه الأمر • ولقد أقام أبو مروان عشرة أعوام أو تزيد فى « منية المغيرة » وهى ضاحية كانت أثيرة عند الطبقة العليا من رجال الحكم • ولقد قلد أبو مروان الوزارة مثل سلفه • ثم قربه المنصـــور فيما بعد فجعله يسكن بقربه فى «دار ابن النعمان» وكان من حظه أن يرافق المنصـور فى الحملة الجبارة ، وهى الثالثة والعشرون من سلسلة الحملات التى

وجهها ذلك القائد العظيم ، ضد مدينة برشلونة عام ٣٧٥ (٩٨٥) [١] » وكانت حملة معدة اعدادا فوق العادة من ناحية الآداب والفنون ، فقد صحبها أربعون شاعرا من بينهم القسطلي [٢] • وهو الى جانب كونه شاعرا ، يصحب الحملة كشاعر ، فقد كان مشهورا بعلمه بالتاريخ والحديث واللغة وعلمه فوق ذلك كما يقول ابن بشكوال « بسائر ما يحاضر به الملوك » [٣] • وكان أيضا صاحب كتاب في التاريخ امتدت شهرته في ذلك العهد ، وعنوانه « التاريخ الكبير » يتتبع الحوادث منذ عام الجماعة ، عام ٤٠ الهجرية ، حين تنازل الحسن بن علي عن دعوى الخلافة الى معاوية ، حتى حوادث عصره هو • والكتاب يحوى أكثر من مائة مجلد [٣] ، مما يقوم شاهدا حيا على جهده الكبير • ولقد أقام المنصور أبا مروان حاكما على الأقاليم الشرقية ، بلنسية وتدمير ، وظل في منصبه هذا تسعة أعوام ، حتى أضناه عبء المنصب فالتمس من المنصور أن يأذن له بالتقاعد ، فأذن بعد حين • فحمل معه الى المنصور من الهدايا من الذهب والفضة ما يقدر بأربعمائة ألف دينار ، ومن الأواني بمائة ألف دينار ، ومعها خمسمائة زوج من العبيد ، ومائتان من الصقالبة ، وكتب الى المنصور قبلها يخبره بذلك ، ولكن المنصور لم يقبل الهدية قائلا [٤] :

« لو أردنا أخذ ما أعطيناك ما قدمناك ، ونحن نخاف أن تستصفي نفقتك ما استفقته ، وتأتي على ما اجتلبته ، بارتفاع ثمن الطعام ، وأنك لم ترد منه على ذخيرة ، وقد صككنا لك بألف مدي بشطرين من قمح وشعير تستظهر بها على زمانك ، فاقبضها من أهراء فلانة لقربها من مكانك ، ان شاء الله » •

وهناك حكايات [٥] تحكي عن زمن تقاعده هذا ، وتصور مقدار قربه من المنصور وأثرته عنده ، ويحكي ابن بسام [٦] « انصرف مرة من غزوة تخلف عنها ابن شهيد لعذره فكتب اليه من جملة أبيات :

---

(١) عن كل المعلومات المذكورة انظر ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٣٤٩ — ٣٥٠ •

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة ج ٢ ص ٧١ — ٧٢ ، وانظر مناقشة الدكتور محمود مكي لهذه القضية في مقدمة نشرته لديوان ابن دراج القسطلي ص ٣٨ — ٤٠ •

(٣) الصلة ج ١ ص ٣٤٩ •

(٤) الذخيرة القسم ١ مجلد ١ ص ١٦٧ • وانظر من ص ١٦٦ الى ١٦٧ على الخصوص •

(٥) هذه القصص ينسبها نيكل خطأ الى جد شاعرنا (انظر الصفحات من ٤٧ — ٤٨ من Hispano Arabic Poetry بينما ابن شهيد نفسه يعطينا الدليل القاطع على أنها تعود الى والده • انظر كتاب « الذخيرة القسم ١ مجلد ١ ص ١٧٧) •

(٦) المرجع السابق قسم ٤ مجلد ١ ص ١٨ — ١٩ •

أنا شيخ والشيخُ يَهْوى الصَّبايا فبنَفْسِى أَقِيكَ كل الرزايا

ورَسولُ الإِلَهِ أَسْهَمَ فى الفىءِ لمن لم يحث فيه المطايا

فأجابه ابن أبى عامر :

قد بَعَثْنا بِها كشَمْسِ النَّهار فى ثلاثٍ من المها أَبْكارِ

وامْتَحَنَّا بِعُذْرَةِ الغيلِ إن كُنْتَ تَوَخَّى بوادِرَ الأَعذارِ

فاتئِدْ واجْتَهِدْ فإنَّكَ شيخٌ قد جَلا ليلَهُ بياضُ النَّهارِ

صانكَ اللهُ مِن كلالِكَ فيها فمِنَ العارِ كَلَّةُ المسمارِ

فافتضهن الشيخ من ليلته ، وكتب اليه بكرة :

قد فَضَضْنا خِتامَ ذاكَ السِّوارِ واصْطَبَغْنا مِن النَّجيعِ الجارِى

وصبونا فى ظِلِّ أَطْيَبِ عيشٍ فلَعِبْنا بالدُّرِ أو بالدَّرارِى

وقَضَى الشَّيخُ ماقضى بحُسامٍ ذِى مضاءٍ عَضْبِ الظُّبا بتَّارِ

فاصْطَنِعْهُ فليس يَجزيكَ كُفرًا واتَّخِذْهُ فَحْلاً على الكُفارِ

وقد حدث ذات مرة فى مجلس أنس يجتمع شمله فى قصر المنصور ، أن زاد أبو مروان من الشرب والمراح حتى قام فرقص ، بالرغم من مرضه بالنقرس وهو يعتمد على ذراع الوزير ابن عباس ، ثم أشار بأصبعه الى المنصور ، وانطلق يرتجل على التو هذه الأبيات(١) :

هناكَ شيخٌ قادَهُ عُذْرٌ لكا قامَ فى رَقْصتِهِ مُسْتَهلِكَا

لم يُطِقْ يرقُصُها مستَثْبِتاً فانْثنى يرقُصها مُسْتَمْسِكَا

عاقَه عن هزِّها مُعتدِلاً نِقْرِسٌ أنْحَى عليه فاتَّكَا

مِن وَزيرٍ فيهِمُ رَقَّاصةٍ قامَ مِن طيبٍ يُناغى مَلِكاً

---

(١) المرجع السابق ص ١٧ — ١٨ .

أنا لَوْ كُنْتُ كما تَعْرِفُنِى　قُمْتُ إجْلالاً على رأسِى لكَا
قَهْقَهَ الإبْرِيقُ منى ضاحِكاً　ورأَى رِعْشةَ رِجْلى فبكَى

فصاح الفليك ، وهو شاعر من بغداد « لله درك يا وزير تصلى بالقاعدة وترقص بالقائمة » » مما زاد من مراح المنصور ، فأفاض من ماله على الجميع[1] .

والبيئة الاجتماعية والثقافية التى وجد فيها ابن شهيد ، هى بيئة تلك الأرستقراطية العربية القديمة التى كانت تستأثر بمهام الحكم ، فكانت كبنى أبى عبدة ، وبنى حدير ، وبنى عبد الرءوف ، وبنى جهور ، وبنى فطيس[2] ، أسرة من تلك الأسر التى احتكرت تماما وظائف الادارة . وقد امتد سلطان هذه الأسرات وظل غير منتقص بحكم صلاتها الوثيقة بالأسرة المالكة ، ثم بعدها ببنى عامر ، طوال عهد اضمحلال الارستقراطية العربية التى انهزمت فى معركتها ضد السلطة المركزية ، والسياسة التى اختطها الناصر لخلق دولة متعددة القوميات ، مضافا الى ذلك تشجيع الناصر للعناصر الصقلبية ، واعتماد المنصور بعده على العناصر البربرية . ولقد ولد ابن شهيد فى عهد هشام المؤيد (الثانى) حين وصلت البلاد تحت قيادة المنصور ورعايته الى أعلى درجات الرخاء والقوة الحربية ، وعاش حتى رأى ، لا اضمحلالها فحسب ، وانما كان شاهدا لتحللها الكامل ونهاية سطوتها ، فانعكست تجاربه هذه فى روح التشاؤم التى تملأ شعره . ولقد كان لبيئته الأرستقراطية أثر كبير فى تحديد بعض صفات أدبه . فكان له من ثقافته الموروثة ، ومن نقاء دماء أسرته العربية ، فضل كبير وميزة على أعز أصدقائه وشركائه فى بعض أدبه ، الأديب الشهير ابن حزم ، الذى لم يتمكن أبدا من التخلص من شعوره بالخجل من أصول أسرته المسيحية[3] . ويبدو أن أسرة ابن شهيد كان لها فى ميدان الأدب ما كان لأسرة باخ فى ميدان الموسيقى ، فقد كان أخوه[4] ، وابن عمه[5] ، وأبوه ، وعمه[6] ، وجده ، وأبو جده[7] جميعا من الشعراء ، وقد وصلت الينا نماذج من شعرهم جميعا[8] . ويقول بريس[9] أن أدب

---

(١) توجد أشعار أخرى لأبى مروان فى ملحق أ .
(٢) ليفى برفنسال : L'Espagne Musulmane ص ١٠٠ – ١٠٤ .
(٣) ابن الخطيب فى دوزى : Catalogus ج ١ ص ٢٢٧ .
(٤) ابن سعيد : المغرب ج ١ ص ٨٦ .
(٥) المرجع السابق ج ١ ص ٨٥ .
(٦) مات فى رجب ٤٠٨ (ديسمبر ١٠١٧) . أنظر ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٣٥٠ – ٣٥١ .
(٧) فضلا عن ابن بسام (الذخيرة ق ١ – ١٩٦٥/١) انظر أيضا الحميدى : الجذوة ص ٢٢١ .
(٨) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٣٥١ – ٣٥٢ .
(٩) La Poésie andalouse ص ٣٨ .

هذه الأسرة يتميز بطابع يسميه Humoristique (الميل الى الدعابة) .

ولقد ولد شاعرنا فى قرطبة عام ٣٨٢ (٩٩٢) [١] ، وكان أبوه قد بلغ التاسعة والخمسين ، وذلك عمر كبير . ويشير ابن شهيد نفسه الى دار ابن النعمان[٢] حيث أقامت أسرته بقرب « الزاهرة » قصر المنصور . ولكن يبدو أن شاعرنا كان يعيش حينئذ في اتصال أوثق من ذلك بكثير ببنى عامر ، اذ نراه يقول « وأقل ما أمت به ، وأنطق عنه ، ممتد عنان الأمل ، كارعا فى بحر الرجاء لا الوشل ، من مواتى بالمنصور جده ـ رضى الله عنهما ـ أنى نشأت فى حجره ، وربيت فى قصره ، وارتضعت ثدى كرائمه ، واعتجرت رداء مكارمه ، واغتذيت من فيه أكلا زقنيه وماء علنيه ، فصرت من أفراخ نعمائه الحمر الحواصل ، ولحقت بأخوة أبنائه الغر العباهل .

ولقد وصلتنا قصة حادثة تحكى عنه وهو فى الخامسة من عمره ، فلقد أتى به أمام المنصور ، ذات يوم مطير ، فرأى عنده تفاحة كبيرة ، فنظر اليها فى اشتهاء ظاهر حتى ان المنصور أمره بأكلها ، فلم يتمكن ـ اذ كانت التفاحة كبيرة جدا ـ من أن يقرضها بأسنانه ، فجعل المنصور يقطع منها بفمه ويعطيه منها قطعة قطعة حتى أكلها، ثم أرسل فى طلب ابنه عبد الرحمن (الناصر فيما بعد) فلما جاء طلب اليه أن يأخذ الطفل الى السيدة « عبدة » (ابنة شانجه بن غرسية أو سانتشوجارثيز الثانى ، ملك نافار ، وأم شنجول) . ولما أبدى الطفل عزوفه عن الخروج فى المطر ، حمله عبد الرحمن وتابعه ابن شاكر على كتفيهما الى زوجة المنصور ، فأجلسته على السرير بجانبها ، وأمرت له بأربعة آلاف درهم ، ألف منها من خزانتها ، وثلاثة آلاف من خزانة زوجها المنصور . وكان ابن شهيد يريد أن يفرق المال بين خدم البيت ، لكن والده استولى عليه ، وفرق بعضه على نفر من بطانته ، ثم وضع الباقى فى خزائنه . فلما بلغ ذلك أسماع المنصور غضب ، ثم أمر للطفل بخمسمائة دينار ، وأمر والده فى ذات الوقت بأن لا يلمس منها شيئا . وبنفس الكرم الذى اشتهر به شاعرنا فى حياته فيما بعد[٣] ، أهدى المال الى خدمه ورفاقه واشترى بما تبقى منه لعبا تمثل الجند[٤] .

ولقد كانت تربية ابن شهيد على المبادىء الاسلامية الخالصة ، اذ انقلب أبو مروان والده العجوز فى ذلك الحين تقيا زاهدا ، فاستقال من منصب الوزارة ، وهجر الدنيا

---

(١) تجمع على هذا التاريخ كل المصادر (الحميدى ، والضبى ، وابن دحية ، وابن خلكان) .
(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٦٥ .
(٣) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٦٣ .
(٤) ابن حيان فى الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٦٢ .

ليصطنع الجد فى عزلته ، لابسا الصوف والكتان بدل الحرير[١] . ولقد كان على أبى عامر الصغير أن يتبع فى ذلك أباه .

ولقد حدث ذات مرة وابن شهيد فى الثامنة من عمره ، أن زارهم الوزير ابن مسلمة ، وسأل أبا عامر الطفل عن حاله ؟ فكان كل جوابه غصة وبكاء . فلما سمع بذلك المظفر بن المنصور بن أبى عامر استدعاه الى مجلسه ، فلما رآه كذلك أمر بأن يلبس الحرير ، ثم أركبه حصانا من عنده بسرجه ولجامه ، ووجه به الى دار أبيه ، يتبعه عبد يحمل طبقا عليه ألف دينار[٢] .

وفى عام ٣٩٣ (١٠٠٢) وابن شهيد فى الحادية عشرة من عمره ، مات أبوه بالسكتة القلبية ، وبذلك صدقت النبوءة فقد كان عمره سبعين سنة وبضعة شهور . وقد توفى صباح سبت ، ودفن فى اليوم التالى ، يوم الأحد الرابع من ذى القعدة[٣] . وكان المنصور قد مات قبل ذلك بعام ، ودفن فى مدينة سالم الباردة ، بينما المؤرخ المسيحى قد فضل أن يقول فى حولياته انه « دفن فى الجحيم »[٤] .

ولا بد أن ابن شهيد كان طفلا معجزا ، فان أقدم قصائده الباقية فيما يبدو قد كتب فى تاريخ سابق لشهر شوال عام ٣٩٤ (أغسطس ١٠٠٤) . وهى قصيدة قصيرة وجهها الى الوزير أبى مروان عبد الملك بن ادريس الجزيرى الذى قتل خنقا فى سجن الزاهرة بأمر من المظفر فى التاريخ المذكور ، وكان عمر ابن شهيد حينئذ اثنى عشر عاما فقط[٥] . والقصيدة جزء من رسالة له رد بها على خطاب وجهه اليه ذلك الوزير :

قُلْ للوَزِيرِ الَّذى بانَتْ فَضائِلُهُ   وقامَ فِينا مقامَ الغَيْثِ نائلُهُ
إذ بانَ فَضْلُ مَساعِيهِ وهِمتِهِ   بيّنْ لنا شَرْحَ مَعْنًى سالَ سائلُهُ

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٦٤ — ١٦٥ .
(٢) المرجع « « ص ١٦٤ .
(٣) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٣٤٩ .
(٤) Chronicon Burgense ص ٣٠٩ .
(٥) الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص ٣٦ . انظر أيضا ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٣٥٠ ، وابن عذارى : (البيان ج ٣ ص ٢٦) يقول بأن تاريخ ذلك كان ٣٩٨ (١٠٠٨) ويذكر سببا لذلك اشتراكه فى ثورة طرفة . ونقل ابن بشكوال عن ابن حيان وهو أقدم وأوثق . وليس مثل النبوغ المبكر أمرا بعيد الاحتمال . فقد سمع ابن حزم وهو فى نفس العمر تقريبا ، وقبل أن يبلغ الثانية عشرة ، سمع قصيدة ألقيت فى حضرة المظفر وبلغ منه التأثر حدا جعل الشاعر يكتبها له . انظر الحميدى : الجذوة ص ٢٥٣ .

أَوَاخِرُ الوَرْدِ إِذْ تجْنيهِ مُلْتَقِطاً ... أَزْكَى وأَعْطَرُ نَشْرًا أَمْ أَوائلُهُ؟

وأَيُّ حالَيْهِ مَوْجُودًا ومُفْتَقَدًا ... أَوْلَى وأَجْدَرُ أَن تُرْمَى وسائلُهُ

وقد أَتاكَ لتَوْديعٍ على عَجَلٍ ... خُضرًا مقانِعُه ، حُمْراً غلائلُهُ

فامْنَحْهُ منكَ قَبُولاً واقْضِ نَهْمَتَهُ ... مِنَ الوَدَاعِ فقد زُمَّتْ رَوَاحِلُهُ

ولقد رد أبو عامر على هذه القصيدة بقصيدة من ذات الوزن والروى ، بها من التعقيد ما هو ارهاص بمّا هو قادم من اللعب بالألفاظ في مستقبل شعره (القصيدة رقم ٥٦)[1] :

الوردُ عَهْدًا ونَشْرًا صِنْوُ عَهْدِكَ لا ... تُنْسِي أَواخِرَهُ طِيباً أَوائِلُهُ

ويبدو أن ابن شهيد كان يعانى من الصمم معظم أيام حياته ، ولعله أصيب فى هذه الأيام الأولى بهذا النقص الذى كان سببا فى يوم من مستقبل أيامه فى أن لا يصل الى المنصب الذى كان يرنو اليه ، وهو منصب الكتابة[2] وكان الوزراء يختارون من بين عدد يعد على الأصابع من الأسر العالية كان من امتيازاتها الخاصة جيلا بعد جيل أن يخرج منها من يتولون هذه المناصب . وكان بنو شهيد من أبرز هؤلاء . ولما كان أبو عامر سليل بيت أدب ، وأظهر هو ذاته دليلا على ملكاته الأدبية ، كان طبيعيا أن يرنو الى منصب يعتمد بالضرورة على الملكة الأدبية . وكان ديوان الكتابة يتكون من منصبين ، منصب أمين سر (كاتب الزمام) مسئول عن الخزانة العامة أو بيت المال ، والآخر وهو المنصب الذى سعى اليه شاعرنا ، هو منصب أمين سر (كاتب الرسائل) مسئول عن كل المكاتبات الرسمية[3] .

ومن الطبيعى فى مجتمع يدرك ويهتم كل الاهتمام بالقيم الجمالية كما اهتم بها المجتمع العربى ، أن ترتبط سمعة الدولة نفسها بما تتصف بها مكاتباتها الرسمية من فن أدبى ، حتى أن الدقة فى اتباع قواعد اللغة من نحو وصرف صارت أول ما يطلب من مؤهلات عند من يتطلعون الى مثل ذلك المنصب ، فزلة قدم واحدة فى رسالة من رسائل الدولة أو مرسوم واحد من مراسيمها تنقص من قدر الخلافة الأندلسية . وكان شعور ابن شهيد بالمرارة ، اذ فاته المنصب لصممه ، عميقا زاخرا ، فهو يقارن مصيبته هذه بالقدر الذى أصاب الجاحظ فى يومه ، ويقول « فلا يخلو

---

(١) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٨٤ – ١٨٥ .

(٢) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٠٨ .

(٣) النفح ج ١ ص ٢٠٢ ، ليفي بروفنسال : L'Espagne musulmane ص ٦٩ .

فى هذا اما أن يكون مقصرا عن الكتابة وجمع أدواتها ، أو يكون ساقط الهمة ، أو يكون افراط جحوظ عينين قعد به عنها ، كما قصر بى أنا فيها ثقل سمعى وبأبى القاسم ورم أنفه . » (١) ولا بد أن صممه هذا كان عاملا نفسانيا أدى به الى انطوائه على نفسه ، رغم أن ابن شهيد كان من حظه فى مستقبل أيامه أن يحيا حياة اجتماعية حافلة . ولعل هذه العاهة الجسمانية ، مضافا اليها المرارة التى كان يشعر بها حين خابت مطامحه فى المنصب وحبطت مساعيه ، قد زادت من حدة توتر أعصابه وعمقت ميوله الفنية . فكان لصممه اذن من الخطر مثلما كان لصمم بيتهوفن أو عرج بيرون .

---

(١) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٠٨ .

(٢)

(٣٩٩ - ٤٠٧هـ / ١٠٠٨ - ١٠١٦م)

لم تكن هناك حتى هذه اللحظة أية بادرة توحى بأن أشد أزمة فى تاريخ الاسلام فى أسبانيا على وشك الوقوع . فقد مات المظفر فجأة فى سن الثالثة والثلاثين فى اليوم السادس عشر من صفر عام ٣٩٩ (٢٠ أكتوبر عام ١٠٠٨) بعد أن أطال العهد الزاهر سبعة أعوام بعد موت والده العظيم[1] . وخلفه فى السلطان أخوه عبد الرحمن ، الذى عرفه التاريخ باسم شنجول Shanchuelo (وهو تصغير قصدبه التحقير ، فقد كانت أمه ابنة سانتشو جائيز الثانى للك بنبلونة) ، مما كان سببا فى الاسراع بوقوع الكارثة ، فقد كان انسانا حقودا شريرا تافها مهملا لا يركن اليه ، مما جعله على التو مكروها من الجميع . ولقد كان يفتقر كلية الى الفطنة والمهارة التى تميز بها سلفاه فى الحكم ، فأتى فى خلال شهر واحد من توليه السلطة بما لم يكن ليجرؤ على اتيانه سلفاه أو يحلما به أبدا ، اذ أعلن نفسه الوريث الشرعى وولى العهد للخليفة هشام . وبالرغم من أن هذا الأخير كان مغلوبا على أمره ، وكان فى ذات الوقت على صداقة وثيقة به ، الا أنه أبدى بعض المعارضة الضعيفة . ولكن غلبه على أمره ما قضى به قاضى قرطبة ، أحمد بن عبد الله ابن ذكوان ، الذى صار فيما بعد من أقرب أصدقاء ابن شهيد الى قلبه ، وما قال به كذلك أحمد بن برد ، وزير الدولة[2] . وكتب صك الولاية على العهد أحمد بن برد هذا بصفته وزيرا فى ربيع الأول عام ٣٩٩ ، (نوفمبر عام ١٠٠٨) ثم قرىء على مجمع من وجهاء الدولة والمسئولين بالقصر بقرطبة ، ثم وقع كل من الحاضرين على الصك حينئذ[3] .

ولكن الشعب لم يتقبل ذلك الأمر بنفس الرضا والخضوع ، وعم الغضب

---

(١) البيان ج ٣ ص ٣٧ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٣٨ .

(٣) ابن الأبار : الحلة السيرا ج ١ ص ٢٧١ .

(٤) البيان ج ٣ ص ٤٣ ، ٤٦ .

قلوب أفراد الأسرة الخلافية عامة ، وقلوب أبناء الناصر خاصة ، فبدأوا جميعا يدبرون المكائد . ولقد بلغ شنجول من الحمق مبلغه ، حتى انه ، وقد شجعه على ذلك قواده من البربر ، قضى على أهل بلاطه ووزرائه أن يلبسوا لباس الرأس البربرى فى مجلسه[1] ، فزاد بذلك من معارضيه ، وقوى صفوف المعارضة . وكان المسيحيون فى الشمال على علم تام بدقائق الموقف ، فزادوا من نشاطهم ، بينما سار شنجول ببلاهة وحمق تام الى خارج قرطبة يدفع تهديدا خارجيا ثانويا ، فى وقت كان فيه الموقف الداخلى يتدهور بسرعة فائقة[2] .

وبينما كان شنجول أو سانتشويلو غائبا ، استولى أحد المدعين الأمويين وهو محمد بن هشام بن عبد الجبار على السلطة عنوة فى جمادى الثانية عم ٣٩٩ (فبراير ١٠٠٩) ، ودمرت بذلك الانقلاب[3] مدينة الزاهرة وقصرها وروعتها الأسطورية بجدرانها المصنوعة من الرخام الفاخر ، كما تنبأ لها منشئها المنصور فى لحظة ارهاص كاشفة[4] ، وكان ذلك مما سيلحق قرطبة من كسوف شمسها .

ولقد اتخذ المدعى الأموى محمد بن هشام لنفسه لقب « المهدى[5] » عند اعتلائه العرش . أما شنجول فقد هجره جيشه ، وأعدم فى رجب (مارس) ، وحملت جثته الى قرطبة حيث صلبت[6] .

وصادفت ابن شهيد وعمره سبعة عشر عاما كارثة محققة فى حياته ، اذ كانت أصوله الأولى تربط طالعه بطالع آل عامر . ومن المحتمل أنه لم يتنبه الى أنه كان على وشك أن يرى مأساة الاسلام فى اسبانيا ، وأن الفتنة التى بدأت ، ستطفىء فى أقل من خمسة وعشرين عاما نور الخلافة الأندلسية ، وتترك عاصمتها فى دمار شامل . ولا يمكن تفسير ذلك الانهيار الشامل بالأسباب الأثيرة عند رجال التاريخ من الهزائم العسكرية أو الظروف الاجتماعية المتغيرة أو الكساد الاقتصادى ، أو التحلل الأخلاقى أو غيرها ، فقد كانت الامبراطورية عند موت المظفر فى ذروة القوة والمنعة والرخاء . ولا يمكن تفسير تدهورها الشامل بهذه السرعة المفاجئة . فبعد أربعة وثلاثين عاما فقط من التاريخ الذى فيه أصابت العالم المسيحى فى العصور الوسطى هزيمة مهينة

---

(١) المرجع السابق ج ص ٤

(٢) الصفحة الناقصة من « البيان » يوردها ليفى بروفنسال : (Observations sur le tome III du Bayan d'Ibn Idari) فى Mélanges Gaudefroy—Demombynes

(٣) البيان ج ٣ ص ٦٢ — ٦٣ .

(٤) المرجع السابق ج ٣ ص ٦٥ ؛ النفح ج ٢ ص ١٢١ .

(٥) البيان ج ٣ ص ٥٠ .

(٦) المرجع السابق ج ٣ ص ٧٣ .

قاصمة فى تخريب شنتياقب (سنتياجو) ، كانت الخلافة الاسلامية فى أسبانيا قد لفظت أنفاسها . وبالرغم من التعقيد المذهل الذى تتصف به أحداث تلك الفترة ، فان المرء يتبين فى تلك الفتنة ترتيباً واضحا ، تنقسم به الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول ــ تمثله المنازعات الداخليـة التى كانت تمزق بيت آل مروان (٣٩٩ ــ ٤٠٧هـ / ١٠٠٩ ــ ١٠١٦ م) .

القسم الثانى ــ هو العهد الحمودى (٤٠٧ ــ ٤١٣ هـ / ١٠١٦ ــ ١٠٢٣ م) .

القسم الثالث ــ هو عهد الانحدار والتدهور المتصل نحو الكارثة (٤١٣ ــ ٤٢٢هـ / ١٠٢٣ ــ ١٠٣١ م) .

وهناك ارتباط وثيق بين هذه المراحل الثلاث وبين حياة ابن شهيد العامة . ولهذا يمكن استخدامها كنقاط مناسبة لتقسيم تاريخ حياته . وقد قيل ان شعر هوراس ، انما هو تأريخ لانتقال روما من عهد الجمهورية الى عهد الامبراطورية . ويمكننا أن تقول بنفس الطريقة وبصدق أن شعر ابن شهيد انما هو تأريخ الأندلس فى انتقالها من عهد الامبراطورية الى مجموعة من دويلات المدن أو ملوك الطوائف .

ولا ندرى على وجه اليقين موقف أبى عامر من « المهدى » ولكننا لا نظن أنه كان ودا خالصا وحبا ، لما كانت له من صلات وثيقة ببنى عامر . ويؤكد ظننا هـذا رسائله الى المؤتمن ، ابن شنجول ، وقد أصبح بعد ذلك صاحب السلطة فى بلنسية[1]، فهو يصل فى نصحه الى أن يغرى المؤتمن بأن يحاول استلاب السلطة [2] . وهـو يسأل المؤتمن فى احدى رسائله اليه ، أن يتولى ، بالنيابة عنه ، ادارة ضيعة ورثها عن أبيه فى اقليم تدمير[3] . وهو يرفق بالرسالة مدحا للمؤتمن ، يشير فيه الى مقتـل شنجول (« وابن الأعالى كيف صار ذليلا ») ويشير الى الفوضى السائدة حينذاك فى قرطبة . وهذه القصيدة هى أطول قصائد ابن شهيد ، حتى فى شكلها الحالى ؟ وهو بالتأكيد غير كامل .

والقصيدة تبدأ بهذا البيت (القصيدة رقم ٦٤) [4] :

أَمَّا الرِّياحُ بِجَوٍّ عاصِمْ فَحَلَبْنَ أَخْلافَ الغَمائِمْ

---

(١) انظر ابن حيان فى المرجع السابق ج ٣ ص ١٦٤ ــ ١٦٥ .
(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٧١ .
(٣) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٦٦
(٤) « « « « ص ١٦٧ ــ ١٧١ .

ثم ينتقل الى سنيب ، بالغ حد الروعة فى الجمال .

ولقد اقترح المؤتمن فى رده عليه أن يقدم الى بلنسية . ولكن أبا عامر ، رغم أنه ظل يداوم مراسلته ، كان من الفطنة بمكان فلم يقبل تنفيذ مقترحه مدعيا أن قلبه مرتبط بقرطبة ، وواصفا فى عبارات منمقة الى حد كبير تعلقه بالمدينة ، (القصيدة رقم ٦٩)[١] :

عَجوزٌ لَعَمْرُ الصِّبا فانِيَهْ لها فى الحَشا صُورةُ الغانِيَهْ
تَرَدّيْتُ مِن مُزْنِ عَيْشى بها غَراماً فيا طَولَ أَحْزانِيَهْ

ولكن هذا التعليل الخادع كان يخفى مقاصده الحقيقية فى أن يبقى قريبا من مركز السلطان حتى ينتفع من أى تغيير فى الحكم والحكومة .

وسرعان ما ظهر أنه مصيب ، اذ لم يلبث أن ظهر من ينازع المهدى مركزه السامى فقد كان المهدى شخصية قبيحة مكروهة على الأخص عند البربر ، الذين سرعان ما وجدوا لهم مرشحا اختاروه بأنفسهم من البيت المالك ، وكان اسمه سليمان ابن الحكم ، واتخذ له لقبا « المستعين[٢] » . فكانت نتيجة ذلك حربا أهلية . وفى عام ٤٠٠ (١٠٠٩) احتل سليمان قرطبة بمعاونة المسيحيين ، وحكم فيها عدة أشهر الى أن طرد منها ، وعاد المهدى الى عرشه . ولكن أيام حكمه فى هذه المرة الثانية كانت أقصر من أيام حكمه الأولى فقد اغتالة الصقالبة فى شهر ذى الحجة من نفس العام (يولية عام ١٠١٠) ، وأعادوا الى العرش هشاماً الثانى[٣] .

ولكن حفيد عبد الرحمن الثالث ، عند ظهوره هذا من عزلته الطويلة ، أبدى من ضروب البلادة وعدم الكفاية ما عرض العاصمة لخطر شديد من قوات البربر المعسكرة خارجها . ولقد استمر حصارها من الثالث والعشرين من ربيع الأول عام ٤٠١ (٤ نوفمبر عام ١٠١٠) حينما استباحت جيوش البربر بوحشيتهم المعهودة مدينة الزهراء وتركتها طعمة للنيران ، الى اليوم السادس والعشرين من شوال عام ٤٠٣ (٩٠ مايو عام ١٠١٣) حينما استسلمت اليهم قرطبة[٤] . ولقد تلت ذلك أبشع المناظر

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٧٥ .
(٢) البيان ج ٣ ص ٨٤ .
(٣) المرجع السابق ج ٣ ص ٩٠ و ٩٥ و ١٠٠ .
(٤) « « « ص ١٠١ — ١٠٢ .

التى رأتها العاصمة فى تاريخها الطويل ، فانها ، كما يقول دوزى[1] « قد كفرت عن مقاومتها العنيدة بسيول عارمة من الدماء » فقد أعملت السيوف فى رقاب أكثر من عشرين ألفا[2] .

ولقد كان دور البربر فى القضاء على قرطبة الاسلامية مثل دور الأسبان فيما بعد فى القضاء على ثقافة عصر الأحياء حينما استباحت جيوشهم مدينة روما فى عام ١٥٢٧ . ومن المشاهير الذين قضوا فى هذه المحنة سعيد بن منذر[3] ، امام المسجد الجامع منذ أيام الحكم المستنصر (الثانى) ، وابن الفرضى[4] ، القاضى والمؤلف المشهور ، ومروان ابن يحيى[5] الذى ذهب بعقله عشق غير متبادل . ولقد وصف لنا ابن حزم ، بعد أن فر الى المرية[6] فى عبارات تنضج بالمرارة ، الخراب الذى حل به وبأهله ، فيقول « ولقد أخبرنى بعض الوارد من قرطبة ، وقد استخبرته عنها ، أنه رأى دورنا ببلاط مغيث ، فى الجانب الغربى منها وقد امحت رسومها ، وطمست أعلامها ، وخفيت معاهدها ، وغيرها البلى وصارت صحارى مجدبة بعد العمران ، وفيافى موحشة بعد الأنس ، وخرائب منقطعة بعد الحسن ، وشعابا مفزعة بعد الأمن ، ومأوى للذئاب ، ومعازف للغيلان ، وملاعب للجان ، ومكامن للوحوش ، بعد رجال كالليوث ، وخرائد كالدمى تفيض لديهم النعم الفاشية ، تبدد شملهم فصاروا فى البلاد أيادى سبا ... [7] . »

وزاد البربر فيما بعد ، فطردوا أهل قرطبة من مدينتهم ، واستولوا على بيوتهم [8] ، واستثنوا من كل ذلك فقط حين من أحياء المدينة . وهكذا وجد ابن شهيد أن الخراب قد حل بعالمه ، فارتفع الى ذروة الحزن وغاية الفجيعة والغضب العنيف فى مرثية بدأها هكذا ، (القصيدة رقم ٢٦) [9] :

---

(١) Histoire des musulmans ج ٢ ص ٣٠٥ .

(٢) المراكشى : المعجب ص ٤٢ .

(٣) ابن حزم : الطوق ص ٤٥ .

(٤) الذخيرة قسم ١ مجلد ٢ ص ١٣٠ ، كذلك دعا ربه حينما كان يطوف بالكعبة أن يرزقه الشهادة ، فاستجاب له (انظر ابن خلكان : الوفيات ج ٢ ص ٢٩١) .

(٥) ابن حزم : الطوق ص ١٠٥ .

(٦) المرجع السابق ص ١١٨ .

(٧) « « ص ٩٤ انظر أيضا ملحق ب

(٨) البيان ج ٣ ص ١١٥ .

(٩) ابن الخطيب : الأعمال ص ١٢٢ — ٣١٢ .

ما فى الطُّلول مِن الأحِبّةِ مُخبِرُ ... فمَن الَّذى عن حالِها نَسْتَخْبِرُ ؟
لا تَسأَلَنَّ سِوى الفَراقِ فإِنَّهُ ... ينبيكَ عنهم أَنجدوا أَم أَغوروا

ومن الغريب أن مدعى الخلافة ، الذى كانت ترتكب باسمه كل هذه الأعمال البربرية الوحشية ، كان هو نفسه رجلا نبيلا مثقفا ذا احساس مرهف[١] . ولقد وجد أبو عامر فى نفسه ميلا الى تأييده ، فقد كان هو نفسه معارضا للمهدى ، فلما كاتبه وجد أنه يستطيع أن يسمو الى مستواه الرفيع . وفى هذا يقول فى قصيدة يخاطبه بها[٢] (القصيدة رقم ٤٦) :

فنِلْتَ الَّذى قد نِلْتَ إذ ليس للعُلا
سِواكَ كأَنَّ الدَّهْرَ للنَّاسِ مُنتقى

وقد مدحه فوق ذلك فى قصيدة ، (القصيدة رقم ٣٨) ، يتمثل بها الحميرى[٣] لكى يبرهن على قدرة ابن شهيد وتفوقه فى « النوريات » ، أى فى وصف الزهور .

وكأَنَّما خِيرِيُّها تحت الدُّجى ... بين الأَزاهِرِ قامَ كالمُتَطَلِّعِ
يَرْجو زِيارةَ مَن يُحِبُّ لِوَعْدِه ... كَلَفاً فباتَ مُراقِباً لم يَهْجَعِ

وكان أبو عامر قد بلغ مبلغ الرجال ، ولكنه صار يحيا حياة بعيدة عن تلك التى كان يرجوها له والده . ويقول ابن بسام[٤] : « كان بقرطبة فى رقته وبراعته وظرفه خليعها المنهمك فى بطالته ، وأعجب الناس تفاوتا ما بين قوله وفعله ، واحطهم فى هوس نفسه ، وأهتكهم لعرضه ، وأجرأهم على خلقه » . والصورة التى يرسمها له ابن حيان[٥] هى أيضا لا ترحم ، فهو يقول : « من رجل غلبت عليه البطالة فلم يحفل فى آثارها بضياع دين ولا مروءة ، فحط فى هواه شديدا حتى أسقط شرفه ، ووهم نفسه راضيا فى ذلك بما يلذه ، فلم يقصر عن معصية ، ولا ارتكاب قبيحة » ، ولكنه مع ذلك يضيف مخففا من وقع ما قال « وكان مع ذلك من أصح الناس رأيا لمن استشاره ، وأضلهم عنه فى ذاته ، وأشدهم جناية على الاملاق ، فمضى على هذه

---

(١) البيان ج ٣ ص ١١٨ — ١١٩ ، الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٤ — ٣٤ .
(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٧٤ .
(٣) البديع ص ٣٥ — ٣٦ .
(٤) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٣٦ .
(٥) فى المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٦٢

السبيل رحمه الله » . ومن مثل هذه الأقوال ، تبرز لنا صورة ابن شهيد كشخصية متناقضة غاية التناقض ، معقدة غاية التعقيد .

وسرعان ما اكسبته هذه المباذل التى انغمس فيها سمعة لا يحسد عليها ، وأكثرت هجماته فى كتاباته على الناس ، من عدد أعدائه ، الذين لم يتوانوا عن انتهاز الفرص الكثيرة التى أتاحها لهم سلوكه الفاجر المعيب[1] . وهناك قصة تحكى ، قد يرجع تاريخها الى فترة لاحقة من فترات حياته ، ولكنها بالتأكيد لم تحدث بعد الفترة مابين الأعوام ٤١٦ – ٤٢٠ (١٠٢٥ – ١٠٢٩) [2] على وجه التقريب . ولكنها تصور مع ذلك السمعة السيئة التى اكتسبها بسلوكه مبكرا . فيحكى ابن خاقان[3] عن الوزير أبى الحسين بن سراج ، أنه كان من عادة شاعرنا أن يجلس عند مدخل المسجد الجامع بقرب الصومعة فى ليلة القدر فى جمع من أصدقائه . ثم يضيف ، « اذا بجارية من أعيان أهل قرطبة معها من جواريها ، من يسترها ويواريها ، وهى ترتاد موضعا لمناجاة ربها ، وتبتغى منزلا لاستغفار ذنبها ، وهى منتقبة ، خائفة وممن يرقبها مترقبة ، وأمامها طفل لها كأنه غصن آس ، أو ظبى يمرح فى كناس ، فلما وقعت عينها على أبى عامر ولت سريعة ، وتولت مروعة ، خيفة أن يشبب بها أو يشهر باسمها ، فلما نظرها ، قال قولا فضحها به وشهرها » . (القصيدة رقم ٣٧) :

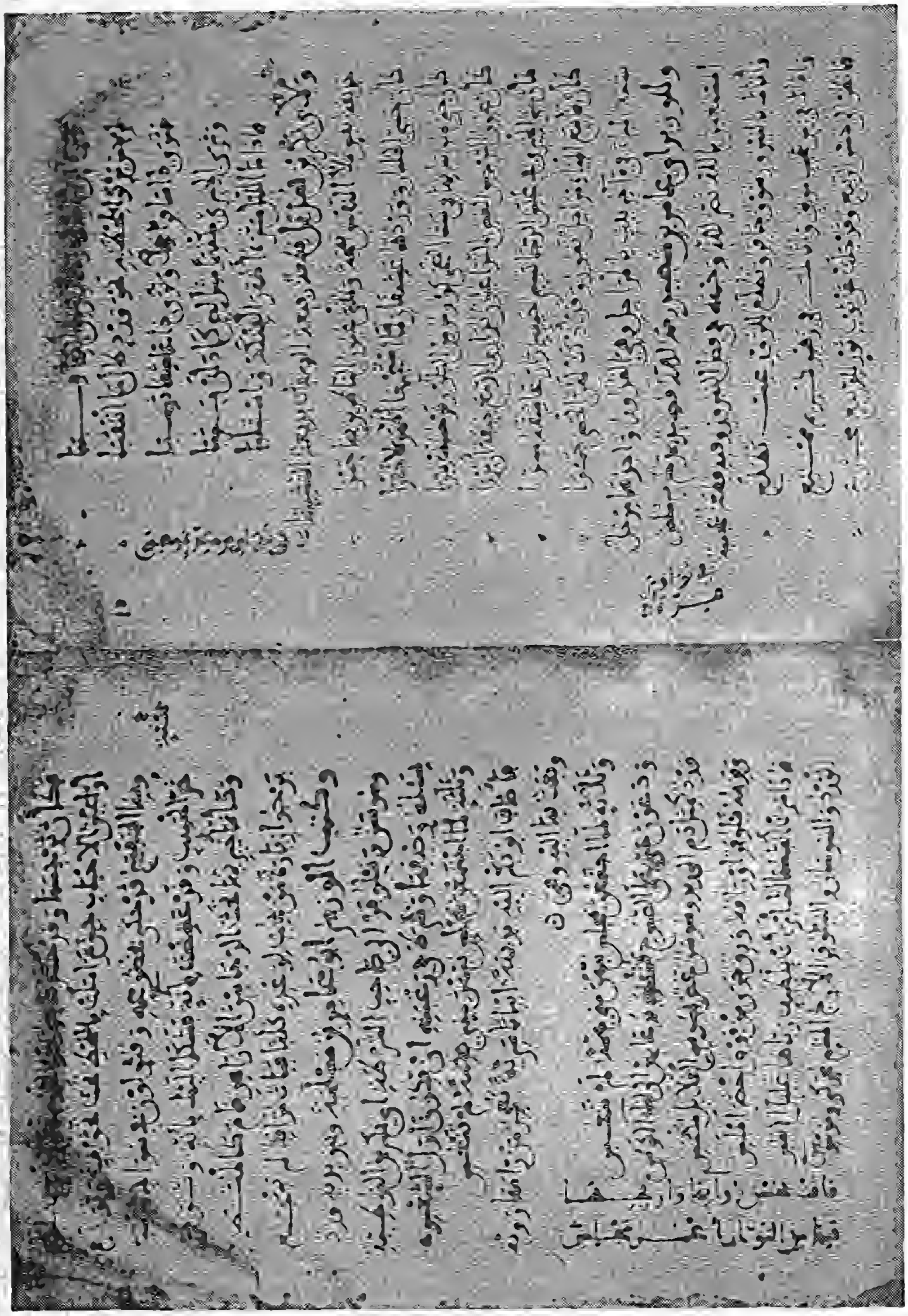
وناظِرةٍ تحتَ طَيِّ القِناعِ ... دَعاها إلى اللهِ والخَيْرِ داعِ

ولقد زاد من انتشار هذه السمعة السيئة شعر المجون الذى كتبه لشاعر ، وهذه القصائد من المجون شعر رائع ممتاز ، ونراه فى « رسالة التوابع والزوابع » [4] يتخيل أن هذه القصيدة قد هزت شيطان أبى نواس – وهو نفسه لم يكن بالغر المبتدىء فى ميدان الشعر المجونى – حتى انه يقفز على قدميه وينطلق راقصا ، وهو يردد أبياتها[5] .

ولقد كانت هذه هى الفترة التى بدأ فيها ابن شهيد يرسى قواعد شهرته ككاتب أديب . وهو يقول عن نفسه فى « الرسالة » : « كنت أيام كتاب الهجاء ، أحن الى الأدباء ، وأصبو الى تأليف الكلام : فاتبعت الدواوين ، وجلست الى الأسانيد ، فنبض

---

(١) انظر بعده ص ٢٢ ، ٢٤ .
(٢) تاريخ تأليف رسالة التوابع والزوابع التى وردت فيها هذه القصيدة .
(٣) المطمح ص ١٨ – ١٩ .
(٤) سأطلق عليها فيما بعد « الرسالة » .
(٥) الذخيرة ، قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢٥ .



(مخطوطة القصيدة ٣٨)

لى عرق الفهم ، ودر لى شريان العلم ، بمواد روحانية ، وقليل الالتماح من النظر يزيدنى ، ويسير المطالعة من الكتب يفيدنى ، اذ صادف شن العلم طبقه . ولم أكن كالثلج تقتبس منه نارا ، ولا كالحمار يحمل أسفارا . فطعنت ثغرة البيان دراكا ، وأعلقت رجل طيره أشراكا ، فانثالت لى العجائب ، وانهالت على الرغائب[1] » . وظل هكذا حتى صار فى النهاية أبرز نجم فى المجتمع الأدبى ، ولعلنا لا نكون بعيدين عن الصواب ان أكدنا أن هذا هو الزمن الذى بدأ فيه ابن شهيد يتخذ له أصدقاء من الأمراء والوزراء ورجال الأدب وكثير من هؤلاء تجمعوا فى حركة أدبية كان هو على رأسها . وكان بين هؤلاء الأصدقاء عبد الرحمن ، خليفة المستقبل وشقيق المهدى ، وكان منهم ابن ذكوان قاضى قرطبة ، وأبو عامر بن المظفر ، والوزير الزجالى ، وأبو عبدة ، وعبد الوهاب بن حزم ، وكان منهم فوق كل هؤلاء ابن عم الأخير ، الأديب الشهير أبو محمد بن حزم وهو الذى ارتبطت حياته ارتباطا وثيقا بحياة ابن شهيد . وبعد ذلك يليهم فى المرتبة من أعضاء هذه الجماعة مجاهد الموفق[2] ، ملك دابية ، من ملوك الطوائف ، وأبو حفص بن برد[3] ، وأبو بكر المروانى ، وأبو بكر محمد المصحفى[5] ، وأبو عبد الله بن الحناط (وفى قراءة أخرى الخياط)[6] وأبو الأصبغ القرشى[7] ، ومحمد بن يحيى بن أبى مضر الطبنى[8] .

ويقول جارثيا جوميز[9] ان المجتمع العالمى المكون من مختلف الأمم يساعد على خلق شعر مدنى متحضر . ولقد كانت قرطبة فى عهد الخلافة هذا ، بمساجدها وكنائسها وبيع اليهود فيها ، وبسكانها ولغاتهم المختلفة ، من عرب ، ومن مولدين ، ومن صقالبة ، وبربر ، ومن الاسبان « المستعربين » ، واليهود ، البيئة المثالية لمثل هذا الشعر وكان ابن شهيد مثالها الأعلى وصورتها الكاملة . فلقد كان يغشى مجالس اليهود[10] والمستعربين ، حتى أنه حضر ، مرة واحدة على الأقل ، قداسا مسيحيا[11] .

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢١٠ – ٢١١ .
(٢) نفس المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٨٦ – ١٩٠ .
(٣) المرجع السابق قسم ١ مجلد ٢ ص ٥١ .
(٤) « « قسم ١ مجلد ١ ص ٢٦١ .
(٥) « « « « ص ٢٧٩ – ٢٨٠ .
(٦) النفح ج ٤ ص ٢٤٦ ؛ ابن سعيد : المغرب ج ١ ص ١٢٣ .
(٧) النفح ج ٥ ص ١٣١ .
(٨) ابن سعيد : المغرب ج ١ ص ٩٢ .
(٩) Poesia aràbigoandaluza ص ٥٧ .
(١٠) انظر الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٩٩ – ٢٠٠ .
(١١) المرجع السابق « « ص ١٨٠ – ١٨٣ .

وهو يحدثنا فى رسالة كتبها فيما بعد الى أبى القاسم الافليلى عن مسخ الاسرائيليين الى صورة القردة[1] (كما كان فى نعت المسيحيين بالخنازير اشارة الى عادة آكل لحم الخنزير عندهم) . وهو فى مكان آخر يشير اشارة مقتضبة الى ما يسميه « لعبة اليهودى »[2] ، ومن الواضح أنه يشير بهذا الى نوع من أنواع التمثيليات ...

ولقد لقى وصف ابن شهيد العجيب لقداس مسيحى عند المستعربين كان من حظه أن حضره ، ما يستحق من شهرة واسعة : « وبات ليلة باحدى كنائس قرطبة وقد فرشت بأضيغاث آس ، وعرشت بسرور واستئناس ، وقرع النواقيس يبهج سمعه ، وبرق الحميا يسرج لمعه ، والقس قد برز فى عبدة المسيح ، متوشحا بالزنانير أبدع توشيح ، وقد هجروا الأفراح ، واطرحوا النعم كل اطراح ... وأقام بينهم يرشف حميا ، كأنما يرشف من شفة لميا ، وهى تنفح له بأطيب عرْف ، كلما رشف أعذب رشف ، ثم ارتجل بعد ما ارتحل (القصيدة رقم ٣١) :

وَلَرُبَّ خانٍ قد أَدرْتُ بِدَيْرِهِ ... خَمْرَ الصِّبا مُزِجَتْ بِعَفْوِ خُمورِهِ

. . . .

وقد يقال ان هذا وصف شاعر فيه من المبالغة كثير ، ولكن ابن عبدون[4] ، بعده بقرن كامل يعطينا فى بعض مؤلفاته صورة تؤكد وصف ابن شهيد .

وقد استمرت الفترة الثانية لحكم سليمان « المستعين » من عام ٤٠٣ (١٠١٣) الى عام ٤٠٧ (١٠١٦)[5] . وكان حكم الخلافة الفعلى حينئذ قد اقتصر ، فوق العاصمة قرطبة نفسها ، على أشبيلية ولبلة وأكشونبة وباجة ، اذ أن جل أرض الأندلس قد انشق عليه[6] بعد الدمار الماحق عام ٤٠٣ (١٠١٣) . ولقد اختفى هشام الثانى فى ذلك العام فى ظروف غامضة جدا ، مما أتاح لادريسى من المغرب ، هو على بن حمود ، صاحب مدينة سبتة ذريعة يتخذها لكى يستولى لنفسه على الخلافة ،

---

(١) انظر القرآن الكريم آية ٦٥ سورة البقرة ، آية ٦٠ سورة المائدة ، آية ١٦٦ سورة الأعراف .

(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٠٧ .

(٣) ابن خاقان : المطمح ص ١٨ – ١٩ ؛ النفح ج ٢ ص ٦٦ – ٦٧ . انظر أيضا سيمونت : Historia de los mozàrabes ص ٦٤٨ – ٦٤٩ ؛ ليفى بروفنسال : L' Espagne musulmane ص ٣٥ – ٣٦ ، بيريز Poésie andalouse ص ٢٧٧ – ٢٧٨ .

(٤) انظر ملحق ج .

(٥) البيان ج ٣ ص ١١٣ – ١١٧ .

(٦) المرجع السابق ج ٣ ص ١١٣ ؛ ١١٥ – ١١٦ .

بينما هو فى ظاهر الأمر يسعى لكى يضمن الحرية للخليفة هشام الثانى ، أو ينادى بالانتقام له[1] .

وكانت علاقات ابن شهيد بسليمان حينئذ تتدهور باستمرار ، فان سلوكه العجيب قد زاد من عدد أعدائه ، ولعل أبا محمد كان أهم هؤلاء فى هذا الحين ، وقد كان طريقه الى الخليفة سهلا ، فاتخذه لكى يهمس فى سمعه بأن شعر ابن شهيد موضع شبهة » ويقول الشاعر نفسه ، « أما أبو محمد فانتضى علىّ لسانه عند المستعين » [2] . ولقد فشلت كل محاولة للتعرف على شخص أبى محمد هذا . وقد قيل انه أبو محمد ابن حزم ، صديق شاعرنا ، ولكن ذلك سخيف غير معقول ، ان لم يكن لسبب غير أن ابن حزم كان منفيا بين عامى ٤٠٣ و ٤٠٩ (١٠١٣ ـ ١٠١٩) ولقد قيل أنه القاضى أبو محمد عبد الله بن الفرضى ، ولكن ذلك أكثر سخفا اذ أن ذلك الرجل قد قضى حينما استباح البربر المدينة ، كما بيّنا من قبل [3] .

ولما تأمل الشاعر كيف تسممت أفكار المستعين ضده بسبب ألسنة الواشين ألف بعض الأبيات التى تبدأ بقوله (القصيدة رقم ٣٠) [4] :

وبُلِّغْتُ أقْواماً تجيشُ صُدُورُهُمْ   علىَّ ، وإنى منهمُ فارِغُ الصَّدْرِ

وبعد ذلك بقليل كتب قصيدة أخرى بهذا المعنى أيضا ، مشيرا فيها الى رجل فاق المستعين فى الجود والكرم ، فهو أحرى بأن يلجأ اليه ليجد ما يستحقه من عطاء وفضل . وفى ذلك اشارة واضحة الى على بن حمود ، الذى كان فى ذلك الوقت يتحدى سلطة الخليفة بعد أن عبر المجاز الى مالقة [5] . ولعلنا نرى فى هذه القصيدة سخرية الأقدار كامنة ، فيما نراه من نظرة الى المستقبل صادقة أو تنبؤ بالأحداث ، بالنظر الى ما صادف شاعرنا من تجارب لاحقة (القصيدة رقم ٦١) [6] :

لَئِنْ وَرَدْتُ سُهَيْلاً غِبَّ ثالِثَةٍ   لَتَقْرَعَنَّ علىَّ السِّنَّ مِن نَدَمِ
هُناكَ لاتَبْتَغِى غيرَ السَّناءِ يَدِى   ولا تَخِفُّ إلى غيرِ العُلا قَدَمِى
حتى تَرانِى فى أدْنَى مَواكِبِهِمْ   على النَّعامةِ شَلَّالاً مِنَ النَّعَمِ

(١) المرجع السابق ص ١٢٠ .   (٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٣٣ .
(٣) بطرس البستانى : رسالة التوابع والزوابع ص ٣٨ .
(٤) الذخيرة قسم ١ مجلد ٦ ص ٢٣٣ .
(٥) البيان ج ٣ ص ١١٦ .
(٦) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

(٣)

(٤٠٧ - ٤١٣ / ١٠١٦ - ١٠٢٣ م)

كان شاعرنا فى الثالثة والعشرين من عمـــره عندما سقطت قرطبـــة فى يد على بن حمود فى المحرم من عام ٤٠٧ (يوليه ١٠١٦) [١] ، ومع أنه بالطبع لم يكن يدرى ، فانه كان على وشك أن يواجه أزمة من أكبر الأزمات التى واجهته طول حياته • أما على بن حمود فلا بد أنه شعر بالارتياح الشديد اذ فشلت جهوده للعثور على هشام المؤيد الثانى ، الذى لم يزل اختفاؤه لغزا يحير المؤرخين والباحثين ، وكان ذلك خطوة كبرى فى طريق تدهور الخلافة كنظام • ولقد اتهم سليمان بقتل الملك ؛ وحوكم وأعدم[٢] • أما الخليفة الجديد ، فكان قد أصبح ، بالرغم من أصله العربى، من البربر فى كل شىء ، طبعا وتطبعا حتى أن لغته العربية كانت ركيكة[٣] • ولقد حاول جهده أن يحد من سوء تصرف أعوانه من البربر ، ولكن أهل قرطبة امتنعوا عن التعاون معه بتاتا حتى نفد صبر على وبدأت حينئذ حملة ارهاب[٤] •

أما أعداء شاعرنا ، فان جهودهم فى سبيل فضيحته لم تلن ، ومن المحتمل أن هذا الوقت الذى وصل فيه الارهاب الحموى أقصى مداه (٤٠٨ : ١٠١٧) ، هو الوقت الذى فيه صادف مسعاهم النجاح • وقد ذكر ابن شهيد نفسه ثلاثة أسماء فى «الرسالة» [٥] لثلاثة أشخاص بذلوا كل جهد حتى النهاية فى سبيل تحقيره ، وهم أبو محمد وأبو القاسم وأبو بكر • ولما كان أولهم كما بينّا مسئولا عن غضب سليمان عليه ، فمن المحتمل أن يكونوا مسئولين عن سوء المعاملة التى يذكر ابن خاقان أن شاعرنا لقيها « أيام العلويين » [٦] ولكن من غير المحتمل أن يكون القاسم بن حمود

---

(١) البيان ج ٣ ص ١٢٠ .
(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ١١٨ .
(٣) ابن الخطيب : الأعمال ص ١٢٢ — ١٢٣ .
(٤) البيان ج ٣ ص ١٢١ — ١٢٣ .
(٥) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٣٣ .
(٦) المطمح ص ٢٠ .

هو المسئول عن ذلك ، فقد كان سمحا لين العريكة ، بينما ليس معقولا أن يكون المسئول يحيى ، فقد كان صديقا لابن شهيد[1] .

ولقد وضحنا من قبل أنه ليس من السهل التوصل الى معرفة شخصية أبى محمد. ولكن الأمر يختلف بالنسبة الى أبى القاسم الذى انقلب فيما بعد صديقا من أصدقاء شاعرنا . وهو يقول فى « الرسالة » : « أما أبو القاسم الافليلى فمكانه من نفسى مكين ، وحبه بفؤادى دخيل[2] . وقد مدحه أيضا فى قصيدة له (القصيدة رقم ٤)[3] :

التَّقِىُّ النَّقِىُّ كَهْلاً وطِفْـلاً فارِسُ الجَيْشِ راهِبُ المِحْراب

ولقد كان أبو القاسم لغويا مشهورا ، لذا وجد مكانه كلغوى بين أهل العلم الذين ذكرهم ابن شهيد فى « الرسالة »[4] . وهناك أيضا صورة هزلية ماجنة يداعب بها ابن شهيد صديقه ، وتمثل أروع تمثيل وأكمله أسلوب ابن شهيد البديع فى النثر فهو يقول « ومن العجب أيضا فى أمره أن كل كاتب كتب للسلاطين عندنا، وكل شاعر مدحهم ، رويت أشعاره ورسائله غير أبى القاسم وحده .... والمحروم محروم . ولو أنه اشترى الزبيب لصبيان المساجد ، وقشور أصل الجوز لصبغ شفاه حراجيات الخانات ، وروّى الطبقتين ما عنده ، لعرضنا رسوله وجعائله ، وروينا أشعاره ورسائله ، وغنتا بها على قوارع الطرق ومناقع المياه ومطارح الزبول ، كما تغنيان أشعارهما ، وتسمعان حماقتهما ، فيكون ذلك سببا الى أن تدب وتدرج ، وتعتاد الطيران فتطير ، ويراها الناس فتعرف »[5] .

ولم نتمكن من التحقق من شخصية أبى بكر على وجه التحديد . فقد يكون هو أبو بكر المعروف باشكمياط ، الذى تقاذف مع ابن شهيد مرة بأقذع الألفاظ[6] . وقد تكون هذه حالة مماثلة لقصة الافليلى ، فيكون أبو بكر هذا هو أبا بكر بن حزم الذى اليه وجهت « الرسالة »[7] . وأكثر احتمالا من هذين أن يكون هو أبو بكر

---

(١) يرى دوزى فى كتابه Historia Abbadidarum (ج ١ ص ٣٦١) أن مسئولية على ثبتت من ورود الكلمتين « سطوة علوية » (قصيدة ١٨ بيت ٢٦) وبالرغم من أن الصفة « علوى » أطلقت على ثلاثة أفراد من الأسرة فى نفس السياق ، فانه قد يبدو أن الشاعر عنى عليا .

(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٣٣ .

(٣) « « « « ص ١٨٤ .

(٤) « « « « ص ٢٣٤ .

(٥) « « « « ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(٦) « « « « ص ١٩٥ — ١٩٦ .

(٧) « « « « ص ٢١٠ .

ابن ماء السماء وهو شاعر ممتاز اشتهر فى عهود آل عامر وآل حمود بآرائه الشيعية ، وكان من متملقى على بن حمود[1] . ويقول ابن شهيد انه مات فى مالقة عام ٤١٩ (١٠٢٨)[2] .

ولقد نجح هؤلاء فى تحريض على بن حمود ، فسجن ابن شهيد . ولم تكن آراء أبى عامر فى البربر مما تجعله مقربا محببا الى على بن حمود . ولم يكن على ابن حمود على أى حال بقادر على فهم شعر ابن شهيد . ولا شك أن هذه العوامل جميعا ساعدت على الوصول به الى السجن ، ولكن أعداءه اتخذوا مما اشتهر به من فجور وفسق أساسا لهجماتهم . ويرى بيريز[3] فى هذا برهانا على وجود ضغط شيعى من العلويين على دوائر البلاط مقصده تقويم أخلاقهم ثم تغيير مذهبهم ، فقد كان القاسم ابن حمود يذكر عنه أنه يتشيع[4] . ويقول ابن خاقان « ودبت اليه أيام العلويين عقارب ، وبرئت بها منه أباعد وأقارب ، واجهه بها صرف قطوب ، وانبرت اليه منه خطوب ، نبالها جنبه عن المضجع ، وبقى بها ليالى يأرق ولا يهجع ، الى أن علقته من الاعتقال حبالة ، وعقلته فى عقال أذهب ما له ، وأقام مرتهنا ، ولقى وهنا »[5] . ولقد ألف أبو عامر قصيدة من أشهر شعره عن تجاربه فى السجن ، وفى « الرسالة »[6] أن ما فى هذه القصيدة من أسى وشجن هاج قلب شيطان أبى نواس حتى ذرف الدمع الغزير : (القصيدة رقم ١٨)[7] .

قَرِيبٌ بِمُحْتَلِّ الهَوَانِ بَعِيدُ ... يَجُودُ وَيَشْكُو حُزْنَهُ فَيُجِيدُ

والشاعر هنا يدفع عن نفسه ما اتهم به من الخفة والطيش ، معترضا بأن كل ذنبه هو أنه لا يجد السعادة الا فى قرض الشعر . وهذه القصيدة أساسية فى دراستنا اذ أنها تصور رأى ابن شهيد فى الشعر كضرورة نفسية . وسجن هذا الشاعر صاحب الآراء السامية عن الشعر وقيمة الشاعر مثل حق يبين ما اتصف به حكام البربر من جهل فى الحقيقة وادعاء للعلم مضحك .

---

(١) أنظر المرجع السابق قسم ١ مجلد ٢ ص ٩-١٠ ؛ النفح ج ٢ ص ٢٩ .
(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ٢ ص ٣ . عن هذا الشاعر انظر الضبى ؛ البغية ، ص ٣٨٣ - ٣٨٥ ؛ ابن شاكر : فوات الوفيات ج ١ ص ٤٦٥ - ٤٦٩ .
(٣) La Poésie andalouse ص ٦٥ - ٦٦ ، ٩٥ - ٩٦ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ٢٨٦ .
(٥) المطمح ص ٢٠ .
(٦) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢٥ .
(٧) ابن خاقان : المطمح ص ٢٠ - ٢١ .

وقد تكون مدة سجن أبى عامر قصيرة ، وقد تكون طويلة لم تنته حتى تاريخ اغتيال ابن حمود فى ذى القعــدة عام ٤٠٨ (مارس ١٠١٨) واعتلاء أخيه القاسم العرش مدة ثلاث سنوات امتازت بهدوئها النسبى • ولم يقطع هذا الهدوء غير حدث واحد هو الثورة الفاشلة التى أشعل نارها مدعى الخلافة الأموي عبد الرحمن المرتضى الذى قتله بربر غرناطة قبل أن يتمكن من التوجه الى قرطبة[١] • وكما تقدم ابن حزم يعاون المرتضى ويعمل له وزيرا[٢] ، فان ابن شهيد وغيره من الناس رأوا فى المدعى الجديد أملهم فى انقاذ الأندلس • ولقد كتب فيما بعد[٣] قصيدة (القصيدة رقم ٧٠)[٤] تبين بوضوح الى أية وجهة كان ولاؤه :

يا سَخْطَ رَبِّ العُـلَا عَلَيْهِ إذ أَدَّتِ المُرْتَضَى يَـــداهُ

ولقد كان فى عودة ابن حزم الى قرطبة فى شوال ٤٠٩ (فبراير ـ مارس ١٠١٩)[٥] بعد غيبة ست سنوات ما أعاد حبل الصداقة من جديد بينه وبين ابن شهيد فى تحالف كان من الممكن أن يقيم ثورة كبرى فى عالم الأدب العربى الاسبانى لولا أن حطمت الفتنة حياة ذلك الجيل • ولقد كانت حياة ابن حزم حتى ذلك الحين فى غاية الاضطراب ، أكثر اضطرابا حتى من حياة صديقه • ولقد ولد ابن حزم عام ٣٨٤ (٩٩٤)[٦] ، من أسرة ظاهرة الولاء لبنى عامر ، فقــد طرد والده من منصبه وعاش موضع ريبة من السلطات حتى مات فى عام ٤٠٢ (١٠١٢)[٧] • وفى العام التالى وعمره تسعة عشر عاما هرب الفتى من المدينة عندما استباحها البربر[٨] • ولقد اتجه أولا الى « المرية » وبعد تجوال طويل سجن خلاله مرتين لأسباب سياسية[٩] ، عاد الى قرطبة وهى تنعم بالسلام فى حكم القاسم[١٠] • وكان ابن شهيد أكبر عمــرا من صديقه بعامين ، فكان هو دائما الشريك الأقوى ، وظل ابن حزم تحت تأثيره الى أن بلغ هو من عمره ثلاثين عاما على الأقل • وشعر ابن حزم أقلّ مرتبة من شعر ابن

---

(١) البيان ج ٣ ص ١٢٥ – ١٢٨ .
(٢) الطوق ص ١١٨ ، ابن الخطيب فى دوزى : Catalogus ج ١ ص ٢٣٠ .
(٣) انظر بعده ص ٤٧–٤٨ .
(٤) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٨٨ .
(٥) الطوق ص ١١٢ .
(٦) ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٤١٠ .
(٧) الطوق ص ١١١ .
(٨) المرجع السابق ص ١١٢ .
(٩) « « ص ١١٨ .
(١٠) « « ص ١١٩ .

شهيد ، ولكنه يختلج حياة بهذه الفورة التى استحدثتها فى الأدب الأندلسى حركتهما الشعرية الجديدة . وهذه قصيدة[1] من شعر ابن حزم ، تمثل فى عنف عاطفتها وجسارة التجديد والابتكار فى صورها أروع تمثيل "هذا الفتح الجديد" :

وَدِدْتُ بأَنَّ القَلْبَ شُـقَّ بمدية

وأُدْخِلْتِ فيه ثُمَّ أُطبِقَ فى صَدْرِى

فأَصْبَحْتِ فيه لا تَحِلِّينَ غـيرَهُ

إلى مُنْقَضَى يَوْمِ القيـامَةِ والحَشْرِ

تَعِيشِينَ فيه ماحَيِيتُ فإِنْ أَمُتْ

سَكَنْتِ شَغافَ القَلْبِ فى ظُلَمِ القَبْرِ

ولقد كانت هذه المشاركة الأدبية مثمرة جـدا ، على الأخص ، فى ميـدان التراسل . فهذا هو ابن شهيد يمدح صـديقه بشعر متقن أنيق (القصـيدة رقم ٢٧)[2] .

وأَنْتَ ابنَ حَزْمٍ مُنْعِشٌ مِن عِثَارِها

إذا ما شَرِقْنا بالجُدُود العـواثِرِ

. . . .

فسَلَّ مِن التَّأْوِيلِ فيها مُهَنَّدًا أَخُو شافِعِيَّات كَرِيمُ العَناصِرِ

لمُعْتَزِلِيّ الرَّأْى ناءٍ عن الهُدَى بعيدِ المرامِى مُسْتَمِيتِ البَصائِرِ

وهذا البيت يعنى أن القصيدة كتبت قبـل أن يتحول ابن حـزم الى المذهب الظاهرى فى عام ٤٢٠ (١٠٢٩)[3] ، ويوحى بأن أبا عامر كان حينئذ يتبع نفس

---

(١) المرجع السابق ص ٦٣ .

(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ص ٢٤٩ — ٢٥٠ .

(٣) هذا أكثر تاريخ احتمالا لتأليف « الفصل » لابن حزم . انظر طه الحاجرى : ابن حزم ، صورة أندلسية ، ص ١٦٦—١٦٧ .

المذهب الذى يتبعه صديقه . وسنورد أمثلة من مراسلات الشاعرين كلما دعت الحال . ويورد المقرى [1] قصة عن صداقتهما ، فيقول : « حكى أن الحافظ أبا محمد ابن حزم قصد أبا عامر بن شهيد فى يوم غزير المطر والوحل شديد الريح ، فلقيه أبو عامر ، وأعظم قصده على تلك الحال ، وقال له : يا سيدى ، مثلك يقصدنى فى مثل هذا اليوم ، فأنشده أبو محمد بن حزم بديها :

وَلَوْ كانَتِ الدُّنْيا دُوَيْنكَ لُجَّةً ... وفى الجَوِّ صَعْقٌ دائِمٌ وحَرِيقُ
لسهَّلَ وُدى فِيكَ نَحْوَكَ مسلكًا ... ولم يتعذَّرْ لِى إليكَ طَرِيقُ

وقد كتب ابن حزم عام ٤٢٠ (١٠٢٩) [2] « رسالة فى فضائل الأندلس [3] » وهى تاريخ قصير للأدب الأندلسى ، كتبه كجزء من جهد عام يهدف الى خلق أدب أندلسى عن طريق اثارة مشاعر الفخر عند مسلمى أسبانيا . فهو يقول « ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا ، وهو حى بعد لم يبلغ سن الاكتهال ، وله من التصرف فى وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لسانى عمرو وسهل » [4] .

ولا يمكن فصل الصداقة الوثيقة بين أبى عامر وابن حزم عن الود والصداقة الشديدة بينه وبين ابن عم هذا الأخير ، عبد الوهاب بن حزم [5] ، وهو عضو آخر فى جماعتهم . ويقول ابن خاقان [6] ، « وكان هو وأبو عامر خليلى صفاء ، وحلفى وفاء ، ولا ينفصلان فى رواح ولا مقيل ، ولا يفترقان كمالك وعقيل ، فكانا بقرطبة رافعى ألوية الصبوة ، وعامرى أندية السلوة ، الى أن أخذ أبو عامر فى حبالة الردى وعلق ، وغدا رهنه فيما قد غلق ، فانفرد أبو المغيرة بذلك الميدان ، واسترد من سبقه ما فاته منذ زمان ، فلم يذكر له مع أبى عامر حسنة ، ولا سرت له فقرة مستحسنة ، لتعذر ذلك وامتناعه ، بشفوف أبى عامر وامتداد باعه » .

وكما أن كل صالح الى ذهاب سريع ، فقد انتهى سريعا عهد السلام تحت حكم

---

(١) النفح ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٢) انظر بلا : Ibn Hazm , bibliographe et apologiste de l'Espagne musulmane) فى Al — Andalus ج ١٩ (١٩٥٤) ص ٩٤ .

(٣) النفح ج ٤ ص ١٧٦ .

(٤) أى عمرو بن بحر الجاحظ وسهل بن هارون .

(٥) عن هذا الشاعر انظر ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٣٧٤ ؛ الحميدى : الجذوة ص ٢٧٣ .

(٦) المطمح ص ٢٢ .

القاسم ، اذ ثار عليه يحيى ، ابن أخيه علي بن حمود ، ففر القاسم في ربيع الثاني عام ٤١٢ (أغسطس ١٠٢١) ولجأ الى أشبيلية [١] . وبعد فراره بثمانية أيام أعلن يحيى نفسه خليفة واتخذ لنفسه لقب « المعتلي » وقد كان ابن شهيد على أحسن صلة بالخليفة الجديد ، كما تدل القصائد التي توجه بها اليه ، ومن بينها القصيدة (رقم ٢٤) [٢] ، ولعلها كتبت عند اعتلاء يحيى العرش ، وهي قصيدة مشهورة بوصفها البديع ، خاصة في الجزء الذي يصف الرحلة فيه منها . ويلي ذلك وصف كئيب لعهد الفتنة المظلم يمهد الطريق لظهور الخليفة الجديد :

وسِرْنا نَجُوزُ النَّهْجَ حتى بَدا لنا بغُرَّةِ يَحْيى ساطِعُ اللَّوْنِ أَزْهَرُ

ويبدو أن هذه الفترة التي تفاقم فيها العداء بين ابن شهيد ومن يدعى ابن فتح، ولكن ابن فتح كانت تحميه قرابته من يحيى . والقطعة النثرية التي ننقلها ، بأسلوبها الخشن المعقد ، مثال لابن شهيد في أروع أحواله ، وهي تبني لبنة لبنة حالة من الحنق المجنون والعداء والكراهية ، اذ يقول الشاعر في رسالة الى الوزير أبي جعفر ابن عباس ، « وما كان هذا القرد أهلا لأن يحمل عليه خر كلام ، ولا ليرمى بفضل بيان . وبالحرا أن يرقم على عتبة دكان ، أو يصوَّر على باب حمَّام ، وقد غرس في وجعائه رأس نخلة ، وحيي في سعفها عش نحلة ، أو ينقش في خاتم ، وقد علاه خنزير ، وعطس مستنجاه بابرة زنبور ، فانه بقيَّة من بني اسرائيل الذين استحلُّوا الحرام ، واجترحوا السيئات والآثام ، فلما عتوا عما نهوا عنه ، قيل لهم كونوا قردة خاسئين ، فجعلت نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين [٣] .

ولولا أنه منتسب الى آل هاشم ، الى عصابة أقلَّتني كرمهم ، وأظلتني نعمهم ، ومسند على العلات من أبي جعفر ، الى وزير كان لي وزرا ، ورقرق شرابي ، وأخصب به جنابي ، لأدرت بداره دائرة السوء ، وسريت اليها في لمة من صعاليك الأحرار ، وصميم الرجال ، فأحرقتها على نازلها ، وجعلت عاليها سافلها ، امتثالا لقوله تعالى في ديار قوم لوط ، فالشائع لدينا أنها قرار لبنات السحق . وبركة لسمكات العشق، يتناكح بها النسوان بعضهن الى بعض بالصدقات ، ويستعملن خرز جلود البقر في الكيرنجات . فالله الله في قبول هذا القرد والالتباس به ، فانه قدار من لزمه ، وهو والفوضى [٤] رضيعا لبان ، وفرسا رهان » [٥] . وقد نظم اجتماع هام بين وزيرين

---

(١) البيان ج ٣ ص ١٣١ .

(٢) الثعالبي : اليتيمة ج ٢ ص ٣٥ — ٣٦ ؛ الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢١٣ — ٢١٤ ، ٢٤٦ .

(٣) القرآن الكريم آية ٦٥ سورة البقرة ، آية ١٦٦ سورة الأعراف .

(٤) أنظر بعده ص ٣٨ — ٤٠ . (٥) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٨٢ .

برغبة من ابى جعفر المذكور سابقا ، ولكن ابن فتح تدخل فأفسد ذلك ، مما أوحى الى ابن شهيد أن يهجوه هجاء مقذعا فى (القصيدة رقم ٦٧) [١] ، ملوحا مرة أخرى بتكرار كلمة « القرد » الى عادة اللواط عنده :

هَـلاَّ سَتَرْتَ الشَّيْنَ بالزَّيْنِ   مِن قَبْلِ إِحْضارِ الوَزِيرَيْنِ

وفى رجب عام ٤١٣ (نوفمبر ١٠٢٢) لما كان ابن شهيد فى الثلاثين من عمره، فقد صديقا من أقرب الأصدقاء الى قلبه ، وهو ابن ذكوان ، قاضى قرطبة الذى مات وهو فى التاسعة والستين [٢] • وكانت جنازته فى مدافن العباس فرصة لتجمع عدد غفير من الناس ، عامة وخاصة ، وكان من بينهم الخليفة يحيى ، وقام أبو حازم أخو الخليفة يوم صلاة الجنازة على جثمانه • وقد بكى أبو عامر صديقه فى مرثية (القصيدة رقم ٧) [٣] ومن المحتمل أن هذه المرثية كتبت لتلقى عند قبر الفقيد ، على عادة أهل الأندلس :

ظَنَنَّا الذى نادى محِقًّا بمَوْتِهِ   لعظم الذى أَنعى مِن الرُّزءِ كاذِبَا

وخلْنا الصَّباحَ الطلقَ لَيْلاً وإِنَّما   خَبَطْنا خُدارِيًّا مِن الحُزْنِ كارِبَا

وتلك الصلة الوثيقة الغريبة بين ذلك الفتى الشاعر العربيد ، وهذا الشيخ الوقور العالم الفاضل الذى كان يلقى خطبة الجمعة كل أسبوع فى المسجد الجامع فى قرطبة ، انما هى واحدة من غرائب أطوار ابن ذكوان فى حياته الطويلة • ولقد ولد ابن ذكوان عام ٣٤٢ (٩٥٣) وعينه المنصور عام ٣٩٢ (١٠٠٢) قاضيا لقرطبة وواعظا وخطيبا لمسجدها الجامع ، فظل فى منصبه هذا (فيما عدا فترات متقطعة) وفى مناصب أخرى حتى وافته منيته [٤] • ولما قرر المنصور عام ٣٦٩ (٩٧٩) تقريبا ، أن يطهر مكتبة الحكم المستنصر الشهيرة من الكتب الذميمة ، كان ابن ذكوان أحد العلماء الذين وكل اليهم أمر تصفية الكتب • ولقــد ذكرنا من قبل أن ابن ذكـوان أقر وساعد

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٨١ — ١٨٢ .

(٢) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٣٥ .

(٣) ابن خاقان : المطمح ص ١٩ — ٢٠ ومن الغريب أن موت أبى بكر ولد ابن ذكوان فى ربيع الأول سنة ٤٣٥ (سبتمبر — أكتوبر ١٠٤٣) كان موضوع مرثية لشاعر أشهر من ابن شهيد وهو ابن زيدون (ديوان ٥٣٠ — ٥٣٨) . انظر عياض بن موسى : ترتيب المدارك ج ١ ص ١٠٤ (مخطوط) .

(٤) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٣٥٠ .

عبد الرحمن بن المنصور شنجول (سانتشويلو) [١] على أن يعتلي عرش الخلافة ، مما دعا الشاعر ابن أبي يزيد المصري[٢] الى أن يهجو نفاقه ويسخر من مداهنته • ولقد أنقص من قدر نفسه أكثر ، حينما أسرع بعد ذلك بوقت قصير الى معاونة المهدى ، قاتل شنجول ، في الخدعة الفظيعة عن هشام المؤيد ، حينما أتى بجثة تشبه الخليفة المخلوع ، فدفنت في المدافن الملكية حتى يصدق الناس أن هشاما قد مات حقيقة • فان ابن ذكوان ، لم يكتف بأن شهد بأن الجثة حقا هي جثة هشام ، وانما قام أيضا بمراسم الجناز والدفن[٣] • ولما وجد هشام حيا ، وقدمه المهدى الى المجتمعين من شعب قرطبة في ربيع الأول عام ٤٠٠ (نوفمبر سنة ١٠٠٩) ، وقع الاختيار غير الموفق على ابن ذكوان ، لكي يكون البشير الذي يحمل هذه الأخبار السارة الى البربر ، فسألوه كيف شهد بموت هشام من قبل[٤] ، وهشام الآن حي يرزق • وكان من الطبيعي حين أعيد هشام الى عرشه (٤٠٠ - ٤٠٣ هـ / ١٠١٠ - ١٠١٣) أن يقصى ابن ذكوان عن منصب القضاء في عام ٤٠١ (١٠١١) [٥] • ولكن ما ان مضت سنتان حتى كان ابن ذكوان على رأس الوفد الذي أرسل الى البربر الذين أحاطوا بقرطبة ، لكي يتفقوا على شروط التسليم[٦] •

ويحكى أن أبا عامر كان يزور ابن ذكوان القاضي وعنده جمع من الأدباء • وكانت الباكورة من محصول الفول قد ظهرت ، وجيء ببعضها هناك ، وقال ابن ذكوان ان حبات الفول لا يمكن وصفها وصفا كاملا ، ولكن قوة الارتجال الجبارة التي عرفت عن ابن شهيد أثبتت في هذه الفرصة كفاءتها ، فارتجل على التو (القصيدة رقم ٤١) [٧] :

إنَّ لآلِيكَ أَحْدَثَتْ صَلَفَـــا   فاتَّخَذَتْ مِن زُمُرُّدٍ صَــدَفَا

تَسْكُنُ دُرَّاتُها البُحُـورَ وذِي   تَسْكُنُ المحُسْنِ رَوْضَــةً أُنُفَا

وكان الخليفة يحيى في هذه الأثناء قد فقد عطف البربر الذين كان يعتمد

---

(١) البيان ج ٣ ص ٣١٥ .
(٢) ابن الأبار : الحلة في دوزى Notices ص ١٥٠ و بتحقيق حسين مؤنس ١/ ٢٧١ - ٢٧٢ .
(٣) البيان ج ٣ ص ٧٧ ، ٨٩ .
(٤) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٩ .
(٥) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٣٥ .
(٦) البيان ج ٣ ص ١١٢ .
(٧) الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص ٢٨ - ٢٩ .

عليهم ، ولما كان غير واثق من موقفه أبى المخاطرة ، فلجأ هاربا الى مالقة[1] . وعاد القاسم الى قرطبة فى ذى القعدة عام ٤١٤هـ (فبراير ١٠٢٣م) ، ولكن جمهور الناس قابلوه بالعداء فلم يتمكن من أن يوطد مركزه ، وفى جمادى الثانية (سبتمبر) من نفس العام غادر العاصمة[2] . وقد خابت آماله فى أهل اشبيلية ، أنصاره القدماء ، وانهزم جنده من الزنج خارج أسوار المدينة أمام جيوش يحيى . وقد ألف ابن شهيد فى فرحته قصيدة مدح يحيى بها ذلك الانتصار الكبير ، وأرسل القصيدة الى يحيى (القصيدة رقم ٤٤)[3] :

أَجرَيْتَ للزَّنْجِ فوقَ النَّهْرِ نَهْرَ دَمٍ

حتّى اسْتَحالَ سَماءً جُلِّلَتْ شَفَقَا

وهرب القاسم الى شريش ، وما أن وصلها حتى وقع فى اسار[4] ابن أخيه الذى أمر بقتله بعد ذلك بعامين ، رغم تحذيرات روح أبيه[5] . ومع أن يحيى قدر له أن يعود فيما بعد فى عام ٤١٦ (١٠٢٥) الى قرطبة ، فانه من الممكن اعتبار عام ٤١٣ (١٠٢٥) نهاية العهد الحمودى .

ولقد أمكننا أن نكتشف فى هذه الأزمة الخطيرة التى اعترت حياة الاسلام فى أسبانيا ، نسقا من التحلل والتدهور . تتبعنا من مراحله الآن مرحلتين ، ونحن بصدد بدء بحثنا فى المرحلة الثالثة والأخيرة . ومن البين أن حياة ابن شهيد تتبع فى تقدمها النسق نفسه ، وأن فشله فى حياته صورة مصغرة تعكس فشلا فى طبيعة الحياة فى أسبانيا الاسلامية كلها . ويبدو لنا ذلك على أوضح وجه وأتمه فى المراحل الأخيرة من حياته .

---

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ١٣٣ ، ١٤٤ .
(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ١٣٤ .
(٣) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٦٨ — ٢٦٩ .
(٤) البيان ج ٣ ص ١٣٤ — ١٣٥ .
(٥) النفح ج ٢ ص ٣٣ .

(٤)

(٤١٣ – ٤٢٥ هـ / ١٠٢٥ – ١٠٣٤ م)

والأمر فى الشهور الثلاثة التى انقضت منذ أن هرب القاسم ، الى أن اعتلى العرش خليفة جديد ، مضطرب غاية الاضطراب ، فالناس قد ضجوا من حكم الغرباء ، ومدعو الحق فى الخلافة من الأمويين كثيرون ، ولكن كان يبدو أن أقربهم الى النجاح سليمان بن المرتضى ، وكان حتى قبل اجتماع البيعة عليه صاحب السلطة الفعلية فى المدينة ، بل ان اجتماع البيعة لم يعقد الا لتثبيته فى مركزه رسميا • وفى الرابع من رمضان (٢ ديسمبر سنة ١٠٢٣) اجتمع أهل قرطبة فى مسجدها الجامع لاختيار خليفة كعادة المسلمين الأوائل ، وكان هناك مرشحون ثلاثة كلهم من نسل الناصر ، وأولهم سليمان وهو كما قلنا المرشح الأثير ، وثانيهم محمد العراقى ، وثالثهم شاب فى الواحدة والعشرين من عمره اسمه عبد الرحمن • ولقد كانت ثقة الذين قاموا بتنظيم البيعة من الوزراء تامة فى نجاح سليمان ، الى درجة أنهم حرروا الوثائق وكتبوا فيها اسمه قبل البيعة • ولكن عبد الرحمن دخل بقوة أدهشت الجمع ، وضمنت له الغلبة فى ذلك اليوم ، والوزراء فى هم وكرب ، واختار لنفسه لقب المستظهر (١) •

ويبدو أن النصيب الأكبر من الجهد فى سقوط سليمان يعود الى أبى عبد الله الفرضى ، وهو رجل لم يعطه المؤرخون المحدثون ، فيما يبدو ، ما يستحق من التفات ، وكان الفرضى أعدى أعداء ابن شهيد ، وكان يمثل الخطر الداهم كلما ألمت بشاعرنا أزمة • ويقول ابن شهيد : « وأكد ذلك (أى كراهيته) أيضا معاملة عاملنى بها أيام حرب المدينة ، وكانت حبالها اذ ذاك متينة ، أعقبته وقع السوط على رأسه ، وعض الحجل على ساقه ، وكان الأمير بها (أى قرطبة) أبو أيوب بن المرتضى رضى الله عنهما ، فأعددت شعرا نويت أن أنشده اياه أول بيعته ، وكان ما كان ، وبلغه

---

(١) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٣٥ – ٣٩ ؛ البيان ج ٣ ص ١٣٦ – ١٣٧ •

الشعر ، فزادت نفسه لى خبثا . »(١) والقصيدة التى يشير اليها ابن شهيد هى (القصيدة رقم ٥٠)(٢) ، وفيها هجاء مقذع فى الفرضى :

هُوَ الدّاءُ فاسْتأْصِلْه تَلْبَسْ جَمالَها

وَداءُ كُعُوبِ المُنْحِسِينَ عُضالُ

وقد هاجمه فى قصيدة (رقم ٧٠) كتبها بعد موت أبى أيوب سليمان فى عهد هشام الثالث :

نالَتْ سُلَيْمانَ منه رجْلُ من قَبْلُ ما أَرْجَلَتْ أَباهُ

ولقد كتب أبو عامر أيضا ، فى تاريخ لاحق ، الى مجاهد الموفق ، ملك دانية، الذى استقبل الفرضى فى بلاطه ، رسالة طويلة يقص فيها كيف نشأت هذه العداوة ، فيقول « صحبته منذ أعوام ، أيام اختلافنا الى الزاهرة ، واذ تلك المواطن قائمة غير دائرة ، وبالغرر من آل عامر عامرة ، وكنا كثيرا ما نتدارس ضروب العلم : من أدب وخبر وفقه وطب وصنعة وحكمة ، على أنه فى أهل الفهم واو عمرو ، أو لسان بظر. وكان ـ ولا أشعر ـ يدالس ويوالس ، قد استهتر فى الفلوس ، واستهلك على التدليس ، وصار فى ذلك وضح النهار ، ونفخة المزمار ، لو لمس البدور لعادت زيوفا ، أو تناول الشموس لغشاها كسوفا ، وقصدته يوما على جهل بتلك الخليقة منه لأستريح اليه ، وألقى من شيئى عليه ، فألفيته قد خلا بابه ، وغاب بوابه ، فولجت فثار الى صبى غرير أصبته هنالك قائلا لى : طال انتظارنا لك ، وتقدمنى وسرت حتى انتهيت الى دار ذات أجوان ، قد غشيها دخان ، كقطع العنان ، تعبق منها صنان ، من زرنيخ وكبريت ، وزنجفور وأنزروت(٣) ، فتذكرت « يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس ، هذا عذاب أليم »(٤) فاستشعرت الشر وأردت الفر ، ثم لتفت فاذا أنا بأكداس جمر ، وآلات تبر ، وأشخاص سود وصفر ، ثم أفضيت الى بيت فيه عدة أشباح ، كأنها قباض الأرواح ، غرابيب ، بأيديهم كلاليب ، رزادق ، قد تقلدت مطارق ، فلما نظرت الى المنية ، وخشيت فصل القضية ، ضحكت اليهم وقلت : تخطتكم النعمة ، ولا هديتم سبيل الحكمة ، أهكذا تعجلون ، ولا تدرون من تريدون ؟ قالوا :

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ١٨٧ — ١٨٨ .

(٢) « « « ص ١٨٨ .

(٣) ثمرة شجرة تنمو فى فارس ، وهى مرة ذات رائحة طيبة (انظر ديوسقوريدس : Materia Medica ج ٢ ص ٢٨١ ، ج ٣ ص ٣٢٩ ، تطوان وبرشلونه (١٩٥٢ — ١٩٥٧) .

(٤) القرآن الكريم . . . آيات ١٠ — ١١ سورة الدخان .

ومن أنت ؟ قلت : من أخذ الطلق ، فسحقه بالمدق ، وشق بيد الذكاء ، عن زهيرة الأشياء ، فبشر الآباء بالأبناء • فقالوا : بنار أم بماء ؟ قلت : بهما جميعا وبهواء • فأومضوا الى ضاحكين ، واستقبلونى معتذرين ، وقالوا : كدت والله أن تلتهم ، وتكون السواد المخترم ، قلت : وأين أبو عبد الله ؟ قالوا : انفرد يرقق ماء بيض ، ويصفق دم حيض ، وغرضه استخراج دهن الحجر الكريم ، فقلت : حبس قديم أو حديث؟ فنادوا : أواه ، أواه ! على الخبير سقطتم • ثم تلطفت وخرجت ، تطير بى رجلاى وقد خفق الله دمى بعطفه ، واستنقذنى من يدى منيتى بلطفه ، ووصفت لمن استوثقته ذلك بعد أن استكتمته ، فجاس وخاس ، وكأنى أودعت سرى ريحا ، فاضطغن ذلك على » • (١)

فاذا عدنا الى الميدان السياسى ، وجدنا فى السياسة تغييرا جذريا ، اذ أن الخليفة الشاب ازور عن الساسة القدماء ، فملأ المناصب الوزارية بأصحابه ورفاقه ، من من الشبان الموهوبين فى الدوائر الثقافية التى كان الخليفة يغشاها • ولقد كان من حظ ابن شهيد ، صديق الخليفة الحميم ، أن عين وزيرا(٢) ، فكان ذلك ، وهو فى الحادية والثلاثين من عمره ، قمة تطور حياته • ولقد ترك لنا أبو عامر حديثا يبدى فيه رأيه في المواهب الأدبية عند سيده الجديد ، اذ يقول : « وكان يتهم فى أشعاره ورسائله ، حتى كتب أمان يعلى بن أبى زيد حين وفد عليه ارتجالا ، فعجب أهل التمييز منه ، وأما أنا فقد كنت بلوته ، وكان ورود يعلى فجأة ولم يبرح من مجلسه حتى ارتجل الأمان ، وأنا والله أخاف أن يزل فأجاد وزاد » (٣) •

ولقد كان ديوان الوزارة يجمع الى ابن شهيد غيره من الشخصيات المعروفة ، من أمثال ابن حزم الذى كان وفيا دائم الاخلاص لبنى أمية ، وابن عمه عبد الوهاب الذى تولى ديوان الكتابة ، وكذلك أبى عبدة حسان بن مالك(٤) • ولقد أثارت تلك التعيينات حقد النبلاء القدامى ، فبدأوا يدبرون المؤامرات ضد نظام الحكم الجديد ، مما دعا الى سجن عدد منهم ، فكان ذلك سببا فى تمرد كثير من الأرستقراطيين(٥) • وبالاضافة الى هذه التهديدات الخارجية المختلفة للنظام الجديد ، كان على ابن شهيد أن يواجه فى صفوف جماعته نفسها غيرة شديدة من الفرضى ، يعاونه فيها أشد من يدعى بأبى الحسن على • وفى ذلك يقول الشاعر نفسه : « ثم اشتدت وطأة هيذا

(١) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ١٨٦ — ١٨٧ .
(٢) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٣٦ ؛ النفح ج ٢ ص ٣٣ — ٣٤ .
(٣) الحميدى : الجذوة ص ٢٥ .
(٤) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٣٦ ؛ النفح ج ٢ ص ٣٤ .
(٥) النفح ج ٢ ص ٣٤ .

الخبيث أيام المستظهر ، فلم يبق غاية من اهتضامي الا امتد لها ، وأجرى نحوها ، وقصرت به الأقدار دونها » .[1]

ولم يكف الحكم الجديد أنه أثار عداوة النبلاء ، فقد كانت خزائن الدولة خاوية ، فاضطر عبد الرحمن المستظهر (الخامس) الى أن يفرض ضرائب باهظة ، مما أثار عداء الطبقة الوسطى ، وعداء العامة أيضا[2] . ولقد أضاع أثر ما يتصف به الخليفة الجديد من مواهب مكنوزة ، ما اجتمع فى الموقف من عوامل غلبت مواهبه ، وأدت بالحال الى تدهور سريع ، فقبل فى ضيقه راضيا معاونة عرضتها عليه جماعة من البربر[3] . وكان هذا كافيا لاثارة ثورة عارمة ، فاقتحم العامة القصر ، فوجدوا فيه فتى من بنى أمية ، سرعان ما أقاموه خليفة ولقبوه بمحمد (الثالث) المستكفى (الثالث من ذى القعدة عام ٤١٤ هـ / ١٧ يناير عام ١٠٤٤ م)[4] . ولقد كان أول أعمال الخليفة الجديد ، أن أمر بسلفه عبد الرحمن ، الذى قبض عليه مختفيا داخل مدخنة فى الحمامات الملكية ، فقتل . وكانت مدة حكمه لا تتجاوز سبعة وأربعين يوما[5] فكان مجد ابن شهيد اذن قصير العمر جدا . ولقد عبر عن رغبته فى الهجرة الى مالقة فى القصيدة (رقم ٦٣) التى مبدؤها[6] :

أرى أعيُنًا ترنو إليّ كأنَّما ... تُساوِرُ منها جانبيَّ أراقِمُ

أدورُ فلا أعْتام غيرَ محارِبٍ ... وأسْعَى فلا ألْقَى امْرءاً لِي يُسالِمُ

والخليفة الجديد محمد (الثالث) هو والد الأميرة الشهيرة « ولادة » التى كانت فيما بعد مصدر تعاسة شديدة لابن زيدون . وكان من أول هذا الاهمال السىء الذى لحق عباد الهة الشعر عنده أن أمر بسجن ابن حزم وابن عمه[7] . فدب الذعر فى قلب ابن شهيد ، فاشترك مع غيره ممن حط من قدرهم فى العهد الجديد ارتباطهم الوثيق بالعهد القديم ، فى الهرب الى مالقة ، حيث لجأوا الى حمى يحيى ابن حمود ، يتوسلون اليه أن يضع حدا للفوضى فى قرطبة . ولكن يحيى رغم ذلك

---

(١) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٣٧ — ٣٨ .
(٢) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٣٧ .
(٣) » » » » ص ٣٨ .
(٤) البيان ج ٣ ص ١٣٨ — ١٣٩ ، ١٤٠ — ١٤١ .
(٥) المرجع السابق ج ٣ ص ١٣٨ — ١٣٩ .
(٦) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٧٥ — ٢٧٦ .
(٧) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٢ .

لم يبد عليه أى تعجل ، فان أملاكه فى الأقاليم الجنوبية كانت تدر عليه من الدخل ما هو أكثر مما هو منتظر من العاصمة المنعزلة فى الشمال ، وعرشها الاسمى .

وقد حدث ذات مرة فى أيام المنفى هذه ، أن دخل ابن شهيد مرة على يحيى، فى مجلسه ، وهو ، كما يقول ابن شهيد ، « قد صدر عن ابن الشرب ، ومدحه عدة شعراء ، صدور أشعارهم لزينب والرباب ولميس وفرتنى ، وأعجازها للجود والكرم وبذل اللهى ، ولم يلم أحد منهم بذلك الغرض والمغزى الا فى بيتين أو ثلاثة ، فأنشدته أنا يومئذ من جملة قصيدة » (القصيدة رقم ٤٣) يقول فى أولها :

فَريقُ العِدا مِن حَدِّ عَزْمِكَ يفرَقُ
وبالدَّهْرِ مِمَّا خافَ بَطْشَكَ أولَقُ

عَجِبْتُ لمَن يعتَدُّ دُونَكَ جُنَّةً وسَهْمُكَ سَعْدٌ والقضاءُ مفوِّقُ

. . . .

ومن المحتمل أن ابن شهيد كان يقيم داخل قصر يحيى فى القصبة . وبالرغم من أن طراز مبناه الآن نصرى يعود الى عهد بنى الأحمر ، فان جزءا من القصر أقدم من ذلك مبنى على الطراز المعروف فى عصر الخلافة الأموية ، ويرى جوميز مورينو [3] أن هذا الجزء القديم يعود الى حكم يحيى لتلك المدينة (٤١٤ - ٤٢٦ هـ / ١٠٢٣ - ١٠٣٥ م) ومن المحتمل كثيرا أن يكون ابن شهيد قد شهد ذلك البناء كما هو ابان منفاه من عام ٤١٤ الى ٤١٦ هـ (١٠٢٤ - ١٠٢٥ م) ، فان كان الأمر كذلك فان هذا هو الأثر الرئيسى الباقى حتى الآن مما عرفه فى حياته ، بالاضافة الى الباب الكبير للمسجد الجامع فى قرطبة كما هو ظاهر من القصيدة رقم ٣٧ . فقد اختفى الى الأبد كل ما أشار اليه ابن شهيد من آثار ، فلم يبق من أثر لقصر الزاهرة، ولا لبيته [4] ، ولا قبره ، ولقد دمرت الجهالة البربرية باب اليهود فى القرن الحالى .

وأخيرا وبعد تردد كثير قرر يحيى أن يتحرك ، فلما وصلت أنباء غزوته

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .
(٢) « « « « ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .
(٣) Ars Hispaniae ج ٣ ص ٢٤٨ .
(٤) دار ابن شهيد كانت موجودة فى رحبة العزيزة فى مدينة قرطبة (انظر ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ص ٢٥٧) .

المرتقبة الى قرطبة فر المستكفى ، ولكنه قتل بعد ذلك بأسابيع قليلة[1] . ولقد وصل يحيى الى قرطبة فى رمضان عام ٤١٦هـ (نوفمبر ١٠٢٥ م) [2] . ومن المحتمل جدا ان يكون فى صحبته ابن شهيد ، فما كان شاعرنا ليعود الى المدينة قبل أن يزول كل خطر . ولقد غادر يحيى المدينة فى شهر محرم التالى (مارس ١٠٢٦ م)[3] ، ولكن ابن شهيد لم يكن فى هذه المرة فى رفقته . ولعله كان فى تلك الأثناء يعانى آلام الخلق الأدبى ، فان هذا أول تاريخ يمكن أن نقدره بداية لكتابة مؤلفه الشهير « رسالة التوابع والزوابع » . ولقد ظهر فى هذه الفترة أيضا « طوق الحمامة » لابن حزم ، وهو النتاج النثرى الرئيسى الآخر من انتاج هذه المدرسة الأدبية . وقد كتب « طوق الحمامة » فى شاطبة فى عام ٤١٨هـ (١٠٢٧م) تقريبا[4] .

ومن سوء الحظ أننا لا نعرف كذلك تاريخا محددا لتأليف « الرسالة » فكل التواريخ التى تقدم بها الباحثون من قبل خاطئة ، فالبستانى [5] يقول انها كتبت بعد عام ٤١٤هـ (١٠٢٣م) ، ويقول أحمد هيكل [6] انها كتبت فى ٤١٥هـ (١٠٢٤م) ، ويؤكد لنا بروكلمان ، دون أن يبدى أى دليل ، أنها كتبت قبل « رسالة الغفران» للمعرى بعشرين سنة . ولما كانت رسالة أبى العلاء قد كتبت حوالى عام ٤٢٤هـ[8] فان التاريخ الذى يقول به بروكلمان هو عام ٤٠٤هـ (١٠١٣م) . أما زكى مبارك[9] فهو يجازف فيقول انها كتبت بين عامى ٤٠٣ و ٤٠٧هـ (١٠١٢ – ١٠١٦م) .

ومن الواضح أن اختيار بروكلمان قد جانب الصواب ، اذ أن « الرسالة » تحوى قصيدة ابن شهيد عن سجنه ، ولم يكن من الممكن أن تكتب قبل عام ٤٠٧ (١٠١٦) وهى أيضا تشير الى المرثية التى قيلت بمناسبة وفاة ابن ذكوان ، وذلك فى عام ٤١٣ (١٠٢٢) وهى فوق كل ذلك ، تقتبس أبياتا من المرثية الجافة التى رثى بها

---

(١) البيان جـ٣ ص ١٤٣ .

(٢) الموضع السابق .

(٣) نفس الموضع .

(٤) يستنتج هذا من اقامة ابن حزم فى شاطبة (انظر الطوق ص ٨٥) عندما كانت المعارك دائرة ضد خيران الذى مات فى ٤١٨ هـ – ١٠٢٨ م (البيان ج ٣ ص ١٦٦) ، ولكن موت خيران غير مذكور فى كتاب ابن حزم ، وابن حزم (الطوق ص ٤٥) يحدثنا عن الحكم بن منذر (توفى حوالى ٤٢٠ – انظر ابن بشكوال : الصلة ص ١٤٩) على أنه ما زال على قيد الحياة .

(٥) رسالة التوابع والزوابع ص ٩٥ .

(٦) الأدب الأندلسى ص ٤٢٣ .

(٧) History of the Islamic Peoples ص ١١٦ .

(٨) أحمد هيكل : الأدب الأندلسى ص ٤٢٣ .

(٩) النثر الفنى ١ ص ٢٥٩ .

الوزير أبا عبدة حسان بن مالك ، الذى توفى فى شوال عام ٤١٦هـ (١٠٢٥م) [١] .
وهناك أيضا دليل آخر قاطع ، فى القصيدة التى يخاطب فيها ابن حزم ، مادحا اياه باعتباره من أنصار المذهب الشافعى ، وهى قد ألفت بالطبع قبل أن يتحول صديقه الى المذهب الظاهرى حوالى عام ٤٢٠ (١٠٢٩) [٢] . فالتاريخ الصحيح الذى كتبت فيه « الرسالة » اذن ينحصر بين عامى ٤١٦ - ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ - ١٠٢٩م) .

وليس هذا بالموضع الذى نبحث فيه احتمال تأثير أدب شاعرنا الأندلسى على « رسالة الغفران » لأبى العلاء المعرى ، ولكننا نلاحظ أن أسبقية الأول على الثانى قد ثبتت دون أدنى شك . وقد تكون الأصول التى أخذ عنها الشاعران واحدة ، فمصدرها عموما هى قصة « المعراج » التى مهدت الطريق أيضا لظهور « الكوميديا الالهية » [٣] ويبدو أن المصدر المباشر الذى أوحى لابن شهيد « بالرسالة » انما هو « المقامة الابليسية » [٤] لبديع الزمان الهمذانى ، الذى يذكره ابن شهيد فى « الرسالة » [٥] .

ولقد كان اهداء الكتاب الى أبى بكر بن حزم مصدر حيرة وبلبلة بين الباحثين [٦] ، فان الرجل الوحيد الذى عرف بأبى بكر بن حزم بين أصدقاء ابن شهيد ، كان شقيقا لابن حزم ولكنه مات فى الثانية والعشرين من عمره عندما انتشر الطاعون بقرطبة عام (٤٠١هـ) (١٠١١م) [٧] ، وكان ابن شهيد حينئذ فى التاسعة عشرة من عمره فحسب . أما التفسير الصحيح لهذه المشكلة فنجده عند الحميدى [٨] الذى يقول بأن « الرسالة » موجهة الى من يدعى أبا بكر يحيى بن حزم ، وهو من أسرة مختلفة تماما عن أسرة ابن حزم الشهير .

وكانت « الفتنة » فى هذه الأثناء تسرع الخطا نحو النهاية المحتومة ، فقد كانت الخلافة كنظام حى قادر على التطور قد انتهى أمرها فى الحقيقة ، ان لم يكن بالفعل . وبالرغم من ذلك ، عقدت الارستقراطية فى قرطبة نيتها على بذل محاولة واحدة أخيرة لاستعادة سيادتها وسلطانها على الأندلس . وقرروا ، بزعامة أبى الحزم بن

(١) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ١٥٦ .
(٢) انظر ما سبق ص ٣٢ .
(٣) انظر كل ما ورد عن هذا الموضوع عند أسين بلاسيوس : La escatologia musulmana
(٤) شوقى ضيف : المقامة ص ٣٠ - ٣٢ .
(٥) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٣٥ .
(٦) أنظر أحمد هيكل : الأدب الأندلسى ص ٤١٩ - ٤٢٠
(٧) ابن حزم : الطوق ص ١١٧ .
(٨) الجذوة ٣٥١ .

جهور الكلبي ، أن يتيحوا لهذه المحاولة الأخيرة كل فرصة ممكنة للنجاح ، بأن ضمنوا ولاء أمراء الثغور[١] . ولقد أبدى هؤلاء الحكام موافقتهم على الأرجح لثقتهم الوطيدة في أن هذه المحاولة لن تنجح . واتفق الجميع على اختيار هشام ، وهو الأخ الأكبر للمرتضى ، ليتقلد منصب الخلافة الرفيع . ولكن هشاماً لم يكن متلهفا ، فظل يؤخر وصوله الى قرطبة مدة عامين ، ولما وصل أخيرا في ذي الحجة عام ٤٢٠هـ (ديسمبر ١٠٢٩م) ، كان لقذارة مظهره الأثر السيء . ورغم ذلك قابلته الجماهير بالترحاب والفرح الغامر ، فقد كان أملهم في القضاء على عهد العذاب الطويل ، واستعادة عظمتهم الغابرة[٢] . ولكن سرعان ما خابت الظنون ، فقد كان هشام عادياء لا يميزه عن أسلافه الفاشلين أي شيء . ولقد بدأ حكمه بأن جعل الارستقراطية ، وهو مدين لها بعرشه الذي أجلسته عليه ، تنفر منه ، اذ عين في منصب وزيره الأول نساجا سابقا اسمه الحكم بن سعيد[٣] . ولقد عين ابن شهيد أيضا وزيرا ، وصار هو والوزير الأول ، رغم أصله المتواضع ، صديقين حميمين[٤] . أما ابن حزم ، الذي كان حتى النهاية المرة مناصرا لسلطة الخلافة الشرعية ، فقد صار هو أيضا وزيرا[٥] .

وقد كان هم الحكم بن سعيد القزاز ومشكلته الكبرى أن يجد طريقه لملء الخزانة الخاوية[٦] . وكانت الوسائل التي اتخذها للوصول الى غرضه هذا وسائل شائنة ، لا لسبب الا لأنه لم يجد أمامه وسيلة قويمة . وكان من أوائل ضحايا حكمه أبو عامر[٧] ، أحد أبناء المظفر ، وأحد أصدقاء ابن شهيد المقربين ، فان الحكم اتهمه بقتل من يدعى بسليمان بن هشام الناصري ، فرسم أبو عامر هذا خطة فراره ، واستصحب معه فريقا من أصدقائه ورفقائه وحمل معه أثمن ما يملك من متاع ، وأجمل من في حريمه من نساء ، وذهب بكل ذلك الى شاطبة ولكن الأرض ضاقت به ، ولجأ الى حمى أبي حمامة حرزة اليصدراني في قصره الحصين على ضفة الوادي الكبير ، حيث ظل يذوي ويذوى من الكمد والغصة حتى مات[٨] .

---

(١) البيان ج ٣ ص ١٤٦ .
(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ١٤٧ ؛ الذخيرة قسم ٣ ورقة ١٤٠ وجه (جوتا) .
(٣) البيان ج ٣ ص ١٤٦ ؛ الذخيرة قسم ٣ ورقة ١٤٠ ظهر (جوتا) .
(٤) الذخيرة قسم ٣ ورقة ١٤١ ظهر (جوتا) .
(٥) ياقوت ، معجم الأدباء ج ٥ ص ٨٧ .
(٦) البيان ج ٣ ص ١٤٧ — ١٤٨ .
(٧) انظر رواية ابن حزم عن هذه الشخصية العجيبة توجد في ملحق د .
(٨) ابن حيان في الذخيرة قسم ١ مجلد ص ٢٦٠ .

وعندما سقطت الدولة العامرية ، لم يترك أبو عامر بن المظفر مدينة قرطبة ، وفضل أن يظل فيها متمتعا بالصحبة الراقية ، ومرحبا بابن شهيد وغيره من الأدباء فى منزله[1] . ويحكى ابن شهيد أنه حدث يوما ما هو فى الحمام مع بعض أصدقائه أن جاءهم رسول من أبى عامر يطلب أن يستخدم لنفسه حمام ابن شهيد ، اذ كانت الاصلاحات تجرى فى حمامه هو . فكتب ابن شهيد ردا ، يشير فيه الى حمامه (القصيدة رقم ٣٩) [2] .

فانْعَمْ أَبا عامرٍ بنعْمتِهِ ... واعْجَبْ لأَمرَيْنِ منه قد جُمِعَا

نيرانُهُ مِن زِنادِكُم قُدِحَتْ ... وماؤُهُ مِن بَنانِكُمْ نَبَعَا

وفى مناسبة أخرى وجه ابن شهيد اليه مقرظا ، (القصيدة رقم ١٥) [3] ، ولم يصل منها الينا غير هذه الأبيات :

جُمِعَتْ بطاعةِ حُبِّكَ الأَضْدادُ ... وتَألَّفَ الأَفْصاحُ والأَعْيادُ

كَتَبَ القَضاءُ بأَنَّ جَدَّكَ صاعِدٌ ... والصُّبْحُ رقٌّ ، والظَّلامُ مِدادُ

ويصف لنا ابن حيان [4] ، حفلة استمرت طوال الليل ، كان الساقى فيها جارية صغيرة السن ، وأبدوا جميعا عجبهم من أن تظل طفلة مثلها يقظة الى تلك الساعة المتأخرة ، فطلب أبو عامر من ابن شهيد أن يصفها فارتجل أبياتا ، (القصيدة رقم ١١) ، تبدأ هكذا :

أَفدى أُسَيْماءَ من نديمٍ ... ملازمٍ للكؤوس راتب

وكان الحكم منشغل البال بخواء خزائنه ، وكان من الوسائل التى لجأ اليها لملئها ما أعاد ابن شهيد الى البروز فى الصف الأول ، لآخرة مرة . فقد استعان الحكم بفقيه سىء السمعة اسمه ابن الجيار ، فتح له طريق الحصول على المال من الأوقاف المحبوسة على المساجد[5] ، فأثار هذا الاحتيال عاصفة من الحنق والاشمئزاز عند الرأى العام ، كما أثار غضب الفقهاء على حكم هشام . ولكن كان

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .
(٢) « « « ص ٢٥٧ .
(٣) « « « ص ٢٥٩ .
(٤) « « « ص ٢٦٠ .
(٥) « « قسم ٣ ورقة ١٤١ ظهر (جوتا) .

من حسن حظ الحكم أن هؤلاء الفقهاء كانوا قد أساءوا سمعتهم لدى الناس قبل ذلك بزمن وجيز بقبولهم زيادة فى رواتبهم جاءتهم من أموال ضرائب غير مشروعة. وأصدر الخليفة أمره الى ابن شهيد ليهجوهم ، فهجاهم فى مقطوعة لاذعة قرأها الشاعر على الناس فى القصر أولا ثم بعد ذلك فى المسجد الجامع فى جمادى الثانية عام ٤٢١هـ (يونيه ١٠٣٠م) . أما المستمعون اليه « فصك أسماعهم بأصلب من الجندل، وغشى وجوههم بأحدّ من المرجل ، وانصرفوا يتدارسون نوادره[1] » . ولكن الحكومة كانت قد تزعزع أمرها . وكتب ابن شهيد قصيدة يخاطب بها هشاما ، ويقول ابن حيان[2] : « وكانت من مكتوماته أنشدها هذا الخليفة يوم مهرجان[3] العام المؤرخ اثر قتل عبد الرحمن بن محمد بن الخياط الوزير ، يحسن له سطوته ، ويغريه بمن بقي من أصحابه ، وهى قصيدة ذميمة المعانى استهدف بها الى سفك دماء المسلمين ، وجسر هشاما على الفتك بالغالمين » . وابن شهيد فى الحقيقة ينادى هنا باضطهاد « العمائم الطويلة » كما يسمى هو الفقهاء ، ويصيح مخاطبا الخليفة (القصيدة رقم ١)[4] .

أَحْلَلْتَنى بمحـلَّةِ الجَوْزاءِ وَرَوِيتُ عندكَ مِن دَمِ الأَعْداءِ

....

أَنا صِلُّهم عند الخصامِ فَخَلِّهِمْ لِلِسانِ هذى الحَيَّةِ الرَّقْشاءِ

وفى وصف الرجال الذين عينهم الحكم فى مختلف الوظائف ، أن « أكثرهم حبية أغمار من نمطه ممن ديدنه حث الكاس ، وتنضيد الآس ، وطبخ الترفاس ، والتفكه بأعراض الناس ، ان ضج مظلوم سخروا منه وحاكموه »[5] . وقد يكون فى هذا الوصف اشارة مباشرة لابن شهيد وندمائه ، اذ كان الموقف الآن غير مختلف عنه أيام عبد الرحمن الخامس ، وكأنما التاريخ يعيد نفسه . ويبدو أن الشاعر كان يدرك حرج موقف سيده الخليفة ودقته ، وفى قصيدة (رقم ٧٠)[6] يذم بها كل الذم القرضى ، عدوه اللدود ، يقول ، بعد أن ذكر المرتضى :

---

(١) المرجع السابق قسم ٣ ورقة ١٤١ ظهر (جوتا) .

(٢) « « ورقة ١٤١ ظهر (جوتا) .

(٣) الرابع والعشرون من يونيه . وكان « المهرجان » أحد احتفالين من أعياد الفرس ، أدخلهما إلى الأندلس زرياب ، وكان الاحتفال الآخر عيد « النيروز » (أنظر قصيدة ٣٨) .

(٤) الذخيرة قسم ٣ ورقة ١٤١ وجه وظهر (جوتا) .

(٥) ابن حيان فى البيان ج ٣ ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(٦) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٨٨ .

لم يُبْق من زُمْرة المعالى إِلَّا هشامَ العُلا أَخـاهُ

يارَبِّ فاحْرُسْهُ لِى بعَيْنٍ تَمْنَعُهُ الدَّهْـرَ مِن أَذاهُ

ولقد بذل الأشراف بقيادة أبى الحزم بن جهور جهدا بعد جهد ، ولجأوا الى المؤامرة بعد المؤامرة للتخلص من الحكم ، ولكنهم فشلوا فاضطروا الى الوسيلة التى كانوا يكرهونها أشد الكره ، وهى ايقاد نار الثورة الشعبية . ولقد قرروا سرا أن يقضوا على الخلافة القضاء الأخير ليحلوا مكانه جمهـورية تتحكم فيها أقليتهم من الأشراف ، وتقدموا الى فتى من بنى مروان اسمه أمية ، وأثاروا فى قلبه الأمل بأن يعين خليفة(١) ، اذا قبل أن يقود الثورة ضد هشام والحكم . ولقد وافق ذلك أمانى أمية ، فقاد أتباعه فى ذى الحجة عام ٤٢٢هـ (نوفمبر ١٠٣١ م) الى قتل الحكم فى أحد شوارع المدينة ، وحمـل رأس الحكم على طـرف رمح الى القصر ليثمل بمنظره هشام . ولما رأى الخليفة رأس وزيره هكذا أصاب قلبه الذعر على حياته ، ولكن ابن جهور نجح فى اجبار الرعاع الذين انطلقوا فى القصر سلبا ونهبا ، على ايقاف اراقة الدماء ، فخاب ظن أمية ، ونجحوا فى حمله على الاختفاء (٢) . وفى اليوم التالى أخبر هشام الثالث بقرار مجلس الدولة بالغاء الخلافة ، ونفيه هو(٣) . ويقول كونديه(٤) ان ابن شهيد كان من بين من رافقوا هشاما عند نفيه الى حصـن أبى شريف . ومن المحتمل أنه عاد الى قرطبة بعد ذلك بزمن وجيز وربما فعـل ذلك عندما هرب هشام الى لاردة(٥) .

وبسقوطه ضاعت كل آمال أبى عامر . فقد كان ابن شهيد وثيق الصلة بخليفتين من قبله ، هما يحيى بن حمود ، وعبد الرحمن المستظهر . أما الآن وقد سقط آخر راع ملكى كان يرعاه ، فقد فقد ابن شهيد كل أمل فى وظيفة عامة . وهكذا تسدل ستارة النهاية فى ذات الوقت على المنظر الرئيسى للتـاريخ الأندلسى كله ، وكذلك على حياة ابن شهيد العامة .

ومع ان الاشراف ،وأصـولهم عربية صرف ، تصرفوا فى حكمة محمودة ، وتعقل عجيب بعكس ما اتصف به الرعاع من جهالة أو البربر من رعونة ، فان ذلك

(١) البيان ج ٣ ص ١٤٩ – ١٥٠ ؛ الذخيرة قسم ٣ ورقة ١٤٢ ظهر (جوتا) .
(٢) البيان ج ٣ ص ١٥٠ – ١٥١ ؛ الذخيرة قسم ٣ ورقة ١٤٣ ظ . (جوتا) .
(٣) البيان ص ١٥١ ؛ الذخيرة نفس الموضع السابق .
(٤) History of the Dominion of the Arabs in Spain ج ٢ ص ١٢٥ . لم أنجح فى اكتشاف المصدر الذى استقى منه كونديه معلوماته هذه .
(٥) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٢٩٠ .

لا يقلل بحال من الشجى الذى تضفيه المناسبة ، أو يقلل من عظم المأساة التى واجهت الاسلام فى أسبانيا • ولقد اعترف الأشراف بالحقيقة الواقعة حين قرروا انهاء نظام لا معنى له ، وقد فعلوا ما فعلوا والحزن فى قلوبهم ، مدركين بحق كل المعانى التى يتضمنها قرارهم • وهكذا انتهت الفتنة وانتهى ليل قرطبة وعذابها الطويل ، ولكن المرارة والأسى نتاج هذه السنين الخمس والعشرين ، تتخللان كل صحيفة كتبها كل المؤرخين ، من ابن حيان الى من أتى من بعده • ورغم أن ابن شهيد كان طرفا فى المأساة ، فانه كان هو أيضا شريفا ، ولم يكن عليه من خطر يخشاه حين تولت جمهورية الأشراف مقاليد السلطة • أما ابن حزم ، فانه هو أيضا فقد كل آماله فى الحياة العامة ، فاختار لنفسه ميدانا يبذل فيه جهده ، ميدانا جافا هو ميدان التشريع[1]، مما قاده فى النهاية بعيدا عن المثل الشعرية العليا التى كان يسعى اليها من قبل •

وفى شعبان عام ٤٢٥ (يونيه ١٠٣٤) تمكن زهير الصقلبى ، خليفة خيران فى حكم المرية ، من دخول قرطبة ، وظل فيها عاما وربع عام[2] • وكان يرافقه وزيره الشهير ، أبو جعفر أحمد بن عباس • وما كان من الوزير عند وصوله قرطبة ، الا أن أرسل فى طلب ابن شهيد[3] • وقد اشتهر عن هذا الوزير الغريب مهارته فى كتابة الرسائل ، وغناه الفاحش ، وبخله وغروره ، وكان فى مكتبته الخاصة ٤٠٠٫٠٠٠ مجلد[4] ، فكانت فى غناها كمكتبة الحكم الثانى • ويذكر لنا ابن بسام[5] أن « من عجبه أنه دخل قرطبة ـ ومنها منتماه ، وهم بقية الناس ـ فحجب كبيرهم الشيخ أبا عمر ابن أبى عبدة من غير عذر ، وما عرف عباس أبوه الا بخدمة ابن عمه ، وتنقص أديبهم أبا عامر بن شهيد ولم يك يحسن مستمليا له • ثم أجمل وصف جماعتهم ، وقد سئل عنهم ، فقال : « ما رأيت بقرطبة الا سائلا أو جاهلا » وكان ابن شهيد ، كما هو واضح ، واحداً ممن لحقهم هذا الوصف • فما السبب فى كل هذا ؟ من حسن الحظ أن ابن بسام فى كتابه الفريد قد حفظ لنا فى صفحاته تفاصيل القصة كما أوردها ابن شهيد بنفسه ، مما نستطيع به أن نتتبع فى دقة منشأ العداوة بين الرجلين ، وتطورها بعدئذ •

فعندما وصل أبو جعفر الى قرطبة ، ذهب الى منتدى أدبى ، كان يجتمع فيه ابن برد ، وأبو بكر المروانى ، وابن الحناط ، والطبنى ، فسأل عن ابن شهيد ،

(١) ياقوت : معجم الأدباء ج ٥ ص ٨٧ .
(٢) ابن الخطيب : الاحاطة ج ١ ص ٣٣٨ .
(٣) الذخيرة قسم ١ مجلد ص ٢٦١ — ٢٦٢ .
(٤) النفح ج ٥ ص ٧٨ .
(٥) الذخيرة قسم ١ مجلد ٢ ص ١٧٦ .

وكان يلح في حضوره ، حتى انه أرسل رسولا ليأتي به • فلما جاء ابن شهيد ، كان ابن عباس قد غادر الندوة • وقام الجمع كله عند دخول أبي عامر ، ووقفوا تحية له • وعندما عاد ابن عباس الى الندوة ، حياه أبو عامر في احترام ، ورد ابن عباس على تحيته بأدب ولكن الشاعر يقول « علمت أن في أنفه نعرة لا تخرج الا بسعوط الكلام » • ولقد وجد ابن شهيد رفاقه منشغلين فسألهم عن السبب ، فقال ابن الحناط ان الوزير قد أتاهم بشطر بيت من الشعر ، هو « مرض الجفون ولثغة في المنطق » ثم تحدى جمعهم أن يأتوا بالشطر الآخر • وقد أدرك ابن شهيد أنه هو المقصود بالتحدي ، فقال لهم « لا تجهدوا أنفسكم فلستم المراد » ، وأمسك بالقلم وكتب الشطر الثاني هكذا « سببان جرا عشق من لم يعشق » ثم استمر على التو فكتب ثلاثة أبيات أخرى ارتجالا (القصيدة رقم ٤٥) •

ويقول ابن شهيد « ثم قمت عنهم فلم ألبث أن وردوا علي ، وأخبروا أن أبا جعفر لم يرض ما جئنا به من البديهة ؛ وسألوني أن أحمل مكاوي الكلام على حتاره • وذكروا أن ادريس هجا فأفحش ، فلم أستحسن الافحاش ، فقلت فيه معرضا اذ التعريض من محاسن القول (القصيدة رقم ١٢) [١] :

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ كاتِبٌ مليحُ شَبا الخَطِّ حُلْوُ الخَطابَهْ
تَمَلَّأَ شَحْماً ولَحْماً وما يليقُ تَمَلُّؤهُ بالكِتابَهْ

ونحن نعرف عن الشهور الأخيرة من حياة ابن شهيد أكثر مما نعرف عن أية فترة أخرى من فترات حياته ، وهي في الحق تحمل من المعاني والمدلولات ، ما يتطلب دراسة خاصة في فصل منفصل •

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٦٣ ، كل التفاصيل السابقة تجدها في الصفحات من ٢٦١-٢٦٣ ،

(٥)

(٤٢٥ - ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ - ١٠٣٥ م)

يقول الحارثة بن المغلس ، شيطان المتنبي ، في « الرسالة » عن ابن شهيد « ان امتد به طلق العمر ، فلا بد أن ينفث بدرر ، وما أراه الا سيحتضر ، بين قريحة كالجمر ، وهمة تضع أخمصه على مفرق البدر » [١] . ولقد قدر لنبوءته هذه عن نفسه ، وهي التي صدرت منه في موعد ما بين عام ٤١٦ وعام ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ - ١٠٢٩م) [٢] ، أن تتحقق وشيكا . ولم يكن هناك من تضاد بين هذين الأمرين ، أمر موته وأمر طموحه هذا الى القمر ، فان أخصب فترة خلق أدبي مر بها ابن شهيد ، كانت بالذات هي الفترة التي سبقت موته مباشرة . فقد كان ابن شهيد في سني حياته الأخيرة يقاسي من فالج نصفي ، ولا بد أنه قد أصيب به مرة واحدة في ذي القعدة عام ٤٢٥هـ (سبتمبر الى أكتوبر ١٠٣٤ م) فقد تدهورت حالته وساءت صحته في أول ذلك الشهر الى درجة خطيرة [٣] . ونستطيع أن نفترض أنه قاسى من الظواهر العادية للفالج النصفي ، من شلل يصيب نصف الجسم من جانب ، وعلة تصيب الجانب المقابل من المخ . ولكن كان ابن شهيد رغم ذلك قادرا على أن يتحرك من مكان الى آخر متكئا على عصا أو معتمدا على رجل آخر [٤] .

وفي الشهور السبعة التي مرت بين اصابته بالفالج ووفاته ، قام ابن شهيد بتأليف ما لا يقل عن عشر قصائد ، من بينها آيته الكبرى وأعظم قصائده [٥] . وفي هذه القصائد التي يمزقها الأسى والعذاب ، تبين جلية واضحة عبقرية ابن شهيد الأصيلة ، فهو قد جاوز الحد الذي يفيده فيه محصول المدح والملق ، فلا حاجة له

---

(١) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢٨ . انظر الى قصة أبي تمام (ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٨) .

(٢) أنظر ما سبق ص ٤٣ - ٤٤ .

(٣) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨١ ؛ ابن خاقان : المطمح ص ٢١ .

(٤) الذخيرة قسم ١ مجلد ص ٢٨٢ .

(٥) « « « ص ٢٧٩ - ٢٨٧ .

اذن بروح النفاق والأسلوب الموشى المنمق الذي يتمشى مع ما يميز قصائد المديح ، لذلك صار شعره شعرا خالصا عاريا يقف فيه الشاعر أمام ربه وجها لوجه ، فيسترجع بين يديه مراحل حياته كلها ، فيقرر أن لا قيمة لها . وهو فى كل ذلك لا يتخذ طريق النفاق الدينى كما هى العادة ، وهو لا يتحول الى الدين فى آخر لحظة قبل الموت كما يحدث فى بعض الأحيان ، ولكنه فى صراحة تفوق صراحته فى أى وقت مضى ، يقر بأن الجسد يعذبه حتى فى مواجهة الموت ، وهو يعرض نفسه فى هذه القصائد الأخيرة التى أكملت حياته وجعلت منها وحدة فنية متكاملة . فهو يقول فى (القصيدة رقم ٢٨)[1] :

وليسَ عَجِيباً أَنْ تدانَتْ مَنِيَّتِى
يُصَدِّقُ فيها أَوَّلِى أَمْرَ آخِرِى

. . . .

وهذه القصائد تركز أشد التركيز على موضوعين مترابطين دائما فيها هما الصداقة والموت . فمن الواضح أن الصداقة كانت تعنى الشىء الكثير عند أبى عامر، وهو صاحب الحياة الاجتماعية النشطة ، التى يحكى الكثير عنها فى قصص كثيرة وصلت الينا ، نراه فيها وأصدقاءه الحزانى عليه حوله متجمعون ، وكأنه سقراط فى آخر أيامه . وفى قصيدة كتبت فى أوائل مرضه ، يحدثنا عن تعهده بالتوفيق بين صديقين من معارفه ، اختلفا . ويقص ابن المصحفى[2] ، « دخلت يوما على أبى عامر وقد ابتدأت علته التى مات منها فتأنس بى ، وجرى الحديث الى أن شكوت اليه تجنى بعض اخوانى علىّ ، ونفاره عنى ، فقال لى : سأسعى فى اصلاح ذات البين . فخرجت عنه ، واتفق لقائى بذلك المتجنى مع بعض اخوانى ، وأعزهم على ، فلما رآنى موليا عن ذلك الصديق أنكر على ، وسأله عن السبب الموجب ، فأخبره وزادا فى مشيهما حتى لحقا بى وعزما على فى مكالمة صاحبى ، وتعاتبنا عتابا أرق من الهوى ، وأشهى من الماء على الظما ، حتى جئنا دار أبى عامر ، فلما رآنى ضحك وقال : من كان الذى تولى اصلاح ما كنا سررنا بفساده ؟ قلنا : قد كان ما كان ، فأطرق قليلا ثم أنشد (القصيدة رقم ٧٣) :

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٦ .
(٢) « « « ص ٢٧٩ — ٢٨٠ .

مَن لا أُسمّى ولاَ أَبــوحُ به   أَصْلَحَ بيني وبينَ مَن أَهْوَى

. . . .

وابن المصحفى [1] نفسه مصدر قصة أخرى تاريخها بدء مرض ابن شهيد ، فهو يقول : « ودخلت عليه يوما فى تلك العلة ومعى غلام وسيم من اخواننا ، وكان أبو عامر قبل ذلك يحب ممازحته فينافره ، حتى خاطب أبو عامر بعض اخوانه بشعر مسه فيه بطرف لسانه ، فقال له ذلك الغلام : هجوتنى يا أبا عامر دون أن تستثبت فى أمرى ، وأن تعلم من سرى ما يوجب ذلك . فقال : على تكفيره بما يمحوه من القراطيس والصدور ، وكان ذلك اثر صلاة العشاء الأولى فطفنا بالجامع ثم انصرفنا اليه وأنشدنا (القصيدة رقم ٦٢) :

أَلا بِأَبى زائرِى فِى العَتَــمْ   بوَجْــهٍ يُجلى ســوادَ الظُّلَمْ

. . . .

وقبل أن تسوء حاله أكثر من ذلك ، سمع ابن شهيد أن صديقه أبا جعفر ابن اللمائى (كاتب على بن حمود [2]) قد أتاه موته ، فكتب مرثية (القصيدة رقم ٧٤) [3] ، ربما ضاعف من الشجى فيها علمه بأن ساعته هو أيضا آتية عن قريب :

فقلتُ والسُّقْمُ مَنْشورٌ على جَسَدِى   يحدُو الرَّدَى ورداءُ العيش مَطْوىٌّ

أَهْدى اللَّمائىُّ مِن أَزْهارِ فكْرتِه   نَشْرًا ، فقالَ الدّجى : مَرَّ اللَّمائىُّ

فقِيلَ : ماتَ ، فقالَ اللَّيلُ : قارب ذَا   فانهلَّ مِن مُقلَتى نَوْءٌ سمائىُّ

وبِتُّ فَرْدًا أُناجِى مُقْلتى شَــفَعاً   كأَنَّنى فى نُقُــوبِ الدارِ جِنىٌّ

---

(١) الذخيرة ق ١ — مجلد ١ ص ٢٨٠ — ٢٨١ .

(٢) ابن خاقان : المطمح ص ٢٥ . انظر عن هذا الشاعر الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص ١٣٢ — ١٣٩ .

(٣) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٣ — ٢٨٤ .

ومن الواضح من شعر ابن شهيد أنه كان مغرما بالفتيان ، ولكننا لا نجد في شعره غراما كغرام ابن زيدون بولادة ، ولا غراما بمن يماثلها بين الذكور ، الى أن نصل الى هذه الشهور السبعة الأخيرة ، حين يأتي ذكر غلام اسمه عمرو ، يضفي على شعر ابن شهيد وهو كما قلنا شعر طافح بالشجن والعذاب من ذكر الموت ، روحا جديدة هي مزاج من الحنق الشديد واليأس . انظر الى ابن شهيد يقول في قصيدة (رقم ٥٨) [١] يخاطب فيها عمرا :

وإنْ أَحَبَّ الثَّرَى جِسْماً ليـأْكلَهُ

أَسْمَحْ بجِسْمِي له يفديكَ تعظِيمِي

وهو يقول في قصيدة أخرى (رقم ٤٢) [٢] :

وكَوْكَباً لِيَ منهمْ كانَ مَغْرِبهُ   قَلْبِي ومَشْرِقُهُ مابينَ أَطْواقِي

اللهُ يعْلَمُ أَنِّي ما أُفـارِقُهُ   إلَّا وفي الصَّدْرِ مِنِّي حَرُّ مُشْتاقِ

وقد وجه ابن شهيد في ذلك الوقت أيضا ، رسالة (القصيدة رقم ٢٣) [٣] الى أصدقائه الذين كانوا يراسلونه ابان مرضه بانتظام والرسالة حديث مباشر عن فكرة موته ، الذي لم يعد لديه أدنى شك في أنه لا بد آت وشيكا :

هذا كِتابِي وكفُّ المَوْتِ تُزْعِجُنِي

عن الحَيـاةِ وفي قَلْبِي لكم ذِكَرُ

وسرعان ما تسلطت هذه الفكرة ، فكرة موته ، على عقله تماما ، فهو يرى نفسه في قصيدة رائعة (هي القصيدة رقم ٢٨) [٤] وهو يقترب من عالم الأموات :

وما أنا إلَّا رَهْنُ ماقَدَّمَتْ يَدِي   إذا غادَرُونِي بينَ أَهْلِ المَقَابِرِ

وفي نهاية تلك القصيدة يتذكر الشاعر عمرا ، فيزيد ذلك من عذابه :

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٤ — ٢٨٥ .
(٢) « « « ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .
(٣) « « « ص ٢٨٥ .
(٤) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٥ — ٢٨٦ .

وليسَ عَجِيباً أَن تدانَتْ مَنيَّتِى   يُصَدِّقُ فيها أَوَّلِى أُمْرَ آخِرِى
ولكنْ عَجِيباً أَنْ بينَ جَوانِحِى   هَوًى كشَرارِ الجَمْرةِ المُتَطايِرِ

ولقد ظل ابن شهيد فى شهور المرض الأخيرة هذه ، قادرا على الحركة ، ولكنه قبل موته بعشرين يوما أصابته نكسة ثانية شلت كل حركة له فكان يحمل على محفة لا يحتمل أن يحرك لتألمه الشديد ، ولم يكن يستطيع أن يتقلب فى فراشه ، فجافاه الصبر ولحقه اليأس ، وفكر فى الانتحار [1] • ولكنه تخلص من فكرته هذه بعد مجالدة ونضال مع نفسه ، والقصيدة (رقم ٥٥) [2] التى كتبها بعد ذلك مباشرة تسجل مراحل ذلك النضال :

أَنُوحُ على نَفْسِى وأَندبُ نُبْلَهَا
إذا أَنا فى الضَّراءِ أَزمعتُ قتلَهَا
رَضِيتُ قَضاءَ اللهِ فى كلِّ حالةٍ
علىَّ وأَحكاما تيَقَّنْتُ عدلَهَا

والقصيدة تنتهى بأبيات من أجمل ما كتب ابن شهيد من شعر :

عليكم سلامٌ من فتًى عَضَّه الرَّدَى
ولم ينْسَ عَيْنًا أَثْبَتَتْ فيه نبْلَهَا
يُبِينُ وكَفُّ المَوْتِ يَخْلَعُ نَفْسَه
وداخِلُها حُبٌّ يهوِّنُ ثُكلَهَا

والبيت الثانى من هذه القصيدة مثال لتلك القدرية القاسية التى يقول بيريس [3] عنها انها ليست اسلامية فحسب ، وانما هى أيضا ايبيرية ، ولذلك يقف ابن شهيد وكأنه أحسن مثال بارز لمثله الأدبى الأعلى ، وهو الشاعر الأسبانى العربى وليس الشاعر العربى فى اسبانيا • ويقول الباحث نفسه عن هذه القصيدة « يشعر

---

(١) الذخيرة ؛ قسم ا مجلد ا ص ٢٨١ – ٢٨٢ ؛ المطمح ص ٢١ .
(٢) « « « « ص ٢٨٢ .
(٣) La Poésie andalouse • ص ٤٦٧ .

المرء بحدة العذاب الشديد تنفذ خلال هذه الأبيات ، وهذا العذاب المضنى ، رغم زيادته عن الحد ، لا يفقد الشاعر تحكمه فى نفسه » [1] • ويرى بيريس أن أبا عامر يعيد الى الحياة فى القرن الحادى عشر ، تلك الرواقية الكلتية الابيرية التى كانت عند سينيكا فى القرن الأول ، وتلك نظرية يثبتها ، لا ذلك الصبر والجلد اللذان تحمل بهما ابن شهيد مرضه الآخير فحسب ، وانما نرى ما يؤيدها فى كل قصيدة من قصائده تقريبا •

ومن حسن الحظ أن الفالج الذى أصاب ابن شهيد لم يصب كل ملكاته بالعجز ، فقد ظل ذهنه وظلت أعضاء الكلام عنده تعمل كما كانت ، حتى أنه كان يجد بعض العزاء وبعض التخفيف من عذابه وألمه فى الحديث مع أصدقائه وفى التأليف • ولقد أعمل فكره كثيرا فى طبيعة مرضه ، وفى القصد من دائه ومن عذابه ، فقوى اعتقاده بأن الله سبحانه وتعالى اصابه به حتى يكفر عن ذنوبه عن طريق الشعور بالألم • وهنا نرى بوضوح مرة أخرى ذلك التوتر العصبى فى شخصيته المتناقضة المعقدة ، فبالرغم من أنه لم يعد قادرا على ركوب الذنوب ، فان الشهوة العارمة لم تزل تقض مضجعه • ويقول ابن خاقان : « وأحسب أن الله أراد بها تمحيصه وطلاقه من ذنب كان قبيصه » [2] • والشاعر نفسه يقول (القصيدة رقم ٧٤) [3] :

إنِّى إلى اللهِ مِن عُقْبَى بُليتُ بها   جَرَى بها الحكمُ والأَمْرُ الالٰهيُّ

وفى هذا الجو وهذا المحيط ، ألف ابن شهيد ، وقد طهرته الآلام ، القصيدة التى تعتبر آيته العظمى • وهذه القصيدة التى يخاطب فيها صديق عمره ابن حزم ، تعتبر واحدة من عدد قليل يعد على الأصابع من أروع القصائد العربية التى كتبت فى اسبانيا • فان عملية انكار الذات والتغلب على النفس قد اكتملت عند ابن شهيد ، وانتصر فى جهاد نفسه ، فهو يشعر وكأنما هو يتحدث من عالم هدوؤه غريب نادر ، وفى أسلوب حى مرن قوى ولكن فى جمال رصين تبدأ القصيدة (رقم ٤٧) :

ولمَّا رأَيتُ العَيْشَ ولَّى برَأْسِه

وأَيْقَنْتُ أَن المَوْتَ لا شَكَّ لاحقِي

(١) المرجع السابق ص ٤٦٨ .

(٢) ابن خاقان : المطمح ص ٢١ .

(٣) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٣ — ٢٨٤ .

تمنَّيْتُ أنِّى ساكِنٌ فى غيابةٍ
بأعْلَى مَهَبِّ الرِّيحِ فى رَأْسِ شَاهِقِ

أُدرُّ سقيطَ الحَبِّ فى فَضْلِ عِيشةٍ
وحيدًا ، وحِسِى الماءِ ثِنْىُ المفالِقِ (١)

والشاعر يطلب من ابن حزم أن يلقى تأبينه ، ثم يستمر ويشتد بالتدريج انفعاله ، حتى يكاد يصل الى أعلى درجات اللظى والوهج :

وحرِّكْ به باللهِ مِن أَهْلِ فَنِّنا
إذا غَيَّبُونى كلَّ شَهْمٍ غُرانِقِ (٢)

ولكن الشاعر على أى حال يتحكم فى نفسه ، رغم انفجار عواطفه ، وانفعالاته . والقصيدة فى بيتها الأخير تتحول وتنتهى الى نسق أساسى من نغمها ، عندما يرج ذاكرته ذكر الموسيقى ، ويدعو الله أن يغفر له ذنوبه :

وإنِّى لأَرْجُو اللهَ فيما تقَدَّمَتْ
ذُنُوبِى به مما دَرَى مِن حَقائِقِى (٣)

وقصيدة ابن حزم (٣) ردا على رسالة ابن شهيد اليه أضعف كثيرا من قصيدة ابن شهيد ، كما هى الحال فى عامة شعره :

أَبا عامرٍ نادَيْتَ خِلاً مصافِيًا
يفدِّيكَ مِن دُهْمِ الخُطُوبِ الطَّوارِقِ

وأَلفيتَ قَلْبًا مُخْلِصًا لكَ ، ممْحضًا
بوُدِّكَ ، موصُولَ العُرى والعَلائِقِ

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٢ .
(٢) الحميدى : الجذوة ص ١٢٥ .
(٣) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٣ .

شدائِدُ يجلُوها الإلهُ بلُطْفِهِ
فلا تيأَس إنَّ الدَّهْرَ جَمُّ المضائِقِ

ورُبَّ أَسِيرٍ فى يَدِ الدَّهْرِ مُطْلَقٌ
ومُنْطَلِق والدَّهْرُ أَسوقُ سائِقِ

سَفِينةُ نُوحٍ لم تضِقْ بحُلُولِها
وضاقَ بهم رَحْبُ الفَلا المُتَضايِقِ

فإنْ تَنْجُ قلتُ : الحمدُ للهِ مُخْلِصًا
فمِنْ أَعْظَمِ النُّعْمَى بقاءُ المُصادِقِ

ومن المحتمل أن قصيدة ابن شهيد الاخيرة كانت مشكلة (١) شغلت بال ابن شهيد نفسه ، تماما كما تشغل القصيدة الأخيرة بال كل شاعر . ولو أن الشاعر لا يصل فى قصيدته هذه الى القمم التى وصل اليها فى آيته الكبرى ، فانها هى (القصيدة رقم ٤٢) (٢) أيضا عمل قيم يختم بها حياته ويجعل منها كلا فنيا متكاملا والقصيدة تبدو كوداع يوجهه الشاعر الى أصدقائه ، ولكن موضوعها الحقيقى هو عمرو ، ويظهر أن حبه لعمرو قد عذبه وأضناه حتى آخر أنفاسه كما يظهر من البيت الأخير ، وهو بيت فى الحق مريع :

إنِّى لأَرْمُقُهُ والمَوْتُ يَضْغَطُنِى
فَأَقْتَضِى فُرْجَةً مُرْتَدَّ أرماقِى

ومن المحتمل أن يكون هذا هو الوقت الذى بين فيه رغباته بخصوص جنازته : فقد طلب أن يدفن بجوار صديقه أبى مروان الزجالى فى بستان هذا الأخير ، الذى كان قد وهبه لأهل قرطبة يستعملونه متنزها عاما ، هو المشهور بحير الزجالى (٣) : وكان موقعه الى الغرب من باب اليهود (٤) ، فى الجانب الشمالى من

---

(١) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٦ .
(٢) المرجع السابق قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .
(٣) « « « ص ٢٨٧ ؛ أنظر بيريس La Poésie andalouse ص ١٢٨ — ١٢٩ والزجالى من أسرة أصلها من البربر (انظر ابن حيان فى النفح ج ٥ ص ٨٢) .
(٤) ابن خاقان : القلائد ص ١٥٣ ؛ ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٧٤ .

سور المدينة كما هو ظاهر فى تخطيط المدينة المرفق بهذا البحث . وهذا الموقع الآن قد غطته مبانى قرطبة الحديثة ، وهو يقع بين طريق القائد الأعظم (Avenida del Generalisimo) وميدان كولمبس . ولا زال جزء من السور الذى كان به « باب اليهود » ، باقيا حتى الآن تحجبه بعض المبانى الحديثة خلف طريق القائد الأعظم . ولقد توالت على تلك البوابة أسماء عديدة ، قبل أن تهدم فى عام ١٩٠٣[1] . ولا زال أحد أبراج هذه البوابة قائما ولكن فى حالة بلى وخراب ، مشيرا الى موقع الباب القديم ، ويظهر جزء منه مدفونا وسط مبان تافهة . ولقد سمى « باب اليهود » فيما بعد بباب الهدى[2] ، ثم باب ليون ، ثم باب طلبيره ، وأخيرا فى العصور المسيحية سمى بباب « أوساريو »[3] ، أى باب « مكان حفظ عظام الموتى » وفى هذا اشارة الى المقابر التى كانت تقع عبر الباب ، خارج السور . وقد كتب ابن شهيد عنها بيتين من الشعر (القصيدة رقم ٤٠)[4] :

لقد أَطْلَعُوا عند بابِ اليَهُو ... دِ شَمْسًا أَبَى الحُسْنُ أَنْ تُكْسَفَا

تَرَاهُ اليَهُــــودُ على بابِها ... أَمِيرًا فَتَحْسِبُهُ يُوسُفَـــا

وبالشرق من البوابة كانت مدافن اليهـود فى مقبرة « قوتة راشو » ، وقد كشفت أعمال الحفر والتنقيب فى ذلك الموضع عن قبور كثيرة ، بينما كانت تقع الى الغرب منها فى موقع به مقبرة رومانية « مقبرة أم سلمة »[5] الاسلامية الشهيرة ، التى كان فى قلبها قبر الاميرة التقية التى سميت المقبرة باسمها[6] . وبجانبها من الغرب كان الطريق الذى يقود الى حى « الرصافة » الأرستقراطى . ومن المحتمل أن « باب اليهود » هذا ، كما يظن ليفى بروفنسال[7] ، وكان يقود الى شارع

---

(١) ليفى بروفنسال : Histoire de l'Espagne musulmane ج ٣ ص ٣٦٧ .

(٢) النفح ج ١ ص ١٤٨ .

(٣) ليفى بروفنسال : Histoire de l'Espagne musulmane الجزء الثالث ص ٣٦٧ — ٣٦٨ ؛ وكذلك نفس المؤلف : L'Espagne Musulmane ٢٠٥ ؛ أوكانيا خيمينث Las Puertas de la Medina de Cordoba فى Al—Andalus ج ٣ (١٩٣٥) ص ١٤٩

(٤) ابن خاقان : القلائد ص ١٥٣ .

(٥) ويقول الحميدى (الجذوة ص ١٢٧) نقلا عمن يدعى بأبى محمد على بن أحمد (وهو ابن حزم) إن ابن شهيد قد دفن فى مقبرة أم سلمة . ومن رأينا أن هذا الخلط بين مقبرة أم سلمة ومدفنه فى حير الزجالى ، مرجعه الى أن الموقعين متجاوران. أما شهادة الضبى ، وشهادة ابن دحية فلا قيمة لها البتة ، فان قصة حياة ابن شهيد عندهما منقولة حرفيا من الجذوة .

(٦) ابن حزم : جمهرة ص ٩١ .

(٧) Histoire de l'Espagne musulmane ج ٣ ص ٣٦٨ .

المدينة الرئيسى ، كان يقود أيضا فى عصر الخلافة الى حى يهودى أخر غير الحى اليهودى الذى كان يقع بين باب الجوز والمسجد الجامع .

وبعد أن بين ابن شـــهيد مكان مقبرته ، طلب أيضا أن يهـال التراب على جثمانه ، فلا يقام فوقه قبو من طوب نىء أو حاجز من أخشاب ، وطلب أن يقوم أبو عامر الحصار بمراسم الدفن (١) . ولما كنا نعـرف أن القصيدة رقم ٤١ آخـــر ما كتب من شعر ، فان الشعر الذى طلب الآن أن يكتب على شاهد قبره ، لا بد أن يكون مكتوبا فى تاريخ قديم .

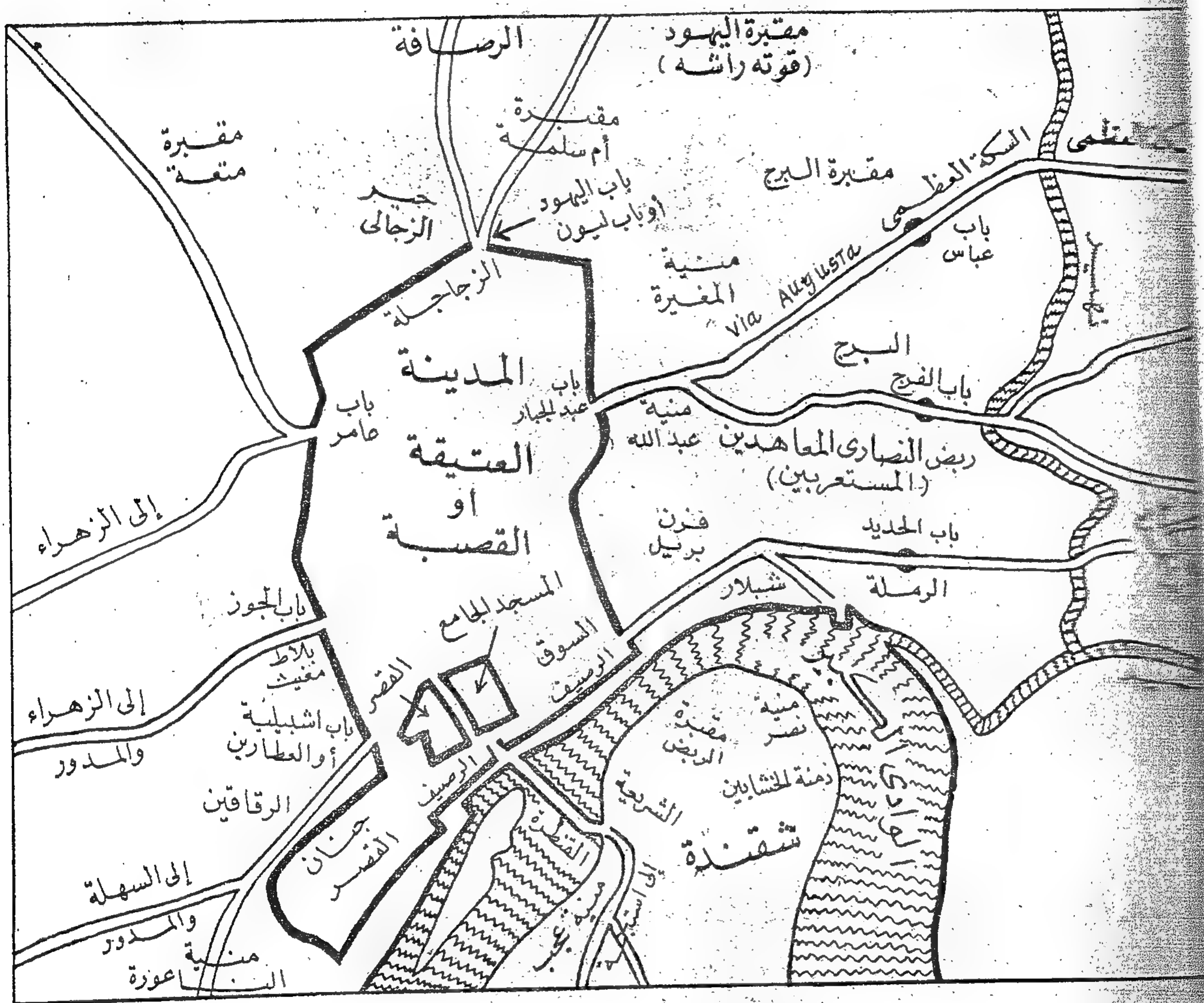


باب اليهود

(١) الحميدى : جذوة ص ١٢٧ .

خر غير الحى

التراب على
لب أن يقوم
٤١ آخر
لا بد أن



خريطة قرطبة فى القرن العاشر الميلادى

منقولة عن ليفى بروفنسال : تاريخ اسبانيا الإسلامية

ومهما كانت الطريقة التى عاش بها أبو عامر ، فان موته كان مثالا رائعا ، ويقول الحميدى [1] : «وهو يدعو الله عز وجل ، ويشهد شهادة التوحيد والاسلام» ويضيف ابن بسام[2] الى ذلك أن أبا عامر « كان كثيرا ما يخشى صعوبة الموت ، وشدة السوق ، فيسر الله عليه ، وما زال يتكلم ويرغب الى الله أن يرفق به، ويكثر من ذكره » • وقبض الله نفسه ضحى الجمعة ، التاسع والعشرين من جمادى الأولى عام ٤٢٦ (١٢ ابريل عام ١٠٣٥) [3] ، وكان ابن شهيد فى الثالثة والاربعين من عمره •

ولما أبلغ الرشيدى خبر موته الى ابن الحناط ، صديق الشاعر الحميم ، بكى وارتجل هذين البيتين[4] :

لمَّا نَعَى النَّاعِى أَبا عامِرٍ أَيْقَنْتُ أَنِّى لَسْتُ بالصَّابِرِ
أَوْدى فَتَى الظَّرْفِ وتِرْبُ النَّدَى وسَيِّدُ • الأَوَّل والآخِرِ

وفى اليوم التالى ، ووري جثمانه الثرى فى الحير • ولم تحترم رغباته فى دفنة متقشفة ، بل كانت جنازته ودفنه مما يملأ قلوب الملوك • وأقيم ناووس مشيد ثم أرسل فى طلب الحصار ليقوم بمراسيم الدفن ، فلم يكن موجودا ، وقام بها بدله حاكم قرطبة أبو الحزم بن جهور[5] بنفسه • ويقول ابن بسام[6] : « ولم يشهد على قبر أحد ما شهد على قبره من البكاء والعويل ، وأنشد على قبره من المراثى جملة موفورة لطوائف كثيرة » ، وقد وصلتنا أجزاء من قصيدتين من هذه المراثى ، أولاهما من شعر أبى الأصبغ القرشى ، والثانية من شعر أبى الحفص بن برد الاصغر ، وكذلك بقى لنا جزء من مرثية أخرى كتبها بعد ذلك بمدة أبو الأصبغ القرشى [7] • ولو أن اسم ابن حزم لم يذكر فى هذا المجال ، الا أن لنا أن نفرض أنه قام بالقاء خطبته فى الجناز كما وعد • وهناك فى قبره تركوه ،

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٧

(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٨

(٣) الذخيرة : نفس الموضع السابق و الحميدى : جذوة ص ١٢٧

(٤) انظر النفح ج ٤ ص ٢٤٦ . ويقول ابن سعيد (المغرب ج ١ ص ١٢٣) إن ابن الحناط سئل مرة عن هشام الثالث ، فأجاب « يكفى من الدلالة على اختياره أنه استكتبنى واتخذ ابن شهيد جليسا » وكان ابن الحناط أيضا أصم كصديقه ابن شهيد (المرجع السابق ج ١ ص ١٢٣)

(٥) لهذه التفاصيل انظر الحميدى : الجذوة ص ١٢٧ .

(٦) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٨ .

(٧) انظر ملحق س

كما يقول جارثيا جوميز (١) ، فى لفظ جميل « ليبلى جسده تحت الزهور » .

ولربما كان شكل القبر من ذلك النوع الذى يسمى « بالشاهد » ، ذلك النوع المكون من لوح قائم الزاوية بالتركيبة أو بدونها ، وكان مصنوعا من الرخام (٢) ، ونكاد نؤكد أنه كان رخاما أبيض ، ولربما كانت الكتابة فوقه بماء الذهب على أرضية لازوردية زرقاء . وكانت الكتابة التى حفرت على القائم هى الأبيات التى سبق للشاعر أن ألفها بنفسه ، كما كانت العادة فى تلك الأيام (٣) . وبالرغم من أن هذه الأبيات فيها من الزخرف والتانق ما هو فوق العادة ، الا أنها تتبع نفس النسق الذى تتبعه كتابات القبور الأندلسية فى العادة كما بيَّن ليفى بروفنسال (٤) :

« بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون (٥) . هذا قبر أحمد بن عبد الملك شهيد المذنب ، مات وهو يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وان الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور (٦) . مات فى جمادى الأولى عام ست وعشرين وأربعمائة (٧) » . ثم يأتى بعد ذلك النقش التذكارى الحقيقى (القصيدة رقم ١٧) (٨) على شكل محادثة بينه وبين صديقه . فتبدأ بابن شهيد يخاطب صديقه الزجالى ، فيقول له :

يا صاحِبِي قُمْ فَقَدْ أَطَلْنَا   أَنحن طولَ المَدَى هُجُودُ

وعلى لسان الزجالى ، يضع ابن شهيد أبياتا تبين عمق ندمه هو واستغفاره . ثم ينتهى بالدعاء :

فقَالَ لِي : لن نَقُومَ منها   مادامَ من فَوْقِنا الصَّعِيدُ

....

يَاربِّ عَفْواً فأَنْتَ مَوْلَىً   قَصَّرَ فى أَمْرِكَ العبيدُ

---

(١) Poemas arábigoandaluces ص ٢٩
(٢) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٧ .
(٣) Histoire de l'Espagne musulmane ج ٣ ص ٤٠٧ .
(٤) Inscriptions Arabes d' Espagne ج ١ ص
(٥) القرآن الكريم آيات ٦٧ — ٦٨ سورة ص .
(٦) القرآن الكريم آية ٧ سورة الأعراف .
(٧) الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٧ .

ويصف لنا ابن خاقان(١) الحديقة التى رقد فيها الصديقان ، فيقول « وهذا الحير من أبدع المواضع وأجملها ، وأتمها حسنا وأكملها ، صحنه مرمر صافى البياض ، يخترقه جدول كالحية النضناض ، به جابية ، كل لجة فيها كابية ، وقد قرنست الذهب والأزورد سماؤه ، وتأزرت بهما جوانبه وأرجاؤه . والروض قد اعتدلت أسطاره ، وابتسمت من كمائمها أزهاره ، ومنع الشمس أن ترمق ثراه ، وتعطر النسيم بهبوبه عليه ومسراه ، شهدت به ليالى وأياما كأنما تصورت من لمحات الأحباب ، أو قدّت من صفحات أيام الشباب ، وكانت لأبى عامر بن شهيد به فرج وراحات ، وغدوات وروحات ، أعطاه فيها الدهر ما شاء ، ووالى عليه الصحو والانتشاء ، وكان هو وصاحب الروض المدفون بازائه أليفى صبوة ، وحليفى نشوة عكفا فيه على جريا لهما ، وتصرفا بين زهوهما واختيالهما ، حتى رادهما الردى ، وعداهما الحمام عن ذلك المدى ، فتجاورا فى الممات ، تجاورهما فى الحياة ، وتقطعت عنهما وارفات تلك الفيئات . والى ذلك العهد أشار وبه عرّض ، وبشوقه صحيح وما مرض ، حيث يقول عند موته يخاطب أبا مروان صاحبه وأمر أن يدفن بازائه ويكتب على قبره ... » ولم يكن ابن خاقان وحده الذى يكثر من التردد على هذا المكان الجميل ، وانما كان من بين الزوّار الدائمين أبو بكر بن القبطرنه، وزير بطليوس ، الذى حضر فيه حفلات عدة يصفها فى نشوة وسرور(٢) :

وٱذْكُرْ لهم زَمَنًا يهبُّ نَسِيمُهُ أُصُلاً كنفْثِ الراقِياتِ عَلِيلاَ
مَوْلى ومَوْلى نِعْمَــة وكرامة وأخا إخاءٍ مُخْلِصًا وخَلِيلاَ
بالحَيْرِ لا عَبَسَتْ هُناكَ غَمامةٌ إلاَّ تُضاحِكُ إذْ خِرًا وجَلِيلاَ
يَوْمًا ولَيْلاً كانَ ذلِكَ كُلُّهُ سَحَرًا وهذا بكرة وأَصِيلا
لا أَدْرَكَتْ تِلْكَ الأَهِلَّة دَهْرَها نَقْصًا ولا تلكَ النُّجُومُ أُفُولاَ

ومن غير المحتمل أن يكون « الحير » اذن متنزها عاما بمعنى الكلمة ، لاستعمال كافة الناس ، وانما الأرجح أن تكون بلدية المدينة قد حفظته منتجعا خاصا للطبقة الراقية من مجتمع قرطبة(٣) .

---

(١) القلائد ص ١٥٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٢ – ١٥٣ . أنظر ياقوت (معجم البلدان ج ٢ ص ٣٧٤) ففيه نص يختلف عن نصنا هذا اختلافا يسيرا .

(٣) انظر بيريس La Poésie andalouse ص ١٢٩ .

ولم يترك ابن شهيد ذرية ، وبموته انتهت سلالة أبيه[1] • ويبدو أنه كان مفردا لم يتزوج ، وليس ذلك بغريب ، ففى قصائده ما يوحى بأنه كان ينتمى الى ما يسمى بالجنس الثالث • ومع أن مضاجعة الجنس ذاته ، والولع بالغلمان كان متفشيا فى المجتمع العربى تفشيه عند اليونان وعند الأزتيك أى قدماء المكسيكيين ، فان هذه العادة تستحق الاهتمام خاصة عند الشعراء ، فعلماء النفس يدعـون أن العبقرية دائما تتصف بازدواج الجنس ، ففى الأديب من صفات المرأة أكثر مما فى غيره من الرجال • ولقد كان من حظ هذا الشاعر ، الذى اعترف به الجميـع كأعظم من أنبتت الأندلس من شعراء حتى ذلك الوقت ، أن يموت بدون ذرية حتى فى ميدان الأدب ، ويقول الحميـدى[1] ، « وكان حين وفاته حامل لواء الشعر والبلاغة ، لم يخلف لنفسه نظيرا فى هذين العلمين جملة » • ولعل ما حدث أمر طبيعى لا غرابة فيه ، اذ كان شاعرنا شاعرا شاذا فذا لا قياس عليه • ويقص علينا ابن حيان[2] أن « لم يوجد له ـ رحمه الله ـ فيما بلغنى بعد موته كتاب يستعين به على صناعته » ، وقول ابن حيان يبدو عليه الصـدق اذا تذكرنا أن ابن شـهيد اشتهر بنفوره الشديد من مدعى العلم والعاكفين على القراءة والحفظ دون فهم • ولربما أصاب الحميدى دون قصـد كبد الحقيقة أكثر مما كان يدرى ، اذ كان مولد الأدب العربى الاسبانى الأصيل أملا قضى عليه موت ابن شـهيد قبل أوانه ، قضى عليه الخراب الذى ألحقته الفتنة بحياة جيله ، وكانت الأمجـاد الثقافية التى أبدعها عصر ملوك الطوائف بعد ذلك ، وهى بلا جدال ذروة الشعر العربى فى اسبانيا ، الا انها كما يقول غومس[3] ، ذروة مزيفة كاذبة •

---

(١) الجذوة ص ١٢٧ .

(٢) فى الذخيرة ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٦٢ .

(٣) Poesia aràbigoandaluza ص ٦٦ — ٦٨ .

(٦)

آراء ابن شهيد

« ومن الضرورى هنا فى البداية أن نذكر بأن الشعر الغنائى الأندلسى عامة، الا فى بضع قصائد قليلة ، فقير غاية الفقر من الناحية العقلية الفكرية ، حتى ان المتنبى الذى كان تأثيره عظيما ، لم يكن أثره من ناحية فكره ، وانما من ناحية براعته الفنية الفائقة . ولقد كان الشعراء المسلمون فى الأندلس ، مثل زملائهم من شعراء المشرق ، أسرى مكبلين بقوالب شكلية جامدة ، فلم يتمكنوا من تغيير شيء فى صلب الشعر ، بل غيروا فيما يحيط به ، فحاولوا استحداث الجديد فى الشعر ، باستخلاص الرحيق فى أنابيق من البلاغة والفصاحة زادت حتى أثقلت الشعر الأندلسى بما فيه من تلك الزخارف الشعرية المنمقة التى تشبه زخارف الفن العربى الاسلامى الهندسية ، والتى تكاد تشبه قصر الحمراء ولكن فى بناء شامخ من الألفاظ . وهذه القصائد الأندلسية المترفة على غناها وتعقيدها تفتقر عامة الى التنظيم الفكرى العقلى ، وتفتقر أحيانا حتى الى الشعور الانسانى ، حتى لتكاد تكون مجرد نظم زخرفى خالص ، ليس فيه تلك المرونة واللطف والدماثة اللينة التى هى صفة القصيدة الاتباعية القديمة . وهذه القصائد مثقلة بصور الخيال ، بل هى مرهقة بها الى درجة لم يتيسر معها حفظ أغلبها أو تقييمه ككل كامل » .

ولعل هذا التعليق من يد باحث اسبانى كبير(١) يجعل من أى فصل يكتب عن آراء أى شاعر أندلسى أو أفكاره ، أمرا يبدو فى طياته تناقض بين . ولكننا نلاحظ أنه يستثنى فى تعليقه بعض الشعراء ، وابن شهيد واحد من هؤلاء ، فان ذلك الباحث يقول فى مكان آخر(٢) « أما ابن شهيد (٩٩٢ - ١٠٣٥) الشاعر الناقد ، فهو المفكر العقلى الخالص ، الذى لا يتخذ ، بفضل منزلته وأصله النبيل ، من ميدان الأدب حرفة للتكسب ، وانما يجد فى الأدب فنا خالصا للتعبير عن طبيعة نفسه . ولشعره فى بعض الأحيان رنة من الأسرار الغامضة ، وكأنها من نتاج العصور

---

(١) غرسية غومس : Poemas arábigoandaluces ص ٢١ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٩ .

الحديثة » . وعبارة (فى بعض الأحيان) تحديد لازم لا غناء عنه ، فان غرسية غومس بحاسته النقدية النفاذة ، وفطنته المعروفة قد أدرك أن ابن شهيد وشعره يمثلان استثناء « جزئيا » من التعميمات التى أوردها فى تعليقه هذا .

من أى ناحية كان ابن شهيد ، استثناء من القاعدة العامة ؟ والى أى حد من ذلك وصل ؟ لا بد لنا قبل الاجابة على هذين السؤالين ، أن ندرس بدقة نظريات ابن شهيد الأدبية ، ففى ابن شهيد ناحيتـان متباينتان ، فى شعره من ناحية ، وفى نثره من ناحية أخرى ، وهو فى نثره أكثر أصالة بلا جدال منه فى شعره ، اذ كان أدبه فى الواقع تطبيقا جـزئيا لنظرياته . وليس من شـك فى أن نظرياته كانت نظريات ثورية ، متقدمة جدا عن آراء أى عصر قبل هذا القرن العشرين .

والحق أن هذه القضية ، قضية الاختلاف بين العصور فى نظرتها الى الأدب، أو بمعنى آخر ، نظرية التجديد الدائم فى الأدب ، انما ظهرت بوضوح أول مرة عند ابن شهيد ، فهو يقول ، « وكما أن لكل مقام مقالا ، فكذلك لكل عصر بيان ، ولكل دهر كلام ، ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطـابة ، وضرب من البلاغة ، لا يوافقها غيره ولا تهش لسواه . وكما أن للدنيا دولا ، فكذلك للكلام نقل وتغاير فى العادة ، ألا ترى أن الزمان لما دار كيف أحال بعض الرسم الأول فى هذا الفن الى طريقة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من أهل البيان ؟ ... فكل شعر لا يكون اليوم تجنيسا أو ما يشبهه تمجه الآذان ، والتوسط فى الأمر أعدل ، ولذلك فضل أهل البصرة صريع الغوانى على أبى تمـام ، لأنه ليس ديباجة المحدثين على لأمة العرب ، فتركب له من الحسن بينهما ما تركب»[1] . ونتيجة كل هذا ، هو أن الأندلس يجب أن يكون لها أدبها الخاص الذى يناسب طبيعتها . ولكى يبرهن على أن هذا فى حيز الامكان ، كتب ابن شهيد « رسـالة التوابع والزوابع » ، فانه فى رحلته ، يلقى القصيدة تلو القصيدة من شعره يقارع بها عمالقة الأدب العربى فى المشرق ، فيغلبهم أحيـانا ، أو يستولى على اعجابهم أحيانا . وقد سعى ابن شهيد سعيه لخلق أدب أصـيل يكون أندلسيا فى روحه وليس فقط فى موطنه ، مما قاده الى نبذ الاتجاهات الأدبية الواردة من بغداد . ولعل ابن شهيد اذا استثنينا انتـاج ابن حزم الشعرى الضئيل ، هو نفسه المثـل الأوحد للمعارضة التى تقف فى وجه المدرسة الاتباعية الحديثة فى ذلك العصر . ولقد كاد انتصار تلك المدرسة أن يكون أمرا محتوما ، اذ جاء ظهور شعر عربى

---

(١) الذخيرة ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

يستحق أن يسمى شعرا فى الأندلس ، معاصرا لتلك الأيام التى وصلت فيها المدرسة الاتباعية فى المشرق الى أوج شهرتها .

الى أى حد ومن أية ناحية أثر ذلك فى تحديد موقف ابن شهيد النقدى ؟ لقد أدرك ابن شهيد أن طغيان هذه المدارس ، وأن حب العربى لسعة العلم لذاتها، وولعه بالحماسة التقليدية ، كلها أمور تمنع ظهور أدب أندلسى أصيل . ولهذا السبب بالذات نراه يهاجم بشدة كل المعلمين ، حتى علماء النحو المشهورين من أمثال سيبويه[1] ، ويهاجم الكتب . ومن رأيه أن الله تعالى هو الذى يهب الفصاحة للانسان ، وليست الكتب ولا المعلمين ، وأن « الشعر موهبة طبيعية تولد من الانسان ولا تكتسب » ، وتلك بديهية فى الغرب ، ولكنها فى العالم العربى ليست بهذا القدر من الوضوح . ويؤيد ابن شهيد نظريته بالاشارة الى القرآن وحكمه القاطع ، فيصف لنا فى « الرسالة » [1] كيف أنه فى رحلته السماوية يقابل واحدا من هؤلاء المتعالمين المتغطرسين ، فيدور بينهما الحديث التالى : فقال لى : دع عنك . أنا أبو البيان . قلت : لا . والله انما أنت كمغن وسط ، لا يحسن فيطرب، ولا يسىء فيلهى . قال : لقد علمنيه المؤدبون . قلت : ليس هو من شأنهم ، انما هو من تعليم الله تعالى حيث قال : الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان[2] » .

ولم يكن ابن شهيد متفائلا فى نظرته الى مستقبل اللغة العربية فى الأندلس ، فقد كان يرى أن الأندلس ، لا يمكنها أبداً ، بدون الأسس اللغوية القديمة القوية أن تقف على قدم المساواة مع المشرق العربى ، وتتحداه . وحينما سئل عن ذلك فى رحلته أجاب فى صراحة ، « قال : فكيف كلامهم بينهم ؟ قلت : ليس لسيبويه فيه عمل ، ولا للفراهيدى اليه طريق ، ولا للبيان عليه سمة . انما هى لكنة أعجمية يؤدون بها المعانى تأدية المجوس والنبط . فصاح : انا لله . ذهب العرب وكلامهم ! » [3] .

ويمضى أبو عامر فى جدله هذا فيقول بأن المسئولية فى الحالة المؤسفة التى وصلت اليها اللغة العربية انما ترجع الى سوء مستوى مدرسى اللغة فى قرطبة .

وفى فقرة لاذعة ، غنية بتلك الصور الخيالية الغريبة التى كان مولعا بها ، يكشف لنا ابن شهيد دقائق الحال : « وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن أتى على

---

(١) نفس المرجع ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٣٤ .

(٢) القرآن الكريم ، آيات ١ — ٤ ، سورة الرحمن .

(٣) الذخيرة قسم ١ ، مجلد ١ ، ص ٢٢٩ .

أجزاء من النحو ، وحفظ كلمات عن اللغة ، يحنون على أكباد غليظة ، وقلوب كقلوب البعران ، ويرجعون الى فطن حمئه ، وأذهان صدئة ، لا منفذ لها فى شعاع الرقة ، ولا مدب لها فى أنوار البيان ، سقطت اليهم كتب فى البديع والنقد فهموا منها ما يفهمه القرد اليمانى من الرقص على الايقاع ، والزمر على الألحان ، فهم يصرفون غرائبها فيما يجرى عندهم تصريف من لم يرزق آلة الفهم ، ومن لم تكن له آلة الصناعة ، مما هى مخصوصة بهـا ، لا تقوم تلك الصناعة الا بتلك الآلة ، فهو كالحمار لا يمكنه أن يتعلم صناعة ضرب العود والطنبور ، لتوتد رسغه ، واستدارة حافره ، ولا له بنان يجس به على دستبان . ولو جاز أن يكون حمار يغنى :

ما بالُ أَنْجُمِ هذا اللَّيْلِ حائِـرةً
أَضَلَّتِ القصْدَ أم ليسَتْ على فَلَكِ ؟

وشبهه ، من أجل أن له حنكا ولسانا وقصبة رئة ، لما جاز أن يوقع بالمضراب على الأوتار ، ويتمم بجس الأنامل ، ويرخى الوتر فى مجرى السبابة والبنصر ، فيبلبل بنشيده ، ويولول فى ضربه على بسيطه .

فهذه حال العصابة من المعلمين : يدركون بالطبيعـة ، ويقصرون بالآلة ، وتقصيرهم بالآلة هو من طريق العلل الداخلة من فساد الآلة القابلة للروحانية ، والخادمة لآلات الفهم ، الباعثة لرقيق الدم فى الشريانات الى القلب ، وزيادة غلظ أعصاب الدماغ ونقصانها عن المقدار الطبيعى. ومما يعين على ذلك بالحدس وطريق الفراسة فساد الآلة الظاهرة ، كفرطحة الرأس وتشفيطه ، ونتـوء القمحدوة ، والتواء الشدق ، وخزر العين ، وغلظ الأنف ، وانزواء الأرنبة [1] » .

وهذه الفقرة برهان قاطع على كرهه الشديد لادعاء العلم والمتعالمين ، وذلك ظاهر أيضا فى شعره (القصيدة رقم ٥٤) :

وناقِلِ فِقْـهِ لم يرَ اللهَ قلبُه يَظُنُّ بأنَّ الدِّينَ حِفْظُ المَسَائِلِ

وفى مقابل ادعاء المتعـالمين ، يضع ابن شـهيد دور الذكاء والفطنة : « أول أدوات الكاتب العقل ولا يكون كاتب غير عاقل [2] » وهـو يرى أن خالة الأدب

---

(١) نفس المرجع ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

(٢) نفس المرجع ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٠٨ .

تتوقف على طبيعة الأديب ، ولا تتوقف كما يرى المدرسيون والمتعالمون على سعة اطلاعه وكمال علمه بالنحو والصرف . والأدب عنده نتاج معقد ، يمتزج فيه بناء جسم الأديب ، وتركيب ذهنه وعقله . وابن شهيد يناقش هذه الآراء بالتفصيل ، مما يقوده الى بحث في طبيعة علم الجمال ، ينتهي منه آخيرا الى القول بأن طبيعة الجمال غير قابلة للتحليل ، فيقول : « واصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب ، واستيفاء مسائل النحو ، بل بالطبع مع وزنه من هذين ، ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه من جسمه ، فمن كانت نفسه فى أصل تركيبه مستولية على جسمه ، كان مطبوعا روحانيا ، يطلع صور الكلام والمعانى فى أجمل هيئاتها ، وأروق لبساتها ، ومن كان جسمه مستوليا على نفسه ـ من أصل تركيبه والغالب على حسه ، كان ما يطلع من تلك الصور ناقصا عن الدرجة الأولى فى الكمال والنمام ، وحسن الرونق والنظام ، صور رائقة من الكلام تملأ القلوب ، رتشغف النفوس . فاذا فتشت لحسنها أصلا لم تجده ، ولجمال تركيبها أسا لم تعرفه ، وهذا هو الغريب ، أن يتركب الحسن من غير حسن ، كقول امرىء القيس[1] :

« أَلا عِمْ صَباحًا أَيُّها الطَّلَلُ البالِي[2] »

وبالرغم مما فى لغة ابن شهيد من روح عصرية حديثة مدهشة ، فانه هو أيضا مثل علماء علم الجمال فى العصر الحديث لم يقترب قيد أنملة من الوصول الى تحليل للغز الخالد فى عملية الخلق الفنى . ولكن النقطة التى تستحق الذكر انما هى الثنائية الكامنة فى فلسفة ابن شهيد ، وهى ثنائية تتفق مع العقائد الاسلامية من مثل النقيضين الدنيا والآخرة ، ولكن ابن شهيد يفصل بين طرفى فلسفته فى حدة نافذة تكاد تشبه حدة المانوية . والثنائية دائما تقود الى اليأس والتشاؤم ، ولعل فى يأس ابن شهيد ارهاصا لما يأتى بعده فى عقيدة أبى العلاء المعرى ، ولو أن الأمر عند ابن شهيد أقل ترتيبا ونظاما . ولقد لاحظ نيكل[3] فى عام ١٩٤٦ ما فى أدب ابن شهيد من تشاؤم ، ومن الملاحظ أن تشاؤم ابن شهيد أعم وأشمل من تشاؤم المعرى ، الا أنه يصل من حين الى حين الى درجة أعلى من التركيز والتحديد ، كما يظهر من هذه الأبيات الرائعة (* القصيدة رقم ٣) :

---

(١) الديوان ص ٢٧ حيث ورد « ألا انعم صباحا ... الخ » .

(٢) الذخيرة ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٩٧ .

(٣) Hispano—Arabic Poetry ص ١٠٤ .

ولَو انَّ الدُّنْيا كريمةُ نَجْرٍ   لم تكن طُعْمَةً لفَرْسِ الكِلابِ
وإذا ما نظرْتُ ما حازَ غيرى   قلّ عمّا حملتُــــهُ فى ثِيابى
جيفة أَنْتَنَتْ فطارَ إلهـــا   مِن بنِى دَهْرِها فِراخُ الذِّئابِ

وهذه النظرة اليائسة المتشائمة السوداء عند ابن شـــهيد تظهر على مستويين اثنين ، أولهما تشاؤم شخصى ذاتى ينبع من تقلبات الحياة وطبيعتها المؤسية ، كما يتبين فى القصيدة الثامنة والقصيدة السادسة عشرة ، أما الثانى فيأس تاريخى يقوم على الاعتقاد بأن العالم يمر بعملية انحطاط تاريخى درجة درجة ، فهو لا يتقدم الى الأمام ولا يتطور الى الأحسن ، كما فى القصيدة رقم ٥٧ :

مَضَى السَّلَفُ الوَضَّاحُ إلاَّ بقيـــةً
كَغُرَّةِ مُسْـوَدِّ القَمِيصِ بَهِيمِ

والقصيدة رقم ٥٤ :

كأَنَّ الدُّجَى همّى ودَمْعى نُجُومُهُ
تَحَــدَّرُ إشفاقًا لدَهْرِ الأَراذِلِ

ويقول ابن شهيد ان عملية الانحطاط هـــذه ، لا يمكن أن يوقفها ويمنع إكتمالها الا رجال ورثوا الفضيلة عن آباء كان من حظهم السعيد أن عاشوا فى عالم أفضل وعصر قديم أنبل (قصيدة ٥٤) :

وما طَابَ فى هَذي البَرِيَّةِ آخِــرٌ
إذا هُو لم يُنْجَدْ بطِيبِ الأَوائِــلِ

وهو يحدثنا فى موضع آخر (فى القصيدة رقم ١٠) عن « جسوم بضة من حسب » وهو لا يتركنا نشك لحظة فى أنه مدرك نبل محتده هو ، كما يظهر من القصائد (رقم ٣ ، ٣٠ ، ٥٤ ، ٦٨) . ولا شك فى أن هـــذا الشعور التاريخى باليأس ينبع أغلبه من تلك الحالة المؤسفة التى كانت عليها الأندلس فى تلك الأيام، حين كان يمسك دفة الأمور فيها أناس ليس عندهم من الشعـــور بالمسئولية أى نصيب ، وحين كانت كل الطبقات تتساوى فى عدم شعورها بمسئوليتها تجاه الدولة.

(٧)

المصادر

يمكن تقسيم مصادر نصوص شعر ابن شهيد ، وفق أهميتها ، الى أقسام ثلاثة : منها ما هو في الدرجة الأولى ، وما هو في الدرجة الثانية ، ومنها ما هو في الدرجة الثالثة من الاهمية • والطبقة الأولى تشمل كتاب « الذخيرة » لابن بسام ، وكتاب « اليتيمة » للثعالبي ، وكتاب « المطمح » لابن خاقان • أما أهم المصادر على الاطلاق من ناحية عدد القصائد التي فيها ونوعها ، فانه كتاب « الذخيرة » بلا جدال ، ففيه نجد بشكل أو بآخر ست وثلاثين قصيدة ، من مجموع قصائد ديوان ابن شهيد هذا ، البالغ عددها جميعا أربع وسبعون قصيدة ، ومن بينها ثماني عشرة نجدها هنا ولا نجدها في أي مصدر آخر • وهذا التباين العظيم بين هذه الأعداد لا يعني فقط أننا اذا فقدنا كتاب « الذخيرة » فاننا نفقد فقط ثماني عشرة قصيدة من شعر ابن شهيد ، فان بقية القصائد ، وعددها خمس وأربعون قصيدة ، هي أيضا لا نجدها في معظم الأحوال ممثلة في المصادر الأخرى الا بأبيات قليلة العدد • أما الثعالبي ففي كتابه أربع عشرة قصيدة ، قصيدتان منها فقط هي التي لا توجد في أي مصدر آخر • ومع ذلك فان النصوص التي نجدها في كتاب الثعالبي ذات قيمة لايمكن تقديرها، فقد يوجد جزء من نفس القصيدة التي يوردها في غيره من المصادر ، ولكن الثعالبي يأتي منها في أغلب الأحيان بأبيات أخرى من نفس القصيدة لا توجد في أي مصدر آخر • أما ابن خاقان ففي كتابه تسع قصائد، كلها نعرف عنها من مصادر أخرى أيضا ، ولكنه يحفظ لنا هو الآخر من هذه القصائد أبياتا لا توجد في المصادر الأخرى ، فالنصوص التي نجدها عند ابن خاقان تتمة لما نجده عند ابن بسام والثعالبي •

ونحن لا نأخذ في الاعتبار ، عند تقديرنا القيمة النسبية لمصدر ما ، العامل العددي ، أي عدد القصائد التي تأتينا به فحسب ، والا كان كتاب « المطمح » أقل قيمة من كتاب «المغرب» ، وانما نأخذ في الاعتبار أيضا العامل النوعي ، مما يعتمد على ما اذا كان جامع الكتاب أو مؤلفه معاصرا أو قريبا عصره من عصر ابن شهيد، وعلى درجة اتصال هذا المؤلف أو الجامع بالمادة الأصيلة للقصائد من مثل النسخ

الخطية لقصائد ابن شهيد . والثعالبي المؤلف المشرقي هو الوحيد من بين أصحاب المختارات الشعرية هؤلاء ، الذي كان معاصرا لابن شهيد ، فقد مات بعد موت شاعرنا باربع سنوات فقط . ولولا أنه حصل على مادته من شعر ابن شهيد بالسماع فقط ، لكان كتابه أصدق وأحسن مصدر لشعر هذا الشاعر . ومن حسن حظنا ان اسناده يعتمد على درجتين اثنتين فقط هما زاوية فارسي ، ينقل عن فقيه أندلسي . ولقد عانى كتاب الثعالبي الكثير على يد ناشريه ، وقد يكون السبب هو هذا ، أو كان السبب على الأرجح هو نقل النصوص على السماع ، ولكن نتيجة كل ذلك على أي حال أن كانت قراءته من قصائد ابن شهيد أقل قيمة من قراءات ابن بسام . ولقد جمع ابن بسام مختاراته الشعرية التي لا تقدر بثمن فيما بين عامي ٥٠٠ – ٥٠٣ (١١٠٦ – ١١٠٩) تقريبا [١] ، فبين حياة ابن شهيد وتاريخ جمع مختارات ابن بسام ما يقرب من ثمانين عاما . ولكن كان ابن بسام على معرفة مباشرة بالمادة الأصلية ، فهو يستعمل في بعض الأحيان نسخة بخط يد الراوي الذي سمع القصيدة أول مرة بنفسه ، وهو أغلب الأحيان ينقل حرفيا من كتاب ابن حيان ، وهو أقدم المصادر وأحسنها . وبالرغم من أن ابن خاقان عامة كذاب أشر عندما يتصل الأمر بتجاربه الشخصية ، الا أننا نستطيع أن نثق به هنا ، اذ أن القصائد الاحدى عشرة التي يورد تسعا منها في كتاب « المطمح » وقصيدتين في « القلائد » تأتي أيضا في مصادر أخرى ، فلا احتمال اذن في أي خداع أو تزوير في نسبة هذه القصائد الى قائلها . ولقد جمع ابن خاقان مختاراته الشعرية في « المطمح » على وجه التقريب بين عامي ٥٢١ – ٥٢٨ (١١٢٧ – ١١٣٤) [٢] .

أما مصادر الدرجة الثانية ، فهي تلك الكتب التي لا تمدنا بكثير من شعر ابن شهيد ، ولكن تمدنا بقصيدة واحدة أحيانا ، وأحيانا بأكثر من قصيدة لا وجود لها في مصادر أخرى ، ومن هذه المصادر كتاب « البديع » للحميري ، الذي مات بعد ابن شهيد باثنين وعشرين عاما ، فهو يكاد يكون معاصرا له ، وهو الذي أمدنا بجزء من القصيدة اللطيفة (رقم ٣٨) . ومن هذه المصادر أيضا كتاب « أعمال الأعلام » لابن الخطيب ، وفيه حفظ لنا من الضياع رثاء قرطبة (القصيدة رقم ٢٦) ، ومنها كذلك « الخريدة » وهي مؤلف متأخر خطي لم ينشر بعد جزؤه الثاني عشر ، حيث نجد ثلاث قطع صغيرة من قصائد كلها أسلوبها أسلوب ابن شهيد ، ولا نجدها في أي مصدر آخر (القصائد رقم ١٤ ، ٤٨ ، ٥٩) .

---

(١) نيكل : Hispano—Arabic Poetry ص ٣٢٩ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٢٥ .

وهذا التقسيم الذي نضعه للمصادر بالطبع تقسيم من عندياتنا قد يكون به بعض العنت ، لذلك نضيف الى مصادر الدرجة الثانية هذه مؤلفا آخر ، أحرى بطبيعته أن يضاف الى مصادر الدرجة الثالثة . هذا هو كتاب « الجذوة » للحميدي الذي توفى عام ٤٨٨ ، والذي نقلت كل مادته فى كتاب « البغية » للضبى ، ونصوص القصائد الأربعة التى نجدها فى كتاب « الجذوة » هـذا ، لا نجد لها نظيرا فى المصادر الأخرى ، تماما كنصوص تلك القصائد التى وردت فى المصادر الرئيسية الثلاثة . وكان الحميدى مثل الحميرى وابن بسام قريبا من عصر ابن شهيد ، وقد حدث بالفعل أن سمع من شعر ابن شهيد قصيدة (رقم ٤٧) ينشدها ابن حزم نفسه .

أما المصادر العشرة الباقية ، بعد استبعاد « القلائد » وقد تكلمنا عنه من قبل ، فانها كلها من الدرجة الثالثة ، متأخرة فى الزمن ، غير موثوق بنصوصها ، ومنقولة فى الغالب من مصادر أقدم منها . وينحصر مدى تواريخها من القرن الثالث عشر ، كما هو الحال فى كتاب « المطرب » وكتاب « البغية » الى القرن السابع عشر ، مثل كتاب «نفح الطيب» . وعندما نصل فى المدى الى التاريخ الأخير ، أى القرن السابع عشر ، نجد أن القصيدة الواحدة تتعدد نصوصها بشكل غير معقول ، وأن فساد النص لا يقل عن تعدد النصوص درجة ولا أهمية ولقد استعملنا فى ديواننا هذا ، من المقرى ست نسخ خطية ، وثلاث طبعات ، أحسنها بلا جدال الطبعة القاهرية الثانية . ونحن نشير فقط الى طبعة ليدن والطبعة القاهرية الأولى فقط فى حالة اختلافهما عن الطبعة القاهرية الثانية أو فى حالة اختلافهما عن النص الأصلى كما حققناه . والسبب فى هذا هو أن طبعة « دوزى » طبعة مركبة نصوصها من توفيق بين النصوص ، كما هى عادة النشر فى القرن التاسع عشر ، فهى ليست طبعة محققة منقحة لكتاب «نفح الطيب» وحده ، وانما يستعين المحقق فى تصحيح النص بكتب ككتاب « الجذوة » ، بينما كان المقرى فى « النفح » ينقل بعض نصوصه من « المطمح » مثلا .

ومصادر الدرجة الثالثة من مثل كتاب « المغـرب » وكتاب « المسالك » هى عامة لا تزيد فى معرفتنا بنصوص قصـائد ابن شهيد ، بل هى تفيض علينا بفيض زاخر من مختلف النصوص المتباينة غير المحتملة . ولو أن هذه كلها لم توجـد بتاتا ، لما خسرنا أى شىء ، بل لصارت مهمة النقد وأداته سهلة هينة . ولكن هناك دائما احتمال كامن ، أن يكون المؤلف المتأخر قد نقل نصوصه من مخطوط أهم

وأعظم مما بين أيدينا الآن • وهذا هو ما حدث بالنسبة الى القصيدة (رقم ٧) فقد نقل المقرى من نسخة خطية من كتاب « المطمح » نصا أحسن من النص المطبوع الذي بين أيدينا الآن • والباحثون من العرب يتهمون رصفاءهم المستشرقين عادة بأن الدقة فى نقل النصوص الخطية والريبة فيها عندهم زائدة عن الحـد ، ومن الحق أن كثيرا من الأخطـاء الاملائية أو الخطية فى النسخ ، مما يضـيع بعض المستشرقين الجهد الكثير في نسخه ، لا تستحق حتى أن توضع في حاشية ، بينما هم يضمنونها نصوصهم • لذلك رأينا ، كما فعلنا فى حالة بعض المصادر الخطيـة بالذات من مثل كتاب « المسالك » وكتاب « العيون » ، أن لا نضمن بحثنا هذا كل الصور المتباينة للنص الواحد ، اذا اختلفت فقط فى ايراد أو حذف بعض النقـاط غير ذات القيمة الأساسية ، اللهم الا اذا كانت للنسخة الناتجة من ذلك فائدة لغـوية أو أهمية خاصة فى فهم معنى النص الذى وردت فيه •

وفن نقد النصوص الحديث قد تطـور حتى صار المشـتغلون به يعرفون بالتحديد حدود فنهم ، فهم يفضلون أن ينقلوا فى أمانة تامة نسخة خطية معينة لنص من النصوص ، على أن يوجدوا نسخة واحدة مركبة تمتزج بها صورتان مختلفتان للنص الواحد ، ولو أنها لم تر النور قبل ذلك أبدا • ولمثل هذا الاتجاه مزايا بلا شك ، ولكننا فى حالة ابن شهيد لايمكننا أن نتجنب مبدأ المزج بين النسخ المتباينة ، فقد تكون للقصيدة الواحدة مثلا تسع نسخ مختلفة ، كما هو الحال فى القصيدتين التاسعة عشرة والحادية والستين ، أو قد يكون لها نسخة واحدة • وقد نجد النص الكامل لقصيدة ما فى كتاب كالذخيرة أو كتاب كاليتيمة ، وقد لا نجد ، فان اختيار القصائد يعود أولا وأخيرا الى ذوق الراوى فى الكتاب الذى نحن بصدده • ولما كان لكل بيت من أبيات القصيدة فى الشعر العربى وحدته فى المعنى ، كانت القصيدة العربية فى العادة مثل عقد من اللآلىء انفرطت حباته ، فأعاد صوغها صائغ كثـيرا ما يكون غير صناع ، فتضيع بعض اللآلىء ، وتأتى بعض اللآلىء فى موضـع غير موضعها الأصلى الصحيح • فمن الواضح اذن أننا لا بد لنـا من بعض المزج بين النسخ المتباينة للقصيدة الواحدة ، اذا أردنا أن نعيد نصـها أقرب ما نستطيع الى صورته الأولى • ولكننا على أى حال حاولنا قدر طاقتنا أن نقصر المزج على ترتيب الأبيات فى القصيدة ، وأن لا نلجأ اليه بحال عند تباين القـراءات المختلفة فى نص البيت الشعرى الواحد • ولكننا فى حالات نادرة ، حينما نجد قراءة أخـرى من مصدر آخر أوضح وأحسن من أية قراءة أخرى ، وجدنا من الخير أن ندمجها فى صلب البيت الواحد • ومن الواضح أن نصوص شعر ابن شهيد أصابها التلف الى حد كبير ، ولذلك اضطررنا الى الرجوع الى ما لا يقل عن ثمانية عشر مصدرا،

ولما كنا قد فضلنا قراءة ابن بسام على قراءة الثعالبي ، فانه من الممكن قياسا على تلك المقدمة ، اذا وجدنا خمسة أبيات متتالية مثلا في مصدر واحد هو كتاب «اليتيمة»، أن يقال ان نص القصيدة في هذا الموضع لا يمكن أن يكون كما كتبه ابن شهيد. ولكن ردنا على ذلك هو أننا قد أعدنا النص الى ما يقرب من صورته الأولى بأحسن ما يستطيع الانسان .

والسبب الأكبر في فساد نصوص شعر ابن شهيد انما يعود الى عدم وجود « ديوان » يحدد النصوص ويثبتها . ولو كان هناك « ديوان » ، لكان لنا فيه أنموذج عال موحد ، يمنع هذا الطوفان المتكاثر من القراءات المتباينة . والشعراء ، سواء في العالم القديم أو الحديث ، يهتمون بجمع شعرهم في « ديوان جامع » ، عندما يمتد بهم العمر ، ويكون أغلب شعرهم قد كتب ، ولكن ابن شهيد ، مثله في ذلك مثل كثير من شعراء الأمس واليوم ، قد وافته منيته في شبابه المبكر ، قبل الوقت الذي يفكر فيه الشاعر عادة في جمع شعره ، بمدة طويلة . ومن الممكن بل المحتمل طبعا أن يقوم شخص آخر بجمع شعر الشاعر بعد موته ، ولكن الظروف السياسية والاجتماعية في الأندلس عامة ، وفي قرطبة خاصة جعلت مثل ذلك الأمر بعيد التحقيق ، فقد كان كل امرىء منشغل البال بأمر واحد ، لا مجال لغيره ، هو كيف يظل الانسان في مثل تلك الأحوال على قيد الحياة ! ولقد كان الموقف هنا شبيها بالموقف في اشبيلية بعد نفي المعتمد ثم وفاته في « أغمات » ، ومن الغريب أن شعر المعتمد أيضا لم يجد من يجمعه في ديوان الا في قرننا هذا . ونحن واثقون تمام الثقة بأنه لم يكن هناك أبداً « ديوان جامع » لشعر ابن شهيد ، ولم نجد أي ذكر أو اشارة الى « ديوان » له في أي مصدر من مصادر شعره أو مصادر تاريخ حياته . وذلك هو المبرر الأول لوجود بحثنا هذا ، اذ لا يمكن أبدا تقدير شاعر ما، أو تقويم شعره ، أو تحديد الدور الذي لعبه في تطور الأدب الأندلسي ، حتى نصل أولا الى جمع كل أعماله ونشرها بعد تحقيقها تحت ضوء النقد الأدبي الحديثة ومناهجه .

سيا على تلك
ب «اليتيمة»،
ابن شهيد،
ولى بأحسن

ندم وجود
فيه أنموذج
اء ، سواء
» ، عندما
له فى ذلك
بل الوقت
الممكن بل
ن الظروف
ذلك الأمر
لغيره ، هو
الموقف هنا
الغريب أن
ن واثقون
م نجد أى
ادر تاريخ
شاعر ماء
حتى نصل
الحديثة

الديـــوان

حرف الألف

١

هجاء الفقهاء من مديح هشام المعتد

أحْلَلْتَنِى بمَحلَّةِ الجَــوْزاء ... ورَويتُ عِنْدَكَ مِن دَمِ الأَعْدَاءِ

وطَعِمْتُ[1] لَحْمَ المارقينَ فأخْصبَتْ[1] ... حالِى وبلَّغَنِى الزَّمَــانُ شِفــائِى

وحَمَلْتَنِى[2] كالصَّقْرِ[3] فوقَ مَعاشِر ... تحتِى كأنَّهُمْ بَنَاتُ[4] الماءِ

ولَمَحْتُ إخْوانِى لَدَيْكَ كأنَّهمْ ... مِمَّا رَفَعْتَهُمُ نُجُومُ سَمَــــاءِ

* * *

لا يَرْحَمِ الرَّحْمنُ مَصْرَعَ مــارِقٍ ... عَبِثَتْ[5] بطاعتِهِ يَدُ الأَهْــواءِ

أَلْحِقْ به إخْوانَــهُ فحَياتُهــمْ ... نَكَدٌ وقد أوْدَى أخُــو السُّفَهــاءِ

ساعِدْ بذاكَ ودَعْ مَقالَ[6] مَعاشِرٍ ... بَخِلُوا فنالُوا خُطَّةَ البُخَــلاءِ

مَن لم يُفِدْكَ سِوَى الزَّمانِ[7] فَخَلِّهِ ... للشَّمْسِ يرْقُبُهَــا مع الحِربَــاءِ

---

(١) الذخيرة (ج ، لب) : « وطعمت عندك لحم الماردين فأخصبت » .
(٢) « (ج ، لب ، م) : « ورأيتنى » .
(٣) « (ج) : « القصر » .
(٤) « (ج) : « نبات » .
(٥) « (ج) : « عتبت » .
(٦) « (لب ، ج) : « مقالة » .
(٧) « (لب ، م) : « الرماح » .

ودعِ القلانِسَ فى السَّحابِ يَشُقُّها(١)   ومفاخِرَ الآبـاءِ للأبْنـاءِ
إنَّ الرِّجالَ إذا تأخَّرَ نفعُهُمْ   فى كُلِّ مَعْنًى شُبِّهُوا بنِساءِ
أناصِلُهُم(٢) عندَ الخِصامِ فخلِّهِمْ   للِّسانِ هذى(٣) الحيَّةِ الرَّقْشاءِ

٢

فى مديح أبى مروان

مَنازِلُهم تبكى إليكَ(٤) عفاءَها   سَقَتْها(٥) الثُّرَيّا بالغَرِىِّ نِجاءَها
أَلَثَّتْ عليها المُعْصِراتُ بقَطْرِها   وجرَّتْ بها هُوجُ الرِّياحِ مُلاءَها
حَبَسْتُ بها عَدْوًا زِمامَ مَطِيَّتى   فَحلَّتْ بها عَيْنى علىَّ وِكاءَها
رأَتْ شُدُنَ الآرامِ فى زَمَنِ الهوى   ولم تَرَ لَيْلى فهى تَسْفحُ ماءَها(٦)
خليلىَّ عُوجا باركَ اللهُ فيكما   بدارتِها الأُولى نُحَىِّ فِناءَها
ولا تمنعانِى أنْ أجودَ بأدْمُعٍ(٦)   حَواها الجوى لمّا نَظَرْتُ جِواءَها
فأُقْسِمُ ما شِمْتُ الغَداةَ وَقودَها(٧)   وقد شِمْتُ ما رابَ الحِمى وأساءَها

---

(١) « (ج) : « يسقها » .
(٢) « (ج ، لب ، م) : « أناضلهم » .
(٣) « (ج ، لب) : « هذه » .
(٤) الذخيرة (ب ، لب) : « عليك » .
(٥-٥) ن فى الذخيرة .
(٦-٦) ن فى الذخيرة .
(٧) «تودها» فى أصل «اليتيمة» .

مَيادِينُ أَفْرَاسِ الصِّبا ومَرَاتِعُ ... رَتَعْتُ بها حَتَّى أَلِفْتُ ظِباءَهَا

فلم أرَ أَسْرَابًا كأَسْرَا بِهَا الدُّمَى (١) ... ولا ذِئْبَ مِثْلِي قد رَعَى ثَمَّ شاءَهَا

وَلا كضَلالٍ كانَ أَهْدَى لصَبْوَتِي ... لَيالِيَ يَهْدِينِي الغَرَامَ خِبَاءَهَا

وما هاجَ هَذا الشَّوْقَ إِلَّا حَمائِمٌ ... بَكَيْتُ لها لمَّا سَمِعْتُ بُكَاءَهَا

تَغَنَّ فلا يَبْعُدْ بِذِي الأَيْكِ عاشِقٌ ... بَكَى بَيْنَ لَيْلَى فَاسْتَحَثَّ غِنَاءَهَا (٢)

عَجِبْتُ لنَفْسِي كَيْفَ مَلَّكَهَا الهَوَى ... وكَيْفَ اسْتَفَزَّ الغَانِيَاتُ إِبَاءَهَا (٣)

(٤) أنا البَحْرُ لا يَسْتَوْهِنُ الخَطْبُ طاقَتِي ... وتَأْبَى الحِسانُ أَنْ أُطِيقَ لِقَاءَهَا

تَيَمَّمَ قَصْدِي النَّائِبَاتُ فَرَدَّهَا ... فتًى لم يُشَجِّعْ حِينَ حَانَ رِيَاءَهَا

إِذَا طَرَقَتْهُ الحادِثَاتُ أَعَارَهَا ... شَبَا فِكَرَاتٍ قد أَطَالَ مَضَاءَهَا

أَمَا وَأَبِي الأَعْدَاءُ مَا دَفَعَتْهُمُ ... يَدٌ سَبَقَتْهُمْ يَتَّقُونَ عَدَاءَهَا

جَزَاهُم بما حازُوا مِنَ الجَهْلِ حِلْمُهُ ... كَرِيمٌ إِذَا رَاءَ المَكَارِمَ جاءَهَا (٤)

وَلَوْ أَنَّنِي أَنْحَتُّ عَلَى أَكَارِمٍ ... تَرَضَّيْتُ بالعِرْضِ الكَرِيمِ جَزَاءَهَا

وَلَكِنَّ جِرْذَانَ الثُّغُورِ رَمَيْنَنِي ... فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَن تُرِيقَ دِمَاءَهَا

إِلَيْكَ أَبَا مَرْوَانَ أَلْقَيْتُ رَابِيًا ... بِحَاجَةِ نَفْسٍ مَا حَرَبْتُ خَزَاءَهَا (٥،٦)

هَزَزْتُكَ فِي نَصْرِي ضُحًى فَكَأَنَّنِي ... هَزَزْتُ ، وقَدْ جِئْتُ الجِبَالَ ، حِرَاءَهَا

---

(١) الذخيرة (ب ، لب) ، اليتيمة : «الاولى» .
(٢) هذا البيت ناقص فى الذخيرة .
(٣) هذا البيت ناقص فى اليتيمة .
(٤-٤) ن فى الذخيرة .
(٥) هذا البيت والخمسة التى تليه ناقصة فى اليتيمة .
(٦) هذا البيت الى آخر الشعر ناقص فى الذخيرة (ر) .

نَقَضْتُ عُرَى عَزْمِ الزَّمانِ وإن عَتا ... بعَزْمةِ نَفْسٍ لا أُريدُ بَقَاءَهَـــا
وكم لكَ مِن يَوْمٍ وَقَفْتَ بظِلِّهِ ... وقد نَازَلَتْنَا الحادثَاتُ إزاءَهَا [1]
ومِن مَوْقِفٍ ضَنْكٍ زَحَمْتَ به العِدى ... وقد نَفَضَتْ فيـه العُقَابُ رِداءَهَا
وكَم أُمّةٍ أَنْجَدْتَهَـــا وكأَنَّهَـــا ... يَرابِيعُ سَدَّتْ خِيفةً قُصَعاءَهَـــا
ومِنْ خُطْبَةٍ فى كَبّةِ الصَّكِّ فَيْصَلٍ ... حَسَمْتَ بها أَهْوَاءَهَا ومِراءَهَـــا

---

(١) الأبيات الأربعة الأخيرة ناقصة فى الذخيرة .

حرف الباء

٣

فى الفخر

هٰذه دارُ زَيْنَبٍ والرَّبابِ(١)

(٢) قد تَرَكْنَا الصِّبا لكُلِّ غَوِىٍّ ... وٱنْسَلَخْنَا مِن كُلِّ ذامٍ وعابِ

وٱنْقَطَعْنَا لِواعِظَاتِ مَشِيبٍ ... آذَنَتْنَا حَيَاتُهَا بذَهابِ

وإذا ما الصِّبا تَحَمَّلَ عنَّا ... فقَبِيحٌ بنا(٣) ٱرْتِضَاءُ التَّصابِى(٢)

* * *

وارْتَكَضْنا حتَّى مَضَى(٤) اللَّيْلُ يَسْعَى(٥) ... وأتى الصُّبْحُ قاطِعَ الأَسْبابِ(٦)(٧)

فكأَنَّ(٨) النُّجُومَ فى اللَّيْلِ جَيْشٌ ... دَخَلُوا لِلْكُمُونِ(٩) فى جَوْفِ غابِ

وكأَنَّ الصَّباحَ قانِصُ طَيْرٍ ... قَبَضَتْ كَفُّه برِجْلِ غُرابِ

---

(١) هذا المصراع ناقص فى اليتيمة .
(٢-٢) لم يقع إلا فى اليتيمة .
(٣) بالأصل (اليتيمة) : « بما » .
(٤) المسالك : « مطى » .
(٥) المسالك : « نسعى » .
(٦) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ر ، ق) .
(٧) هذا البيت ناقص فى اليتيمة .
(٨) المسالك : « وكأن » .
(٩) المغرب : « للكمين »

وفُتُوٍّ سَرَوْا وقد عَكَفَ اللَّيْـــــلُ وأَرْخَى [١] مُغْدَوْدِنَ الأَطْنَابِ
وكَأَنَّ النُّجُومَ لمّـا هَدَتْهُـم أَشْرَقَتْ للعُيُونِ مِن آدابِى [٢]
وكَأَنَّ البُرُوقَ إِذْ طالَعَتْهُـــم أُوقِدَتْ فى سَمائِهَا مِن شِهابِى [٣]
يَتَقَرَّوْنَ جَوْزَ [٤] كُلِّ فَــــلاةٍ جُنْحَ لَيْلٍ جَوْزَاؤُهُ من رِكَـابِى
عَنَّ ذِكْرِى لمُدْلِجِيهِمْ فتاهُـــوا مِن حَدِيثِى فى عُرْضِ أَمْرٍ عُجَابِ
هِمَّةٌ [٥] فى السَّمَاءِ تَسْحَبُ ذَيْلاً مِنَ ذُيُولِ العُلا [٦] وجَدٌّ [٧] كابِى
[٨] وفَتًى أَرْهَفَتْ ظُبَاهُ المَعَالِى فَشَنَتْهُ بالبَاتِرِ القِرْضَـــابِ
نَيَّبَتْهُ أَيَّامُـــهُ ولَيَالِيـــــهِ بظُفْرٍ مِن الخُطُوبِ ونــابِ
حُوَّلٌ لَوْ رآهُ صَرْفُ اللَّيَــالِى لَتَوارَى مِن خَوْفِهِ فى حِجَـابِ
ذاقَ أَيّامَهُ فكانَ ســــواءً عِنْدَهُ طَعْمُ شُهْدِهَا والصّـابِ [٨]
ولَوَ انَّ الدُّنْيَا كَرِيمَةُ نَجْــرٍ لم تَكُنْ طُعْمَةً لفَرْسِ [٩] الكلابِ
وإِذا ما نَظَرْتُ ما حـارَ غَيْـرِى قَلَّ عَمّا حَمَلْتُهُ فى ثِيَابِى [١٠]
جِيفَةٌ أَنْتَنَتْ فطارَ إِلَيْهَـــا مِن بَنِى دَهْرِهَا فِرَاخُ الذِّئَابِ [١١]

---

(١) اليتيمة : « أقعى » .
(٢) الذخيرة : « اداب » .
(٣) هذا البيت لم يقع إلا فى اليتيمة .
(٤) الذخيرة (ب) : « حون » : (ق) : « جو »
(٥) الذخيرة (ب ، لب) : « سمة »
(٦) الذخيرة (ب) : « العلى »
(٧) الذخيرة (ق) : « وجدى »
(٨–٨) لم يقع إلا فى اليتيمة .
(٩) الذخيرة (ب ، ق ، لب) ، اليتيمة : « لبرض »
(١٠) هذا البيت لم يقع إلا فى اليتيمة .
(١١) هذا البيت الى آخر الشعر ناقص فى اليتيمة .

مِن شُهَيْدٍ فى سِرِّهَا ثُمَّ مِنْ أَشْـ ـجَعَ فى السِّرِ مِن لُبَابِ اللُّبَـابِ
خُطَبَاءُ الأَنَام إنْ عَنَّ خَطْبُ وأَعاريبُ فى مُتُونِ عِـراب

٤
مديح الوزير أبى القاسم الإفليلى

غيرَ أنِّى مع الوَزِيرِ أَبِى القَـا سِم حِزبٌ مَحْضٌ مِن الأَحْزابِ
التَّقِىُّ النَّقِىُّ كَهْلاً وطِفْـــلاً فارِسُ الجَيْشِ راهِبُ المِحْرَابِ

٥
وصف البرغوث

ومُنَفِّرٍ للنَّــوْمِ مَسْكَنُهُ ، إذا نامَ المُمَلَّكُ ، بَيْنَ أَثْنَاءِ الثِّيَابْ
يَسْرِى إلى الأَجْسَامِ يهتِكُ عَدْوُهُ عن كُلِّ جِسْمٍ صِيغَ بالنُّعْمَى حِجَاب
وَيَعَضُّ أَرْدَافَ الحِسَانِ ومـاله كَفٌّ وَلَكِنْ فُوهُ مِن أَعْدَى الحِرابِ
مُتَحَكِّمٌ فى كُلِّ جِسْمٍ ناعِـمٍ مُتَدَلِّلٌ مَا بَيْنَ أَلْحَاظِ الكِعَـابْ

فإذا هَمَمْتَ بزَجْرِهِ وَلَّى ولا يَثْنِيهِ (١) عَمَّا قد تَعَوَّدَهُ طِلابْ
وتَرَى مَوَاضِعَ عَضِّهِ مَخْضُوبَــةً بِدَمِ القُلُوبِ وما تَعَاوَرَهُ خِضَابْ
قَرْمٌ مِن اللَّيْلِ البَهِيمِ مُكَـوَّرٌ يَمْشِي البَرَازَ ومَا تُوارِيهِ ثِيابْ
عَظُمَتْ رَزِيَّتُهُ وَلَكِنْ قَــدْرُهُ أَخزَى وأَهْوَنُ مِن ذُبَاب فى تُرابْ

٦
فى الغــزل

ما أَطْرَبَتْ فَوْقَ الغُصُونِ حَمَــامَةٌ إلا رَأَيْتَ دُمُـوعَ عَيْنِى تُسْكَبُ
وإذا الرِّياحُ تَنَـاوَحَتْ أَلْفَيْتَنِى بَيْنَ الصَّبابَةِ والأَسَى أَتَقَلَّبُ
يا عاذِلِى فى الحُبِّ مَهْـلًا بالأَذى لَوْ كُنْتَ تَعْشَقُ ما ظَلَلْتَ تُؤَنِّبُ
كم حاوَلَتْ نَفْسِى السُّلُوَّ فطالَبَتْ أَسْـبابَهُ جُهْـدًا فعَزَّ المَطْلَبُ

---

(١) فى الاصل : « لم يثنه » .

٧

رثاء القاضى أبى حاتم بن ذكوان

ظَنَنَّا الَّذِى نادى مُحِقًّا بمَوْتِهِ   لِعُظْمِ الَّذِى أَنْحى[١] منَ الرزءِ كاذِبَا

وخِلْنا الصَّباحَ الطلق لَيْلًا وإنَّما[٢]   حَبَطْنا[٣] خُدارِيًّا[٤] مِنَ الحُزْنِ كارِبَا

ثَكِلْنا[٥] الدُّنا[٦] لما اسْتَقلَّ ، وإنَّما[٧]   فقَدْناكَ ياخَيْرَ البَرِيَّةِ ، ناعِبَا

وما ذَهَبَتْ إذ حَصَّلَ القَبْرُ[٨] نَفْسَهُ   ولكِنَّما الإِسْلامُ أَدْبَرَ ذاهِبَا

ولمّا أَبَى إلَّا التَّحمُّلَ رائِحًا   مَنَحْناهُ أَعْناقَ الكِرامِ رَكائِبَا

يَسِيرُ به النَّعْشُ الأَغَرُّ[٩] وحَوْلَهُ   أَباعِدُ راحُوا[١٠] للمُصابِ أقارِبَا

علَيْهِ حَفِيفٌ لِلْمَلائِكِ أَقْبلَتْ   تُصافِحُ شَيْخاً ذاكِرا للهِ[١١] تائِبَا[١٢]

تخالُ لَفِيفَ النَّاسِ حَوْلَ ضَرِيحِهِ   خَلِيطَ قَطاً[١٣] وافى الشَّرِيعَةَ هارِبَا

---

(١) المطمح : «أنجى» .
(٢) النفح : «أننا» .
(٣) المطمح : «حبطنا» بالنفح : «هبطنا» .
(٤) المطمح : «حذاريا» .
(٥) المطمح : «ثكلت» .
(٦) المطمح : «الدجى» .
(٧) المطمح : «اننا» .
(٨) المطمح : «المرء» .
(٩) النفح : «الاعز» .
(١٠) النفح : «كانوا» .
(١١) النفح (طل) : « ذاكرا لله » .
(١٢) النفح (ب ، غ) : «تائباً» .
(١٣) النفح : «تخطى» .

إذا ماامتَرَوْا سُحْبَ الدُّمُوعِ تَفَرَّعَتْ ... فُرُوعُ البُكا[1] عن بارِقِ الحُزْنِ لاهِبَا

فَمَن ذا لِفَصْلِ القَوْلِ يَسْطَعُ نُورُهُ ... إذا نَحْنُ ناوأْنا[2] الأَلَدَّ المناوِبا[3]؟

ومَن ذا رَبيعُ المُسْلِمينَ يَقُوتُهُم ... إذا النَّاسُ شامُوها بُرُوقاً كَواذِبا؟

فيا لَهْفَ قَلْبِي آهِ ذابَتْ حُشاشَتي ... مَضَى شَيْخُنا الدَّفَّاعُ عنَّا النَّوائِبا

وماتَ الَّذِي غابَ السُّرُورُ لِمَوْتِهِ ... فلَيْسَ وإنْ طالَ السُّرَى منه آيِبا

وكانَ عَظِيماً يُطْرِقُ الجَمْعُ عِنْدَهُ ... ويَعْنُو له رَبُّ الكَتِيبَةِ هائِبا

وذا مِقْوَلٍ عَضْبِ الغِرارَيْنِ[4] صارِمٍ ... يَرُوحُ به عن حَوْمَةِ الدِّينِ ضارِبا

أَبا حاتِمٍ صَبْرَ الأَدِيبِ[5] فإنَّني[6] ... رَأَيْتُ جَمِيلَ الصَّبْرِ أَحْلَى عَواقِبا

وما زِلْتَ فِينا تَرْهَبُ[7] الدَّهْرَ سَطْوَةً ... وصَعْبًا به نُعْيِي[8] الخُطُوبَ المَصاعِبا

سَأَسْتَعْتِبُ الأَيَّامَ فيكَ لَعَلَّها ... لِصِحَّةِ ذاكَ الجِسْمِ تَطْلُبُ طالِبا

لَئِنْ أَفَلَتْ شَمْسُ المكارِمِ عنكُمُ ... لقد أَسْأَرَتْ بَدْرًا لها وكَواكِبا

---

(١) المطمح : «البكى» .

(٢) المطمح : «ناولنا» ؛ النفح : «ناوينا» ؛ ولكن «ناوأنا» أحسن .

(٣) المطمح : «المنايبا» .

(٤) المطمح : «العرارين» .

(٥) المطمح : «الأديم» .

(٦) المطمح : «لأنني» .

(٧) المطمح : «يرهب» .

(٨) المطمح : «يعيي» .

٨
فى الحكمة

لا تَبْكِيَنَّ مِن اللَّيـالى أَنَّهـا حَرَمَتْكَ نَغْبَةَ شارِبٍ مِن مَشْرَبِ
فأَقَلُّ مالكَ عِنْدَها سَيْفُ الرَّدَى[1] يُسْتَلُّ مِن شَعْرِ القَذالِ الأَشْيَبِ
ورَحِيلُ عَيْشِكَ[2] كُلَّ رِحْلَةِ ساعةٍ وفَناءُ طِيبِكَ فى الزَّمـانِ الأَطْيَبِ
فإِذا بَكَيْتَ فَبكِّ عُمْرَكَ ، إِنَّهُ زَجِلُ الجَناحِ يَمُرُّ مَرَّ الكَوْكَبِ

٩
غـــزل

مَرَّ بى فى فَلَكٍ مِن رِيـَـرْبَ قَمَرٌ مُبْتَسِمٌ[3] عن شَنَبِ
زَيَّنـوا أَعْلاهُ بالدُّرِّ كمـا ثَقَّـلُوا أَسْفَلَهُ بِالكُثُبِ
فازْدَهَتْنِي أَرْيَحِيّـاتُ الصِّبا واسْتَخَفَّتْنِى دواعِى طَرَبى[4]
فتَعَرَّضْتُ لتَسْلِيمٍ لـه[4] فإِذا التَيّـاهُ لا يَعْبَأُ بى
قالَ : هـذا العَبْدُ مَن دَلَّلَـهُ ما الَّذِى أَمَّنَـهُ مِن غَضَبى؟

---

(١) المشالك : «الدجى» .
(٢) المسالك : « عيس » .
(٣) الذخيرة (ب ، ت ، ق) : « مبتسم لى » .
(٤-٤) ناقص فى الذخيرة (ب ، ق) .

يا ظُبَـا لحظِى (١) خُذِى لِى رأْسَهُ   فَهْوَ لا شَكَّ مِن أَهلِ الرِّيبِ

فانْبَرَتْ (٢) أَلْحاظُهُ تَطْلُبُنى   (٣) وأنا قُدَّامَها فى الهَرَبِ

لَوْ تَرانى وأَنا أُلْطِفُهُ (٣)   وأُدارِيهِ مُدارَاةَ الصَّبى

خِلْتَهُ جَبَّارَ قَوْمٍ مَرَدُوا   وأَنا فى لُطفِ الوَعْظِ نَبى

١٠

مديح عبد العزيز المؤتمن

أَذَّنَ الدِّيكُ فَثُبْ أَوْ ثَوِّبِ   وانْضَحِ القَلْبَ بماءِ العِنَبِ

وتَأَمَّلْ آيةً مُعْجِزَةً   ما قَرَأْنا مِثْلَها فى الكُتُبِ

رَكَعَ الإِبْرِيقُ مِن طاعتِهِ   وبَكَى فابْتَلَّ ثَوْبُ الأَكْوُبِ

ولْوَلَ المِزْهَرُ يَنْفِى كُرَبِى   وتَطَرَّبْتُ فأَعْيَا طَرَبِى (٤)

ورَبِيبٍ قامَ فينا ساقِيًا   كالرَّشا أُرْضِعَ بَيْنَ الرَّبْرَبِ

ظَبْيَةٍ دُونَ الصَّبايا قُصِّصَتْ (٥)   فأَتَتْ غَيْداءَ فى شَكْلِ الصَّبى (٦)

---

(١) الذخيرة (ب ، ت ، ق) : «الهند» .
(٢) الذخيرة (ب) : «أخذت» .
(٣-٣) ناقص فى الذخيرة (ب) .
(٤) هذا البيت ناقص فى المسالك .
(٥) المسالك : «فضضت» .
(٦) هذا المصراع فى المسالك : «فأنت عذراء شبه الذهب» .

فُتِّحَ الوَرْدُ على صَفْحَتِهَـــا وحَمَـاهُ صُـدْغُهــا بالعَقْرَبِ

فَمشَتْ نَحْـوِى وقد مُلِّكْتُها مِشْيَةَ العُصْـفورِ نَحْوَ الثَّعْلَبِ

وغَمَـامٍ باكَرَتْنَـــا عَيْنُهُ(١) تَتْرعُ الأُفْقَ (٢) بدَمْعٍ صَيِّبِ

مِثْـلَ بَحْرٍ جاءَنا مِن فَوْقِنَـا ، جِرْمُه مِن لُؤْلُؤٍ لم يُثْقَبِ

فَـدَنا حتى حَسِـبْنا أَنَّـه يَمْسَحُ (٣) الأَرْضَ بفَضْلِ الهَيْدَبِ

فسأَلْنـاهُ ، وقـد أَعْجَبَـنا حَشْوُهُ العَيْنَ بمَرأًى مُعْجِبِ :

أَنْتَ ماذا ؟ قالَ : مُزْنٌ عَلَّمَتْ كَفُّـهُ النُّجْعَــةَ كَفًّا دَرِبِ

سامَنِى بالشَّرْقِ أَنْ أَسْقِيَكُمْ رَحْمَــةً منــه بأَقْصَى المَغْرِب

فَسَأَلْنَاهُ : أَيْنَ ذاك لنـــا ، قالَ : هل يَخْفَى ضِياءُ الكَوْكَبِ؟

مَلِكٌ ناصَبَ مَن خـالَفَكُمْ عامِرِىُّ المُنْتَمَى والمَنْصِبِ (٤)

فَعلِمْنـــا أَنَّهَا نَفْحَـةُ مَن وَرِثَ الجُـودَ أَباً بَعْدَ أَبِ

لكَ كَفٌّ بالـثُّرَيَّا فَيْضُهَـــا ولهــا بَسْطُ النَّدَى مِن كَثَبِ

كَقَلِيبٍ دَلْــوُها مُـــتْرَعَةٌ أَشْرَقَتْ بالمـاءِ عَقْـدَ الكَرَب

تُبْصِرُ العَيْنانِ منـه إنْ بَـدا قَمَرَ السَّرْجِ وشَمْسَ المَوْكِبِ

أَنْجَـبَتْهُ للمعـالِى أُسْرَةٌ(٥) نَزَلُوا للمَجْـدِ أَعْلَى الرُّتَبِ

بنُفُوسٍ مِن سَـناءٍ غَضَّـةٍ فى جُسُـومٍ بَضَّـةٍ من حَسَبِ

---

(١) المسالك : «غيثه» .

(٢) المسالك : « ينزع الماق » .

(٣) المسالك : « مسح » .

(٤) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، لب) .

(٥) الذخيرة (ر) : « أسوة » .

ووُجُـوهٍ [1] مُشرِقاتٍ أَوْ مَضتْ ضاحِكاتٍ في وُجُـوهِ الكُرَبِ
لهُمُ أَيّـامُ حَـرْبٍ كَـثُرَتْ في عِـداهُمْ داعِيـاتِ الحَرَبِ
لم يُطِقْ عـامِرُ قِدْماً مِثْلَهـا لا ولا عمْرُو بن مَعْدِ يكَرِب
سَحَبُوا من ذَيْلِ مَجْـدٍ إذْ هُمُ لِلْوَغَى في ظِلِّ نَقْعٍ أَشْهَبِ
يا ابْنَ أُمِّ المَجْـدِ خُذْها عِبْرَةً جِدَّ قَـوْلٍ يُشْتَهَى كاللَّعِبِ
من بَنـاتِ اللُّبِّ زانَتْكَ كما زانَ صَدْرَ المُهْرِ حَلْيُ اللَّبَبِ
خَمْرَةٌ مِن طِيبِها قد سُبِيَتْ قَطَعَتْ نَحْوَكَ عَرْضَ السَّبْسَبِ

١١

وصف ساقية صغيرة

أَفْـدِي أُسَيْماءَ مِن نَـديمٍ مُـلازِمٍ لِلْـكُؤوسِ راتِبْ
قـد عَجِبُوا في السُّهـادِ مِنْها وَهْيَ لَعَمْرِي من العَجائِبْ
قالُوا : تَجـافَى الرُّقـادُ عنهـا فقُلْتُ : لا تَرْقُدُ الكَواكِبْ

---

(١) المسالك : « بوجوه » .

١٢

هجاء الوزير أبى جعفر بن عباس

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ كَاتِبٌ [(١)] مَلِيحُ شَبا [(٢)] الخَطِّ حُلْوُ الخَطابَهْ
تَمَلَّأَ شَحْمًا ولَحْمًا وما يَلِيقُ تَمَلُّؤُهُ بالكِتابَهْ
وذُو عَرَقٍ [(٣)] لَيْسَ ماءَ الحَياءِ [(٤)] ولَكِنَّهُ رَشْحُ [(٥)] فَضْلِ الجَنابَهْ
جَرَى الماءُ فى سُفْلِهِ جَرْىَ لِينٍ فَأَحْدَثَ فى العُلْوِ مِنه صَلابَهْ

١٣

فى الفخر

ولم أَنْسَ بالنَّاوُوسِ أَيَّامَنا الأُلَى بِها أَيْنُنا [(٦)] مَحْبُوبُها وحَبابُها
وفِتْيَةَ ضَرْبٍ مِن زَناتَةَ مُمْطِرٍ بوَيْلِ المَنايا طَعْنُها وضِرابُها
وَقَفْنا على جَمْرٍ مِنَ المَوْتِ وَقْفَةً [(٧)] صَلَّى لَظاهُ دَأْبُ قَوْمِى ودابُها [(٨)]
إِذا الشَّمْسُ رامَتْ فيه أَكْلَ لُحُومِنا [(٩)] جَرَى جَشَعًا فَوْقَ الجِيادِ لُعابُها

(١) البدائع : «كاتب شاعر» ، النفح : «كاتب محسن» .
(٢) البدائع : «سنى» ، النفح : «سناء» .
(٣) البدائع ، النفح : «له عرق» .
(٤) البدائع : «الجباه» ، النفح (طق ١) : «الحياة» .
(٥) البدائع والنفح : «ماه» .
(٦) الذخيرة (ر) : أتينا» ، (ق) : «ايتمنا عفوها» ، (لب) : «اتينا» .
(٧) المسالك : «فوته» .
(٨) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب) .
(٩) الذخيرة (ب ، لب) : «لحومها» ، المسالك : «نجومها» .

حرف الحاء

١٤

فى رثاء صالح

وقالُوا أَصابَ المَوْتُ نَفْسًا كَرِيمة فقُلْتُ لصَحْبِي هذه نَفْسُ صالِحِ

حرف الدال

١٥

مديح أبي عامر بن المظفر

جُمِعَتْ بطاعةِ حُبِّكَ الأَضْدادُ ... وتَأَلَّفَ الأَفْصاحُ والأَعْيادُ
كَتَبَ القَضاءُ بأَنَّ جَدَّكَ صاعِدٌ ، ... والصُّبْحُ رَقٌّ ، والظَّلامُ مِدادُ

١٦

فى الشكوى

أَعِينا امْرَءًا نَزَحَتْ عَيْنُهُ ... ولا تَعْجَبا مِن جُفُونِ جمادِ[(١)]
إذا القَلْبُ أَحْرَقَهُ بَثُّهُ ... فإنَّ المَدامِعَ شِلْوُ[(٢)] الفُؤادِ
يَوَدُّ[(٣)] الفَتى مَنْهَلًا خالِيًا ... وسَعْدُ المَنِيَّةِ فى كُلِّ وادِ[(٤)]
ويَعْرِفُ[(٥)] للكَوْنِ ما فى يَدَيْهِ ... وما الكَوْنُ إلَّا نَذِيرُ الفَسادِ[(٦)]

(١) هذا البيت والذى يليه ناقصان فى الذخيرة (ب ، لب) .
(٢) الذخيرة (ق) : « تلوى » ؛ فى الأصل « تلو » .
(٣) الذخيرة (ق) : « يرود » .
(٤) بهامش نسخة لب : « اشارة الي المثل : فى كل واد بنو سعد » .
(٥) الذخيرة (ر) : « ويطوف » .
(٦) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، لب) .

لقــد عثر الدّهــرُ [١] بالسابقيـ ... ن ولم يُعْجِزِ المَوْتَ ركضُ الجَوادِ

لَعَمْرُكَ ما رَدَّ رَيْبَ الــرَّدَى [٢] ... أَرِيبٌ ولا جَاهِــدٌ [٣] باجْتِهادِ

سِــهامُ المَنايا تُصِيبُ الفَتى ... ولَوْ ضَربُوا دُونَــه بالسِّدادِ [٤]

أَصَبْنَ [٥] عــلى بَطْشِهِمْ جُرْهُما ... وأَصْمَيْنَ في دارِهِمْ [٦] قَوْمَ عَادِ

وأَقْعَصْنَ كَلْبًا على عِـــزِّهِ ... فما اعْتَزَّ بالصّافِنــاتِ الجِيــادِ

* * *

وَلَكِنَّني خانَني مَعْشَـــــري ... وزِدْتُ يَفاعاً وبِيــلَ المَرادِ

وهل ضَرَبَ السّيْفُ مِن غَيْرِ كَفٍّ ؟ ... وهل ثَبُتَ [٧] الرَّأْسُ في غَيْرِ هادِ ؟

١٧
أبيات في شاهد قبره

يا صاحِبِي قُمْ فقَــد أَطَلْنَــــا ... أَنَحْنُ طُولَ المَدى هُجُودُ ؟

فقالَ لِي : لن نَقُومَ منهـــــا ... ما دامَ مِن فَوْقِنــا الصَّعِيــدُ

---

(١) الذخيرة (ب ، لب) : « الموت » .

(٢) الذخيرة (ب ، لب) : « المنوت » .

(٣) الذخيرة (ب ، لب) : « حازم » .

(٤) هذا البيت ناقص في الذخيرة (ب ، لب) .

(٥) الذخيرة (ب ، لب) : « أصباب » .

(٦) الذخيرة (ب ، لب) : « وأصمى بدارهم » .

(٧) الذخيرة (ب ، لب) : « بصرب » .

تذكُرُ كَمْ لَيْلَةٍ لَهَــوْنَــا [1] فى ظِلِّهَـا والزَّمَـانُ عِيــدُ ؟
وكَمْ سُرُورٍ [2] هَمَى علَيْنَـا سحابةً ثــرّةً تجُــودُ ؟
كُلٌّ كأَنْ لم يكُنْ تَقَضَّى وشُؤمُـه حاضِرٌ عَتِيــدُ
حصَّــلَه كاتِبٌ حَفِيــظٌ وضمَّهُ صادِقٌ شَهِيــدُ
يا وَيْلَنَــا إنْ تَنَـكَّبَتْنَـا رَحْمَـةُ من بَطْشُهُ شَدِيــدُ
يا ربِّ عفْوًا فأَنْتَ مَــوْلًى قَصَّر فى أَمْرِكَ [3] العبيــدُ

١٨
فى السجن

قَرِيبٌ بِمُحْتَلِّ الهَوانِ بعِيــدُ [4] يجُودُ ويَشْكُو حُزْنَهُ فيُجِيــدُ
نَعَى ضرَّه [5] عِنْد الإمام فيالَه عــدُوٌّ [6] لأَبْنَاءِ الكِرَامِ حسُودُ
وما ضرَّهُ إلاَّ مُزاحٌ ورقَّــةٌ ثَنَتْهُ سفِيه الذِّكْرِ وهْو رشِيــدُ
جَنَى ما جَنَى فى قُبَّة الماءِ غَيْرُهُ وطُوِّقَ منه بالعَظِيمةِ [7] جيــدُ

(١) القلائد والنفح : «نعمنا» .
(٢) العيون : «سحاب» ؛ النفح : « سرورا » .
(٣) العيون : « حقك» ؛ القلائد : «شكرك» .
(٤) المطمح ، النفح : « مجيد » .
(٥) النفح : « صبره » .
(٦) المطمح : « عدوا » .
(٧) المطمح والقلائد : « بالعطية » .

وما فِىَّ إلاَّ الشِّعْرِ أَثْبَتَهُ الهَـوى   فسارَ به فى العالَمِين فَرِيـدُ (١)

أَفُوهُ بمـا (٢) لم آتِهِ مُتَعَرِّضًـا   لحُسْنِ المعانِى تارةً فأَزِيـدُ

فإنْ طال ذِكْرِى بالمُجُونِ فإِنَّنِى (٣)   شَقِىٌّ بِمنْظُومِ (٤) الكَلام سعِيدُ (٥)

وهَلْ كُنْتُ فى العُشَّاقِ أَوَّلَ عاشِقٍ (٦)   هَوتْ بحِجاهُ أَعْيُنٌ وخُـدُودُ ؟

وإنْ (٧) طَال ذِكْرِى بالمُجُونِ فإِنَّهَا   عظَائِمُ لم يصْبِرْ لهُنَّ جلِيـدُ

فراقٌ وسِجْنٌ (٨) واشْتِياقٌ وذِلَّـةٌ   وجبَّارُ حُفَّـاظٍ (٩) علىَّ عَتِيـدُ

فمن مُبْلغٌ (١٠) الفِتْيانِ أَنِّى بعْدهُم (١١)   مُقِيمٌ بدارِ الظالِمين (١٢) طَرِيدُ؟ (١٣)

مُقِيمٌ بِدارٍ ساكنُوها مِن الأَذى   قِيامٌ على جمْرِ الحِمام قُعُودُ

ويُسْمعُ للجنَّانِ (١٤) فى جنَباتِهَـا   بسِيطٌ كَترْجِيعِ الصَّدَى (١٥) ونَشِيدُ

وما اهْتزَّ بابُ السِّجْنِ إلاَّ تَفطَّرتْ   قُلُوبٌ لنا خوْفَ الرَّدى وكُبُودُ (١٦)

---

(١) النفح : « مزيد » .
(٢) المطمح : « بها » .
(٣) النفح : « فانها » .
(٤) المطمح : « مظلوم » .
(٥) هذا البيت ناقص فى النفح .
(٦) المطمح ، النفح ، « عاقل » .
(٧) النفح : « فإن » .
(٨) النفح : « شجو » .
(٩) النفح (طل) : « ضفاط » .
(١٠) النفح : « يبلغ » .
(١١) الذخيرة (ب ، لب) : « بعيدهم » .
(١٢) الذخيرة (ب ، لب) : « الظاعنين » .
(١٣) المطمح ، النفح : « وحيد » .
(١٤) النفح (طق ٢) : « للحيات » .
(١٥) النفح : « المدى » .
(١٦) هذا البيت لم يقع إلا فى الذخيرة (المرة الثانية) .

وَلَسْتُ بِذِى قَيْدٍ يرِقُّ [1] وإِنَّما ... عَلى اللَّحْظِ مِنْ سُخْطِ الإِمامِ قُيُودُ

وَقُلْتُ لِصدَّاحِ الحمامِ وقد بكَى ... على القَصْرِ إِلْفاً والدُّمُوعُ تجُـودُ

أَلا أَيُّها الباكِى على من تُحِبُّهُ ... كِلانَا مُعَنًّى بالخَلاءِ فَرِيـدُ

وهل أَنْتَ دانٍ من مُحِبٍّ نأَى به ... عن الإِلْفِ سُلْطَانٌ علَيْهِ شَدِيـدُ ؟

تَصفَّقَ مِن رِيشِ الجنَاحيْنِ واقِعاً [2] ... على القُرْبِ حتَّى ما علَيْهِ مزِيدُ

وما زال يُبْكِينِى وأُبكِيهِ جاهِـداً ... وللشَّوْقِ مِن دُونِ الضُّلُوعِ وقُودُ

إِلى أَن بكَى الجُدْرانُ [3] مِن طُولِ شَجْونا ... وأَجْهَشَ بابٌ جانِباهُ حدِيـدُ

أَطاعتْ أَمِيرَ المُؤْمِنِين كَتائِـبٌ ... تَصرَّفُ فى الأَحْوالِ [4] كَيْفَ يُرِيدُ [5]

فللشَّمْسِ عنهـا بالنَّهارِ تَأَخُّرٌ ... وللبدْرِ عنها [6] بالظَّلامِ صُدُودُ [7]

أَلا [8] إِنَّها [9] الأَيَّامُ تَلْعَبُ بالفَتَى ... نُحُوسٌ تهادى تارةً وسُعُـودُ

وما كُنْتُ ذا أَيْدٍ فيُذْعِنَ ذُو قُوًى [10] ... مِنَ الدَّهْرِ مُبْدٍ صرْفَهُ ومُعِيدُ

وراضَتْ صِعابِى سطْوةٌ علَوِيَّـةٌ ... لها بارِقٌ نَحْوَ النَّدى ورُعودُ

---

(١) الذخيرة (المرة الثانية)، النفح: «يرن»، المطمح: «يرث».
(٢) المطمح: «واقفا».
(٣) النفح (طق ١): «الجذلان».
(٤) «الأموال» فى الأصل (المطمح)
(٥) النفح: «تريد».
(٦) النفح: «شحنا».
(٧) النفح (ب، ج): «عدود».
(٨) النفح: «إلا».
(٩) النفح (طل): «إنما».
(١٠) هذا المصراع فى الأصل (المطمح): «وما كنت ذا أيد فأذعن ذا قوى».

تَقُولُ الَّتى مِن بَيْتِها[1] خَفَّ[2] مَرْكَبى[3] • أَقُرْبُكَ[4] دانٍ أَمْ نَوَاكَ[5] بَعِيدُ؟[6]
فقُلْتُ لها : أَمْرِى إلى من سَمَتْ به • إلى المجْدِ آباءٌ له وجُدُودُ

١٩
فى مدح ممدوح غير معروف

أَصُبَيْحٌ[7] شِيمَ[8] أَمْ بَرْقٌ[9] بَدَا • أَمْ سَنَا المحبوبِ أَوْرَى أَزْنُدَا[10]
هَبَّ مِن مرْقدِهِ[11] مُنْكَسِرًا[12] • مُسْبِلاً للْكُمِّ مُرْخٍ[13] للرِّدا
يمْسحُ النَّعْسةَ مِنْ[14] عيْنَىْ رشا • صائِدٍ[15] فى كُلِّ يومٍ أَسَدا

(١) النفح : « بينها » .
(٢) «كف» فى الأصل (المطمح) .
(٣) هذا المصراع من أبى نواس : ديوان ص (٤٨) .
(٤) المطمح : « أغربك » .
(٥) النفح : «مداك» .
(٦) النفح (طل) : « مديد» .
(٧) المطمح : « أصباح » ؛ المغرب : « أصبيح » .
(٨) النفح (المرة الثانية) : « لاح » .
(٩) النفح (المرة الثانية) : « بدر » .
(١٠) العيون ، المطمح ، المغرب ، النفح (المرة الثانية) ، اليتيمة : « زندا » .
(١١) النفح (المرة الثانية) : « نعسته » .
(١٢) المغرب : « منفتلا » .
(١٣) النفح (ب ، ج ، ل) : «مرخى» .
(١٤) الذخيرة (ب ، لب) ، النفح (المرة الثانية) : « عن » .
(١٥) النفح (طل) : « صائدا » .

أَوْرَدَتْــهُ لُطْفاً آيَتُـــبــهُ ... صَفْوَةَ العَيْشِ [١] وأَرْعتْهُ ددا [٢]

فَهْوَ مِنْ دلٍّ عــراهُ زُبْـــدَةٌ ... مِنْ صريحٍ لم يُخَالِطْ زَبـــدا

قُلْتُ [٣] : هَبْ لِي يا حبيبِي قُبْلَةً ... تَشْفِ مِن غَمّك [٤] تبريح الصَّدى

فانْثَنَى يَهْتَزُّ مِن مَنكبِـــهِ ... قائِلاً : لا ! ثُمَّ أَعْطَانِي اليدا [٥]

كُلَّما كَلَّمنِي قَبَّلْتُـــهُ ... فَهْو إِمّا [٦] قال قَوْلاً [٧] ردَّدا [٣]

كاد أَنْ يرْجِع ، مِن لَثْمِي لَــه ... وارْتِشافِي [٨] الثَّغْر منه ، أَدْرَدَا [٩][١٠]

قال لِي يلْعبُ : صِدْ [١١] لِي طائِرًا ... فترانِي الدَّهْر أَجْرِي بالكُدَى [١٢][١٣]

وإذا [١٤] اسْتَنجزْتُ يوْمًا وَعْدَه [١٥] ... قال لِي يَمْطُلُ [١٦] : ذَكِّرْنِي غدًا [١٧][١٨]

شَرِبَتْ أَعْطَافُه [١٩] خَمْرَ [٢٠] الصِّبا ... وسَقَاه [٢١] الحُسْنُ حتَّى عَرْبَدَا

---

(١) النفح (طق ، ب ، ج ، ل) : «العيش» .
(٢) لم يقع هذا البيت والذى يليه إلا فى المطمح .
(٣) المطمح : « مريج » .
(٣-٣) ن فى اليتيمة .
(٤) النفح (المرة الثانية) : « حبك » .
(٥) هذا المصراع فى المطمح ، النفح (المرة الثانية) : « مائلا لطفا وأعطالة ليدا » .
(٦) الذخيرة (ب ، لب) : « مهما » .
(٧) النفح (المرة الثانية) : « كلا ما » .
(٨) العيون : « ارتشاف » .
(٩) المطمح ، النفح (المرة الأولى) : «ازوردا» ؛ (طل نفس المرة) : « ا ذا ردا » .
(١٠) هذا البيت ناقص فى الفح (المرة الثانية) .
(١١) النفح (المرة الثانية) ، الذخيرة : «خذ» .
(١٢) المغرب : « أمشي فى الكدى » .
(١٣) هذا البيت ناقص فى المطمح .
(١٤) اليتيمة : «فاذا» .
(١٥) العيون : « منه وصله » .
(١٦) العيون : « يضحك » .
(١٧) هذا المصراع فى المطمح ، النفح (المرة الأولى) : « أمطل الوعد وقال : اصبر غدا » .
(١٨) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، لب) .
(١٩) النفح (المرة الثانية) : «أعضاؤه» ؛ (طل نفس المرة) : « أغصانه » .
(٢٠) المطمح ، النفح (المرة الأولى) : «ماء» .
(٢١) المغرب : « وثناه » .

وإذا[1] بِتُّ به فى رَوْضَــــــة   أَغْيَــدًا يَعْرُو[2] نَباتًا أَغْيَــدًا[3][4]
قامَ فى اللَّيْلِ بجيــدٍ أَتْلَــــعٍ   يَنْفُضُ اللِّمّةَ مِن دَمْعِ النَّــدَى
رَشَأٌ بَلْ غادةٌ مَمْكُــــــورةٌ   عُمِّمَتْ صُبْحًا بلَيْلٍ أَسْوَدَا[5]
أَحَحَتْ[6] مِن عَضَّتِىَ فى[7] نَهْدِها   ثُمَّ عَضَّتْ حُرَّ وَجْهى[8] عَمَدَا
فَانَا المجْرُوحُ مِن عَضَّتِهَــــا[9]   لا شَفانِىَ اللهُ منها أَبَــدَا[10]
ومَكانٍ عازِبٍ مِن جِيرةٍ[11]   أَصْدِقَاءٍ وهُم[12] عَيْنُ العِدَا[13]
ذِى نباتٍ طَيِّبٍ[14] أَعْرَافُهُ   كَعِذَارِ[15] الشَّعْر فى الخَدِّ[16] بَدَا
تَحْسَبُ الهَضْبَةَ منــه جَبَــلاً   وخُدُورَ المــاءِ منه أَبْـردَا[17]

---

(١) المطمح ، النفح (المرة الأولى) : «فاذا» .
(٢) المطمح ، المغرب : «يتزو» ؛ النفح (المرة الأولى) : « يغذو» ؛ (طق ١) : « يغزبنانا » ؛ (ب ، ج ، ل): « يغزو » .
(٣) هذا البيت والذى يليه ناقصان فى النفح (المرة الثانية) .
(٤) هذا البيت والثلاثة التى تليه ناقصة فى اليتيمة ، وهذا البيت إلى آخر القصيدة ناقص فى الذخيرة (ر ، ق) .
(٥) لم يقع هذا البيت والذى يليه إلا فى الذخيرة ، النفح (المرة الثانية) .
(٦) المسالك : «أخجت» ؛ النفح (المرة الثانية) : «أخجلت» ؛ (المرة الثانية) : « أحجمت » ؛ (ل) : أخجت » ؛ (مب ١) : أججت » .
(٧) النفح (طل المرة الثانية) : « عصة » .
(٨) المغرب : « خدى » .
(٩) اليتيمة : « عصته » .
(١٠) هذا البيت ناقص فى المطمح .
(١١) المطمح ، النفح (ب ، غ) : « عن خبره » ؛ النفح : « عن جيرة » ؛ (ل) : « عن خبره » .
(١٢) النفح (طل) : « أصدقاؤهم » .
(١٣) هذا البيت الى آخر الشعر ناقص فى الذخيرة ، النفح (المرة الثانية) .
(١٤) اليتيمة : « بلبلت » .
(١٥) المطمح : « كقرار » .
(١٦) المطمح ، النفح (المرة الأولى) : « خده » .
(١٧) هذا البيت ناقص فى اليتيمة .

قُلْتُ إِذ خَيَّمْتُ فيه قاطِنًا   وتَلاقَتْنِى الأَمَانِى سُجَّدَا[1]

وَرَأَيْتُ الدَّهْرَ خَوْفِى ساكِنًا   وبَنِى الأَحْرَارِ حَوْلِى أَعْبُدَا

جادَ مَن أَصْبَحْتُ فى أَيَّامِهِ   والرَّدى يَحْذَرُ مِن خَوْفِى الردَى

مَلِكٌ يُحْسَبُ عَدْلاً مَلَكًا   وإِمامٌ أَمَّ فينا فَهَدَى

خِلْتُهُ والرُّمْحُ فى راحتِهِ   قَمَرًا يَحْمِلُ منه فَرْقَدَا

نِعَمَ ما اخْتَرْتُ لنَفْسِى فاعْلَمُوا   إِنْ زَمَانٌ جارَ أَوْ صَرْفٌ عَدَا

لَيْسَ من يَعْشُو إِلى نارِ القِرى   مِثْلَ مَن يَعْشُو إِلى نارِ الهُدَى

٢٠

غزل

قُلْ لمن زاد إِذ تَباعد بُعْدا   وتَناسى عهْدِى ولم أَنْسَ عهْدا

لا يَغُرَّنْكَ ما تَرى مِن وِدادِى   فَلَعلّى إِنْ شِئْتُ غَيَّرْتُ وِدَّا

لا وحقِّ الهَوى وحقِّ لَيالِيـ   ـهِ ومَن صاغَ حُسْنَ وجْهكَ فَرْدا

ما أُطِيقُ الَّذِى ادَّعيْت ولَوْ مُدَّ (م) كُنْتُهُ لم أَكُنْ لغَيْرِكَ عبْدا

---

(١) هذا البيت إلى آخر الشعر ناقص فى المطمح ؛ النفح (المرة الأولى) .

حرف الراء

٢١

هجاء كاتب غير معروف

ويْحَ[(١)] الكِتابةِ مِن شَيْخٍ هَبنَّقَةٍ ... يلْقَى[(٢)] العُيُون برأسٍ مُخُّهُ رارُ
ومُنْتِنِ الرِّيحِ إنْ نَاجَيْتَهُ[(٣)] أَبدًا ... كأَنَّما مات فى خَيْشُومِهِ فارُ

٢٢

فى رثاء الحبيب

تَولَّى الحِمامُ بظَبْيِ الخُدُورِ ... وفازَ الرَّدى بالغَزالِ الغَرِيرِ
وكُنْتُ مللْتُك لا عن قِلًى ... ولا عن فَسادٍ جرى[(٤)] فى ضَميرى
كمِثْلِ ملالِ الفَتَى للنَّعِيمِ ... إذا دام فيه وحالِ[(٥)] السُّرُورِ

---

(١) الذخيرة (ت ، ر) : « تأبى » ؛ (ب ، لب) : « تأنى » .
(٢) الذخيرة (ق) : « تلتى » .
(٣) الذخيرة (ب ، ق) : « ففهمت » ؛ المغرب : « ناحيته » .
(٤) المغرب : « ثوى » .
(٥) المسالك : « عيش » .

٢٣

رسالة إلى اخوانه فى علته

هذا كِتابِى وكَفُّ الموْتُ تُزْعِجُنِى ... عن الحياةِ وفى قَلْبِى لكم ذِكَرُ

إنْ أقضِكُم حقَّكُم مِن قِلَّةِ عُمُرِى ... إنِّى إلى اللهِ لا حقٌّ ولا عُمُرُ

لَهفِى على نَيِّراتٍ ما صدعْتُ بها ... إلاَّ وأَظْلَم مِن أَضْوائِهَا القَمرُ

فاقرَ السَّلام على المنْصُورِ أفْضلِ من ... سعى لثأرِ بنِى الإِسْلامِ فانْتَصرُوا

واعطِفْ بها عطْفَةً تهتزُّ مِن كَرمٍ ... على المُظفَّرِ فهو الفَلْجُ والظَّفَرُ

٢٤

فى مدح يحيى المعتلى

شَجتْهُ مغانٍ مِن سُلَيْمى وأَدْؤُرُ(1) ... .

(2)وأُخرى اعْتَلَقْنَا دُونَهُنَّ ودُونَها ... قُصُورٌ وحُجّابٌ ووالٍ ومعْشَرُ

يُزَيِّنُها ماءُ النَّعيمِ وخفْضُها ... مِن العيْشِ فَيْنانُ الأَراكةِ أَخْضَرُ

إذا رامهَا ذُو حاجةٍ صدَّ وجْهَهُ ... ظُبا الباتِراتِ والوشِيجُ المُكَسَّرُ(2)

---

(1) هذا المصراع ناقص فى اليتيمة .

(2-2) لم يقع إلا فى اليتيمة .

وِمِن قُبّةٍ[1] لايُدْرِكُ الطَّرْفُ رأسَها   تَزِلُّ بها رِيحُ الصَّبا فَتَحدَّرُ

إذا زاحمتْ منها المخارِم صوَّبتْ   هُوِيًّا[2] على بُعْدِ المدى وهْي تَجْأَرُ[3]

تكَلَّفْتُها[4] واللَّيْلُ قد جاشَ[5] بحْرُهُ   وقد جعلَتْ أمْواجُهُ تتكَسَّـــرُ

ومِن تَحْتِ حِضْنِي أَبْيضٌ ذُوسَفَاسِقٍ[6][7]   وفى الكفِّ مِن عسّالةِ الخَطِّ أَسْمَرُ

هُما صاحِباى مِن لَدُن كُنْتُ يافِعًا   مُقيلانِ مِن جدِّ الفتَى حِين يَعْثُرُ

فذاجدْوَلٌ فى الغِمْدِتُسْقى[8] به المُنَى[9]   وذا غُصُنٌ فى الكفِّ يُجْنَى[10] فيُثْمِرُ[11]

إلى بَيْتِ لَيْلى وهو فَرْد بذِى الغَضا   يضِيءُ لعَيْنِ المُسْتَهام ويزْهرُ[12]

فبتْنَا على ضمٍّ لفَرْطِ اشْتِياقِنَـــا   تكادُ له أكْبادُنَـــا تتَفطَّرُ

* * *

ودَوِّيّةٌ مِن فِتنَةٍ مُدْلَهِمّـــةٍ   دَرِيسِ الصُّوى مَعْرُوفُها مُتنكِّرُ

إذا جابَها الخِرِّيت فى طُرُقاتِها   يَظَلُّ بها أعْمَى وإنْ كانَ يُبْصِرُ

تَرى ثابِتاتِ الحُكْمِ عِنْدَ اعْتِسافِها   تَزِلُّ على أدْفافِها فتَهَـــوَّرُ

---

(١) المغرب : « مر » .
(٢) اليتيمة : « هبوبا » .
(٣) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (المرة الأولى) .
(٤) الذخيرة (ب ، لب) : « تكنفتها » .
(٥) المغرب : « ماح » .
(٦) اليتيمة : « شفاشق » .
(٧) هذا المصراع فى المغرب : « ومن تحت حضنى من ظبا الهند أبيض » .
(٨) الخريدة ، اليتيمة : « تشفى » .
(٩) الخريدة : « الصدا » .
(١٠) الرايات : « يسقى » .
(١١) اليتيمة : « ويثمر » .
(١٢) هذا البيت الى آخر الشعر لم يقع إلا فى اليتيمة .

وإنْ سَلَكَتْ أَصْواجُها عَيِيَتْ بها عَوارِبَ من ذِى مُطْرياتٍ تَزَجَّرُ
وسِرْنَا نَجُوزُ النَّهْجَ حتَّى بَدا لنا بغُرّةِ يَحْيى ساطِعُ اللَّوْنِ أَزْهَرُ

٢٥
ختام رسالة

وإنِّى على ما هاجَ صَدْرِى وغاظَنِى لَيأْمَنُنِى مَنْ كانَ عِنْدِى له سِـرّ

٢٦
رثاء قرطبة

ما فى الطُّلُولِ مِن الأَحِبَّةِ مُخْبِرُ فَمَن الَّذِى عن حالِهـا نَسْتَخْبِرُ ؟
لا تَسأَلَنَّ سِوى الفِراقِ فإِنَّهُ يُنْبِيكَ عنهم أَنْجَدُوا أَم أَغْوَرُوا
جـارَ الزَّمانُ عليْهِمُ فَتَفَرَّقُوا فى كُلِّ ناحِيَةٍ وبادَ الأَكْثَرُ
جَرَتِ الخُطُوبُ على محلِّ دِيارِهِم وعليْهِمُ فَتَغَيَّرَتْ وتَغَيَّـرُوا
فَـدَعِ الزَّمانَ يصوغُ فى عرصاتِهِم
نُوراً تكادُ له القُلُوبُ تُنَـوِّرُ
فلِمثْلِ قُرْطُبةٍ يقلُّ بُكاءُ مَن يَبْكِى بعَيْنٍ دَمْعُهـا متفَجِّرُ

دارٌ ، أَقالَ اللهُ عَثرةَ أَهْلِهَا ، ... فَتَبَربَرُوا وتَغَرَّبُوا وتَمَصَّرُوا

فى كُلِّ ناحِيَةٍ فَرِيقٌ منهمُ ... مُتَفَطِّرٌ لفَراقِها مُتَحَيِّرُ

عَهْدى بها والشملُ فيها جامِعٌ ... مِن أَهْلِها والعَيْشُ فيها أَخْضَرُ

ورِياحُ زَهْرَتِها تلوحُ عليْهِمُ ... برَوائِحٍ يَفتَرُّ منها العَنْبرُ

والدارُ قد ضَربَ الكَمالُ رِواقَهُ ... فيها وباعُ النقصِ فيها يَقْصُرُ

والقَوْمُ قد أَمِنُوا تغيُّرَ حُسْنِها ... فَتَعَمَّمُوا بِجَمالِها وتَأَزَّرُوا

يا طِيبَهُمْ بقُصُورِها وخُدُورِها ... وبُدُورُها بقُصُورِها تَتَخَدَّرُ

والقَصْرُ قَصْرُ بَنِى أُمَيَّةَ وافِرٌ ... من كُلِّ أَمْرٍ والخِلافةُ أَوْفَرُ

والزاهِرِيَّةُ بالمَراكِبِ تُزْهِرُ ... والعامِرِيَّةُ بالكَواكِبِ تُعْمَرُ

والجامِعُ الأَعْلَى يغصُّ بكُلِّ مَن ... يتلو ويَسْمَعُ ما يَشاءُ ويَنْظُرُ

ومسالِكُ الأَسْواقِ تشهد أَنَّها ... لا يَستَقِلُّ بسالِكِيها المَحْشَرُ

يا جَنَّةً عصفَتْ بها وبأَهْلِها ... رِيحُ النَّوى فتدَمَّرتْ وتدَمَّرُوا

آسَى عليْكِ من المماتِ وَحَقٌّ لى ... إذ لم نزَلْ بكِ فى حَياتِكِ نَفْخَرُ

كانَتْ عراصُكِ للمُيَمِّمِ مَكَّةً ... يأْوِى إِلَيْها الخائِفُونَ فيُنْصَرُوا

يا مَنزِلًا نَزَلَتْ به وبأَهْلِهِ ... طَيْرُ النَّوى فَتغيَّرُوا وتَنكَّرُوا

جادَ الفُراتُ بساحَتَيْكِ ودِجْلَةٌ ... والنِّيلُ جادَ بها وجادَ الكَوْثَرُ

وسُقِيتِ مِن ماءِ الحَياةِ غمامةً ... تحيا بها منكَ الرِّياضُ وتُزْهِرُ

أَسَفِى على دارٍ عَهِدْتُ ربوعَها ... وظِباؤُها بفِنائِها تَتَبَخْتَرُ

أَيّامَ كانَتْ عَيْنُ كُلِّ كَرامةٍ ... مِن كُلِّ ناحِيَةٍ إِلَيْها تَنظُرُ
أَيْامَ كانَ الأَمْرُ فيهـا واحِدًا ... لأَميرِها وأَميرِ مَن يتَـأَمَّرُ
أَيَّام كانَتْ كَفُّ كُلِّ سَلامةٍ ... تَسمو إِلَيْهـا بالسّلامِ وتَبْدُرُ
حَزَنى على سَرَواتِهـا ورُواتِها ... وثِقَـاتِها وحُمـاتِها يَتَـكَرَّرُ
نَفْسِى على آلائِهـا وصفائِها ... وبَهـائِها وسَـنائِها تَتَحَسَّرُ
كَبِـدِى على عُلَمائِها حُلَمائِها ... أُدبائِهـا ظُرَفـائِها تَتَفَطَّرُ

٢٧

مديح أبى محمد بن حزم

ولَم أَرَ مِثْلِى ما له مِن مُعاصِرٍ ... ولا كمَضائِى [١] ما له مِن مُضافِرِ [٢]
ولَوْ كانَ لِى فى الجَوِّ كِسْرٌ [٣] أَؤُمُّهُ ... رَكِبْتُ إِلَيْه ظَهْـرَ فَتْخـاءَ كاسِرِ
وهَمَّتْ بإِجْهاشٍ علىّ وقـد رَأَتْ ... مُصابِىَ فى آثارِ إِحْدى الكَبائِرِ
فقُلْتُ لها : إِنْ تَجْزَعِى مِن مَخاطِرٍ ... فإِنَّكِ لن [٤] تَحْظَى بغَيْرِ الْمَخاطِرِ [٥]

---

(١) الذخيرة (ب ، ت ، لب) : « كمصابى » .
(٢) الذخيرة (ق) : « مظاهر » ؛ (ب ، ت ، لب) : « مظافر » .
(٣) الذخيرة (ق ، ب ، لب ، ت) : « أنّ لى .... كسرا » .
(٤) الذخيرة (ب ، ت ، لب) : « لم » .
(٥) الذخيرة (ر) : « الخطائر » .

تَشَهَّتْ ثِمارَ الوَفْرِ مِنى وإِنَّها ... لَدَى كُلِّ مُبْيَضِّ العَنانِيزِ[1] وافِرِ[2]

له فى بَياضِ اليَوْمِ يَقْظَةُ فَاجِـرٍ ... وتَحْتَ سَوادِ اللَّيْلِ هَجْعَةُ كافِرِ

رُوَيْدَكِ حتى تَنْظُرِى عَمَّ تَنْجَلى ... غَيـابَةُ هذا العارِضِ المُتَناثِرِ

ودُونَ اعْتِزامِى[3] هَضْبَةٌ كِسْرَوِيَّةٌ ... مِن الحَـزْمِ سَلْمانِيَّةٌ فى المَكاسِرِ

إِذا نَحْنُ أَسنَدْنا إِلَيْها تبَلَّجَتْ[4] ... مَوارِدُنا عن نَيِّراتِ المَصادِرِ

وأَنْتَ ابْنَ حَزْمٍ مُنْعِشٌ مِن عِثَارِها ... إِذا ما شَرِقْنا[5] بالجُدُودِ العَواثِرِ

وما جَـرَّ أَذْيالَ الغِنَى نَحْوَ بَيْتِهِ ... كأَرْوَعَ مُعْرَوْرٍ ظُهُـورَ الجرائِرِ[6]

إِذا ما تَبَغَّى نَضْرَةَ العَيْشِ كَرَّها[7] ... لَدَى مَشْرَعٍ للمَوْتِ لمحة ناظِرِ

فَسَلَّ مِن التَّـأْوِيلِ فيها مُهَنَّدًا[8] ... أَخُـو[9] شافِعِيّـاتٍ كَرِيمُ العَناصِرِ

لِمُعْتَزِلِىِّ الرَّأْىِ ناءٍ عن الهُدَى ... بَعِيـدِ المَرامِى مُسْتَمِيتِ البَصائِرِ[10]

يُطالِبُ بالهِنْدِىِّ فى كُلِّ فَتْكَةٍ[11] ... ظُهُـورَ المَذائِى عن ظُهورِ المَنابِرِ

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعله : « العثانين » .
(٢) هذا البيت والذى يليه لم يقعا إلا فى الذخيرة (ر) .
(٣) الذخيرة (ت ، ق) : « اقترابى » .
(٤) الذخيرة (ب ، ت ، لب) : « إليك ببلجة » .
(٥) الذخيرة (ب) : « شرفنا » .
(٦) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .
(٧) الذخيرة (ق) : « جرها » .
(٨) الذخيرة (ر) : «مقيدا» .
(٩) الذخيرة (ب ، ت ، لب ، ق) : « أخا » .
(١٠) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .
(١١) الذخيرة (ت ، ر ، لب) : « فكة » .

٢٨

فى رثاء نفسه

تَأَمَّلْتُ ما أَفنيت مِن طُول مُدَّتِى   فلم أَرَهُ إِلَّا كلمحـةِ ناظِرِ

وحَصَّلْتُ ما أَدركْتُ مِن طُول لِذَّتِى   فلم أُلْفِـهِ إِلَّا كصَفْقَةِ خاسِـرِ

وما أنا إِلَّا رَهْنُ (١) ما قَدَّمَتْ يَدى   إِذا غادَرُونى(٢) بَيْنَ أَهْلِ المَقابِرِ

سَقَى اللهُ (٣) فتْياناً (٣) كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ
وُجُوهُ مَصَـابِيحِ النُّجُـومِ الزَّواهِرِ

إِذا ذَكَرُونى والثَّرَى فَوْقَ أَعْظُمِى   بكَوا بعُيُـونٍ كالسَّحابِ المواطِرِ

يَقُولُونَ : قد أَوْدَى أَبُو عامِرِ العُلا   أَقِلُّوا فقِدْماً ماتَ آباءُ عامِرِ

هو المَوْتُ لم يُعْرَفْ بأَجْراسِ خاطِبٍ(٤)
بَلِيغٍ ، ولم يُعطَفْ بأَنْفاسِ شاعِرِ

ولم يَجْتَنِبْ للبَطْشِ مُهْجَةَ قـادِرٍ   قوىٍّ ، ولا للضَّعْفِ مُهْجَةَ صافِرِ(٥)

يَحُلُّ عُرَى الجَبَّار فى دارِ مُلْكِهِ   ويهفُو بنَفْسِ الشاربِ المتساكِرِ

ولَيْسَ عَجِيباً أَن تدانَتْ منيَّتى   يُصَدِّقُ فيها أَوَّلى أَمْرَ (٦) آخِرى

---

(١) الذخيرة (ق ، لب) ، المغرب : « أهل » .
(٢) المغرب : « خلفونى » .
(٣-٣) ن فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .
(٤) المغرب : « بحر بأسجاع » .
(٥) الذخيرة (ق) : « صابر » .
(٦) الذخيرة (ب ، ت ، لب) : « أول الأمر » .

وَلَكِنْ عَجيباً أَن بَيْنَ جَـوانِحِى هَـوًى كَشَرارِ الجُمْـرةِ المتطايِرِ
يحرِّكُنى والمَوْتُ يَحْفُرُ [1] مُهجتِى
ويهتاجُـنى والنَّفْسُ عِنْـدَ حناجرى

٢٩
غـــــزل

كَتَبْتُ لهـــا أَنَّنى عاشِـقٌ على مُهْرَقِ الكَتْمِ بالنَّـاظِرِ
فرَدَّتْ علىَّ جَـوابَ الهَـوَى بأَحْـوَر فى مـائِهِ حـائِرِ
مُنَعَّمـــةٌ نَطَقَتْ بالجُفُــون فدَلَّتْ على دِقَّـةِ الخـاطِرِ
كأَنَّ فُؤادِى إذا أَعْـرَضَتْ تَعلَّقَ فى مِخْــلَبَىْ طـائِرِ

٣٠
شكوى من أعدائه إلى سليمان المستعين

وبُلِّغْتُ أَقْواماً تَجِيشُ صُدُورُهُمْ علىَّ ، وإِنى منهمُ [2] فارِغُ الصَّدْرِ
أَصاخُوا إلى قَوْلِى فاسْمَعْتُ مُعْجِزاً [3] وغاصُوا على سِرِّى فأَعْيـاهُمُ [4] أَمْرِى

---

(١) الذخيرة (ت ، ر ، ق) : « يحفز » . (٢) النفح : « فيهم » .
(٣) النفح (طل) : « ضمهم » . (٤) المسالك ، النفح : « فأعجزهم » .

فقالَ فَرِيقٌ : لَيْسَ ذا الشِّعْرُ شِعْرَهُ
وقالَ فَرِيقٌ : أَيْمُنُ اللهِ ، ما نَدْرِى

أَما عَلِمُوا أَنِّى إلى العِلْمِ[1] طامِحٌ وأَنِّى الَّذِى سَبْقاً على عِرْقِهِ يَجْرِى[2] ؟
وما كُلُّ مَن قادَ الجِيادَ يَسُوسُها ولا كُلُّ مَن أَجْرَى يُقالُ له : مُجرِ
فمَن شاءَ فَلْيُخْبِرْ فإنِّى حاضِرٌ ولا شَىْءَ أَجْلَى لِلشُّكُوكِ مِن الخُبْرِ

٣١
فى الدير

ولَرُبَّ حانٍ[3] قد أَدَرْتُ[4] بِدَيْرِهِ
خَمْرَ الصِّبا مُزِجَتْ بِصَفْوِ خُمُورِهِ[5]

فى فِتْيَةٍ جَعَلُوا الزِّقاقَ تِكاءَهُمْ[6] مُتَصاغِرِينَ تَخَشُّعًا لِكَبِيرِهِ
يُهْدِى إِلَيْنا الرّاحَ كُلُّ مُعَصْفَرٍ[7] كالخِشْفِ خَفَّرَهُ التِماحُ خَفِيرِهِ[8]

---

(١) الذخيرة (ق) : « النظم » .
(٢) هذا البيت والذى يليه لم يقعا إلا فى الذخيرة .
(٣) الذخيرة : « خان » .
(٤) المطمح ، النفح : « شربت » .
(٥) المطمح ، النفح : « بصرف عصيره » .
(٦) المطمح ، النفح : « السرور شعارهم » .
(٧) هذا المصراع فى المطمح ، النفح : «يبدى لنا بالواح كل مصفر » . وهو « مضفر » أيضا فى الذخيرة (ب) . الذخيرة (لب) : « مصفن » ، النفح (تل) : « مخفر » .
(٨) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (و ، ق) .

والَى علىَّ بطَرْفِهِ وبكَفِّـــــهِ   فأَمــالَ مِن رَأْسِى لِعَبٍّ كَبيرِهِ[1]

والقَسُّ ممَّا شاءَ طُـولَ مُقامنا   يدعو يُعَوِّذُ[2] حَوْلَنـا بزَبُورِهِ[3]

وَترنَّمَ النَّاقُوسُ عِنْدَ صَــلاتِهِمْ   ففَتَحْتُ من عَيْنى لرَجْعِ هَدِيرِهِ[4]

يَتَنـاوَلُ الظُّرَفاءُ فيه وشُـرْبُهمْ   لسلافِهِ[5] والأَكْلُ مِن خِنْزِيرِهِ[6]

٣٢

مديح عبد العزيز المؤتمن

سَقْياً لِطِيبِ زَمانِنـا وسُرُورِهِ   وعَزِيزِ عَيْشٍ مُسْعِفٍ بِغَزِيرِهِ[7]

وتكَفُّرِى بِرداءِ وَصْلِ مُقَرْطَقٍ   كَتَبُوا بنِقْسِ[8] المِسْكِ فى كافُورِهِ

مُتَلَفِّعٌ بحَـرِيرِهِ ، مُتَضَمِّخٌ   بعَبِـيرِهِ ، مُتَرَنِّحٌ بفُتُـورِهِ

وَسْنانُ ناوَلَنى مُدامَةَ طَرْفِهِ   فشَرِبْتُهـا وسَمِعْتُ مِن طُنْبُورِهِ

يَدْعُو بلُكْنةِ بَرْبَرِىٍّ لم يَـزَلْ   يَسْتَفُّ بالصَّحْراءِ حَبَّ بَرِيرِهِ

مُتَقَدِّمٌ بمَضـائِهِ ، مُتَلَفِّعٌ   بِردائِهِ ، مُتَكَلِّمٌ فى غَيرِهِ

---

(١) لم يقع هذا البيت الا فى الذخيرة .

(٢) فى الأصل (المطمح) : « بعو » .

(٣) هذا البيت ناقص فى الذخيرة .

(٤) لم يقع هذا البيت الا فى الذخيرة .

(٥) المطمح : « أسلافهم » .

(٦) هذا البيت ناقص فى الذخيرة .

(٧) هذا البيت والاثنا عشر التى تليه ناقصة فى المرة الثانية .

(٨) ق ، لب : « بحسن » .

مُسْتَفْتِحٌ لِبَيانِهِ بِبَنانِهِ   يُهْدِى السّلامَ إلى رجالِ عَشِيرِهِ
مُتَنَصِّبٌ كالغُصْنِ إلّا أنَّهُ   يَهْتَزُّ مِن أعْجازِهِ وصُدُورِهِ
طارَحْتُهُ كَلِمًا وكُنْتُ زَعِيمَهُ   غَرِدًا أُحَرِّكُ مَنْكِبِى لِزَمِيرِهِ
فَمَشَى إلَىَّ فَثُرْتُ غَيْرَ مُعَفِّرٍ   كاللَّيْثِ مُطَّرِدًا (١) إلى يَعْفُورِهِ
ومَلَكْتُهُ بالكَفِّ مِلْكَةَ قادِرٍ   فانْصاعَ مُؤتَمِرًا لِحُكْمِ أميرِهِ
فقَضَيْتُ ما لم أقْضِ فيه بِرِيبَةٍ   يَأْبَى العَفافُ وعِصْمَتى بِخُضُورِهِ (٢)
زَمَنٌ قَضَى ثُمَّ انْقَضَى فكأنّه   حُلُمٌ قَرأْتُ المَوْتَ فى تَفْسِيرِهِ

* * *

ولَرُبَّ (٣) لَيْلٍ لِلهُمُومِ تَهَلَّلَتْ   أستارُه فمحا الصُّوى بِسُتُورِهِ
كالبَحْرِ يَضْرِبُ وَجْهَهُ (٤) فى وَجْهِهِ   صَعْبٌ على العُبّارِ وَجْهُ عُبُورِهِ
طاوَلْتُهُ مِنْ عَزْمَتى بِمُضَمَّرٍ   أثْبَتُّ هَمّى فى قَرارَةِ كُورِهِ
وعلَىَّ لِلصَّبْرِ الجَمِيلِ مُفاضَةٌ   تَلْقَى الرَّدَى فتَكِلُّ دُونَ صَبُورِهِ (٣)
وبِراحَتى مِن فِكْرَتى (٥) ذُو ذُكْرَةٍ   عَهِدَتْ تُذاكِرُنى (٦) بِطَبْعِ ذَكِيرِهِ
فَرْدٌ إذا بَعَثَتْ دَياجِى صَرْفِهِ (٧)   هَوْلًا علَىَّ خَبَطْتُ فى دَيْجُورِهِ
حتى بَدا عبدُ العزيزِ لِناظِرَىْ   أمَلِى ، فمَزَّقْتُ الدُّجى عن نُورِهِ

---

(١) ب ، لب : « كالميت مطروحا » .
(٢) ب : « بجدوره » : ق : « ومحنتى بجديره » ؛ لب : « بجدوره » .
(٣–٣) ن فى المرة الأولى .
(٤) الذخيرة (ق) : « موجه » .
(٥) الذخيرة (ب ، لب – المرة الأولى) : « همتى » .
(٦) الذخيرة (ق – المرة أولى) : « تذكرنى » .
(٧) المرة الثانية : « جنحه » .

مَلِكٌ تبقَّى المَجْدَ ناصِــرُهُ لَهُ   وتَقَيَّلَ العَلْياءَ عن مَنْصُورِهِ [1]

طَلَبَ الحَوادِثَ مُعــرِباً عن ثأْرِهِ   فجَرَتْ دِماءُ الخَطْبِ فى مأْثُورِهِ

ورَأَى الزَّمانَ يَحِيدُ عن تَأْمِيرِهِ [2]   فسَقَى سِهامَ المَجْـدِ مِن تامُورِهِ

---

(١) الأبيات الثلاثة الأخيرة ناقصة فى المرة الثانية .

(٢) الذخيرة (ر ، ق) : « تأثير » .

حرف السين

٣٣

وصف الذئب

إذا اجْتازَ عُلْوِيُّ الرِّياحِ بأُفْقِهِ   أَجَدَّ لِعِرْفانِ الصَّبا يَتَنَفَّسُ
تَذَكَّرَ رَوْضاً مِن [1] شَوِيٍّ وباقِرٍ   تَوَلَّتْهُ أَحْراسٌ مِنَ الذُّعْرِ [2] تُحْرُسُ [3]
إذا انْتابَها مِن أَذْؤُبِ القَفْرِ [4] طارِقٌ
حَثِيثٌ إذا ما اسْتَشْعَرَ اللَّحْظَ يَهْمِسُ
أَزَلُّ كَسا جُثْمانَه مُتَسَتِّراً   طَيالِسَ سُوداً للدُّجى وَهْوَ أَطْلَسُ
فَدَلَّ عليْهِ لَحْظُ خِبٍّ مُخادِعٍ   تَرى نارَهُ مِن ماءِ [5] عَيْنَيْهِ تُقْبَسُ

---

(١) الذخيرة (ب ، لب) : « ذا » .
(٢) الذخيرة (ب ، لب) : « الصعب » .
(٣) هذا البيت فى المسالك :

« تذكر روضا ذا شوى وتاقد   تلوته أحراس مع الليل تحرس»

(٤) الذخيرة ، (ب ، لب) ، المسالك : « الليل » .
(٥) المسالك : « بين » .

٣٤

معارضة لامرئ القيس

ولمّا تَمَـــلَّأَ [١] مِن سُـكْرِهِ ... فنامَ [٢] ونامَتْ [٣] عُيونُ العَسَسْ [٤]

دَنَوْتُ إِلَيْهِ على بُعْـــدِهِ [٥] ... دُنُوَّ رَفِيقٍ دَرَى [٦] ما الْتَمَسْ

أَدِبُّ إِلَيْهِ دَبِيبَ الــكَرَى ... وأَسْـــمُو إِلَيْهِ سُمُوَّ النَّفَسْ

أُقَبِّلُ منه بَيـــاضَ الطُّـــلَى [٧] ... وأَرْشُفُ [٨] منه سَوادَ اللَّعَسْ [٩]

وبِتُّ [١٠] به لَيْلَتِى ناعِمًـــــا ... إِلى أَنْ تَبَسَّمَ ثَغْـرُ الغَلَسْ

---

(١) الرايات : « تمدد » .
(٢) الخريدة ، الرايات ، العيون ، المسالك ، المطرب ، الوفيات : « ونام » .
(٣) الذخيرة (ب ، ق ، لب) : « وملت » .
(٤) النفح : « الحرس » .
(٥) النفح (طل) : « رقبة » ؛ (نق ١) : «قربه» .
(٦) الذخيرة (ب ، لب) : «دنا» ؛ الرايات : «اذا» .
(٧) الذخيرة (ر) : « الصلى » .
(٨) الخريدة : « ألثم » .
(٩) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، لب) .
(١٠) الخريدة ، الرايات ، المطرب، الوفيات : «فبت» .

حرف الطاء

٣٥

فى وصف الطبيعة

خَلِيلَىَّ ما انْفَكَّ الأَسَى مُنذُ بَينِهِم (١) حَبِيبِىَ حتَّى حَلَّ بالقَلْبِ فاخْتَطَّا
أُرِيدُ دُنُوًّا من خَلِيلِى وقد نَــأَى وأَهْوَى اقْتِرابًا مِن مَزارٍ وقد شَطَّا
وإنِّى لَتَعْرُونِى الهُمُوم لِذِكْرِكُم هُدُوًّا فلا أَسطِيعُ قَبْضًا ولا بَسْطَا
وإنَّ هُبُوطَ الوادِيَيْنِ إلى النَّــقا بِحَيْثُ الْتَقَى الجَمْعانِ واسْتَقبَلَ السَّقْطَا
لِمَسْرَحِ سِرْبٍ ما تَقَرَّى نِعَاجُهُ بَرِيرًا ولا تَقْرُو جَآذِرُهُ خَمْطَا (١)
ومُرْتَجِزٍ أَلْقَى بِذِى الأَثْلِ كَلْكَلاً وحَطَّ بِجَرْعاءِ الأَبارِقِ ما حَطَّا
سَعَى فى قِيادِ الرِّيحِ يَسْمَحُ (٢) لِلصَّبا فأَلْقَتْ على غَيْرِ التِّلاعِ بِهِ مِرْطَا
وما زالَ يُرْوِى (٣) التُّرْبَ حتَّى كَسا الرُّبَى دَرانِكَ ، والغِيطانَ مِن نَسْجِهِ بُسْطَا
وعَنَّتْ له رِيحٌ تُسَاقِطُ (٤) قَطْرَهُ كما نَثَرَتْ حَسْناءُ مِن (٥) جِيدِهَا سِمْطَا

(١-١) لم يقع الا فى اليتيمة .
(٢) اليتيمة : « يستمح » .
(٣) اليتيمة : « يذرى » .
(٤) اليتيمة : « فأسقط » .
(٥) الذخيرة (ب ، لب) : « عن » .

ولم أَرَ دُرًّا بَدَّدَتْهُ[1] يَدُ الصَّبا

سِواهُ ، فباتَ النَّوْرُ[2] يَلْقُطُهُ[3] لَقْطَا

وبِتْنَا نُرَاعِى اللَّيْلَ لم يَطْوِ[4] بُرْدَهُ

ولم يَجْرِ[5] شَيْبُ الصُّبْحِ فِى فَرعِهِ[6] وخْطَا[7]

تَراهُ كَمَلْكِ الزَّنْجِ فى[8] فَرْطِ كِبْرِهِ

إذا رامَ مَشْيًا فى تَبَخْتُرِهِ أَبْطَا

مُطِلًّا على الآفَاقِ والبَدْرُ تاجُهُ

وقد عَلَّقَ[9] الجَوْزاءَ فى[10] أُذْنِهِ قُرْطَا

---

(١) اليتيمة : « بدرته » .
(٢) اليتيمة : « الريح » .
(٣) اليتيمة : « يجمعه » .
(٤) النفح : « يطو » .
(٥) النفح : « يجل » .
(٦) النفح : « فوده » .
(٧) هذا البيت إلى آخر الشعر ناقص فى اليتيمة .
(٨) النفح : « من » .
(٩) النفح : « جعل » .
(١٠) الذخيرة : « من » .

حرف العين

٣٦

في مدح ممدوح غير معروف

وتَدْرِى سِباعُ الطَّيْرِ أَنَّ كُماتَـهُ إذا لَقِيَتْ صِيدَ الكُماةِ سِبـاعُ
لَهُنَّ لُعابٌ في الهَواءِ وهِـزَّةٌ إذا جَدَّ بينَ الدّارِعين قِـراعُ
تَطِيرُ جِياعًا (١) فَوْقَهُ وتَـرُدُّها ظُباهُ إلى الأَوْكارِ وَهْىَ شِباعُ
تَمَلَّكَ بالإِحْسانِ رِبْقَةَ رِقِّهـا لهُنَّ رَقِيقٌ يُشْتَرَى ويُبـاعُ
وأَلْحَمَ مِن أَفْراخِها فَهْىَ طَوْعُهُ لَدَى كُلِّ حَرْبٍ والمُلُوكَ تُطاعُ
تُماصِعُ جَرْحاها فيُجْهِزُ نَقْرُها عَلَيْهِمْ ، وللطَّيْرِ العِتاقِ مِصاعُ

---

(١) العيون : «جياع».

٣٧

فى المجـــون

ونـاظِرَةٍ (١) تَحْتَ طَيِّ القِنَــاع　　دَعاها إِلى اللهِ والخَيْرِ داع (٢)
سَعَتْ (٣) بابْنِها (٤) تَبْتَغِى مَنْزِلاً　　لوَصْلِ التَّبَتُّل والإِنْقِطَـــاع
وجالَتْ بأَكْنافِهِ (٥) جَوْلَــةً　　فَحَلَّ الرَّبِيعُ بتِلْكَ البِقَــاعِ (٦)
فجاءَتْ تَهادَى كمِثْلِ الرُّوُومِ ،　　تُراعِى زَالاً بأَعْلى (٧) يَفَــاعِ (٨)
أَتَتْنَا تَبَخْتَرُ فى مَشْيِهَــــا　　فَحَلَّتْ بوادٍ كَثِيـــرِ السِّبــاعِ
وَرِيعَتْ حِــذارًا على طِفْلِهَــا　　فنادَيْتُ : يا هَذِهِ لا تُراعِى
غَزالُكِ تَفْرَقُ منــه اللُّيُــوثُ　　وتَهْرُبُ منه كُمَاةُ المصاعِ (٩)
فوَلَّتْ ولِلْمِسْكِ مِن ذَيْلِهَــــا　　على الأَرْض خَطٌّ كظَهْرِ (١٠) الشُّجَاع

---

(١) البدائع : « داعية » .
(٢) البدائع : « بالخير داع » ؛
(٣) البدائع : « أتت » .
(٤) المطمح : « حفية » .
(٥) المطمح : « بموضعنا » .
(٦) هذا البيت ناقص فى الذخيرة .
(٧) البدائع ، الذخيرة (ب ، لب) : «بروض» .
(٨) هذا البيت ناقص فى المطمح .
(٩) هذا البيت ناقص فى الذخيرة .
(١٠) البدائع : « كفط » ؛ الذخيرة (ب ، لب) : « كخط » .

٣٨

وصف الربيع من "مديح سليمان المستعين"

وأَتاكَ بالنَّيْرُوزِ شَوْقٌ حافِزٌ ... وتَطَلُّعٌ للزَّوْر غِبَّ تَطَلُّعِ
وافاكَ فى زَمَنٍ عَجِيبٍ مُونِقٍ ... وأَتاكَ فى زَهْرٍ كَرِيمٍ مُمْتِعِ
فانظُرْ إلى حُسْنِ الرَّبِيعِ وقَدْ جَلَتْ ... عن ثَوْبِ نَوْرٍ للربِيعِ مُجَزَّعِ
فكأَنَّ نَرْجِسَهَا وقد حَشَدَتْ بِهِ ... زُهْرُ النُّجُومِ تقارَبَتْ فى مَطْلَعِ
أَوْ أَعْيُنُ الأَحْبابِ حِين تَراسَلَتْ ... باللَّحْظِ تَحْتَ تَخَوُّفٍ وتوقُّعِ
وبِها البَنَفْسِجُ قد حكى بِخُضُوعِهِ ... وقُنُوِّ لَوْنٍ فى سَوادٍ مُشْبَعِ
خَدَّ الحَبِيبِ وقد عَضَضْتَ بِجَنَّةٍ ... فشَكا إِلَيْكَ بأَنَّةٍ وتوجُّعِ
وكأَنَّما خِيرِيُّهَا تَحْتَ الدُّجَى ... بَيْنَ الأَزاهِرِ قامَ كالمُتَطَلِّعِ
يَرْجُو زِيارَةَ مَن يُحِبُّ لِوَعْدِهِ ... كَلَفًا فباتَ مُراقِبًا لم يَهْجَعِ

٣٩

وصف الحمامة

عند زيارة أبي عامر بن المظفر

شَكَرْتُ (١) للدَّهْرِ حُسْنَ مَا صَنَعَا　　طَائِرُ مَجْدٍ بِجَنَّتِي وَقَعَا
نَفَرْتُ لمّا أَيْقَنْتُ جِيئَتَهُ　　وطارتِ النَّفْسُ عِنْدَها قِطَعَا
يا حُسْنَ حَمّامِنَا وقد غَرَبَتْ　　شَمْسُ الضُّحَى فيه بَعْدَ ما مَتَعَا
أَيْقَنَ أَنَّ الهِلَالَ راكِبُهُ　　فضاءَ للحاضِرِينَ واتَّسَعَا
فانْعَمْ أَبا عامِرٍ بنِعْمَتِهِ (٢)　　واعْجَبْ لأَمْرَيْنِ فيه قد جُمِعَا
نِيرانُهُ مِن زِنَادِكُمْ قَدِحَتْ　　وماؤُهُ مِنْ بَنانِكم نَبَعَا

---

(١) في جميع نسخ الذخيرة « شكوت » .
(٢) الخريدة : « بلذته » .

حرف الفاء

٤٠

على باب اليهود

لقد أَطْلَعُوا عِنْدَ بابِ اليَهُو دِشَمْسًا(١) أَبَى الحُسْنُ أَنْ تُكْسَفَا(٢)
تَراهُ اليَهُودُ على بابِهَا أَمِيرًا فَتَحْسِبُهُ يُوسُفَا

٤١

وصف الباقلاء
"فى جنان القاضى أبى حاتم بن ذكوان"

إِنَّ لآلِيكَ أَخْدَثَتْ صَلَفَا فاتَّخَذَتْ مِن زُمُرُّدٍ صَدَفَا
تَسْكُنُ دُرّاتُها(٣) البُحُورَ(٤) وذِى تَسْكُنُ للحُسْنِ رَوْضَةً أُنُفَا

---

(١) النفح (المرة الأولى) : « بدرا » .
(٢) النفح (المرة الأولى) : « يكسفا » .
(٣) الذخيرة (ر ، ق) : « ضرأتها » .
(٤) فى الأصل (الذخيرة) : « البحر » .

هامَتْ بلُحْفِ الجِنَانِ [١] فاتَّخَذَتْ   مِن سُنْدُسٍ فى جِنانِهَا لُحُفَـــا
نثقبها [٢] بالثُّغُورِ مِن [٣] لُطُفٍ   حَسْبُكَ مِنَّا ببِرٍّ [٤] مَن لَطُفَا [٥]
جازَ [٦] ابْنُ ذَكْوانَ فى مَكَارِمِه   حُدُودَ كَعْبٍ وما به وُصِفَا [٧]
قَدَّمَ دُرَّ الرِّيَاضِ مُنْتَخِبًـــا   منه لأَفْرَاسِ مَدْحِهِ عَلَفَـــا
أَكْلُ ظَرِيفٍ وطُعْمُ ذِى أَدَبٍ   والفُولُ [٨] يَهْوَاهُ كُلُّ مَن ظَرُفَا
رَخَّصَ فيهِ شَيْخٌ له قَـدَرٌ [٩]   فكانَ حَسْبِى مِن المُنَى وكَفَى [١٠]

---

(١) البدائع ، النفح : « الحبال » .
(٢) البديع : « تثقبها » ، رسم الكلمة فى الأصل (الذخيرة) : « يتقبها » ؛ البدائع ، النفح : « سبهتها » .
(٣) البدائع : « فى » .
(٤) النفح (طل) : « رفد » .
(٥) هذا المصراع فى البدائع ، النفح : « حسبك هذا من رمز من لطفا » .
(٦) فى الأصل (الذخيرة) : « حاز » .
(٧) هذا البيت والذى يليه ناقصان فى البديع .
(٨) فى الأصل (الذخيرة) : « القول » ؛ النفح (ج ، ل) : « النوك » ؛ (ب) : « التوك » .
(٩) البدائع : « حسب » .
(١٠) هذا البيت ناقص فى البديع .

حرف القاف

٤٢

وداع الإخوان

أَسْتَوْدِعُ اللّٰهَ إِخْوَانِى[١] وعِشْرَتَهُمْ   وكلَّ خِرْقٍ[٢] إلى العلياءِ سَبّاقِ
وفِتْيَةً كنُجُومِ القَذْفِ نَيِّرُهُمْ   يَهْدِى ، وصائِبُهُمْ يُودِى بإِحْراقِ
وكَوْكَبًا لِىَ منهمْ كانَ مَغْرِبُهُ   قَلْبِى ، ومَشْرِقُهُ مَا بَيْنَ أَطْوَاقِى
اللّٰهُ يَعْلَمُ أَنِّى ما أُفارِقُهُ   إلَّا وَفِى الصَّدْرِ مِنِّى حَرُّ مُشْتَاقِ
كُنَّا أَلِيفَيْنِ خانَ الدَّهْرُ أُلْفَتَنَا   وأَىُّ حُرٍّ[٣] على صَرْفِ الرَّدَى باقِ[٤]
فإِنْ أَعِشْ فلعلَّ الدَّهْرُ يَجْمَعُنَا   وإِنْ أَمُتْ فَسَيَسْقِيهِ كَذَا السّاقِى
لا ضَيَّعَ اللّٰهُ إلَّا مَن يُضَيِّعُهُ   ومَن تَخَلَّقَ فِيه غَيْرَ أَخْلاقِى[٥]
قد كانَ بَرْدِى إِذا مَا مَسَّنِى كلفٌ   لا يَثْلُمُ الحُبُّ آدابِى وأَعْرَاقِى[٦]
حتَّى رَمَتْنَا صُرُوفُ الدَّهْرِ عن كَثَبٍ   فَفَرَّقَتْنَا ، وهل مِن صَرْفِه واقِ؟[٧]
إِنِّى لَأَرْمُقُهُ والمَوْتُ يَضْغَطُنِى   فأَقْتِضِى فُرْجَةً مُرْتَدَّ أَرْمَاقِى

---

(١) الذخيرة (ب ، ت) : « أصحابى » .
(٢) العيون : « بخدن » .
(٣) العيون : « حى » .
(٤) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ق) .
(٥) لم يقع هذا البيت والذى يليه إلا فى الذخيرة (ق) .
(٦) كذا فى الأصل (الذخيرة) وفى البيت بعض غموض .
(٧) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ق) .

٤٣
في مديح يحيى المغتلي

فَرِيقُ العِدا مِن حدِّ[1] عَزْمِكَ يفرقَ ... وبالدَّهْرِ مِمّا خافَ بَطْشَكَ أولَقُ
عَجِبْتُ لمَنْ يعتَدُّ دُونَكَ جُنَّةً ... وَسَهْمُكَ سَعْدٌ والقضاءُ مفوِّقُ
ومَن يَبْتَنِي[2] بيتًا ليقطَعَ دُونَهُ ... مَمَرَّ رِيَاحِ النَّصْرِ وهو الخَوَرْنَقُ
وما شَرِبَ ابْنُ الشُّرْبِ قَبْلَكَ خَمْرَةً ... مِن الذُّلِ بالعَجْزِ الصَّرِيحِ تُصَفَّقُ
تَوَهَّمَ فيه الرُّعنُ حِصْنًا[3] فَزُرْتَهُ ... بأَرْعنَ[4] فيه مُرعِدُ المَوْتِ مبرِقُ
وحَوْلَكَ أَسْيَافٌ مِن السَّعْدِ تُنتَضَى ... وفَوْقَكَ أَعْلامٌ مِن النَّصْرِ تَخْفُقُ
بأَبْيَضَ مُسْوَدِّ الدِّلاصِ كأَنَّهُ ... شهابٌ عليْهِ مِن دُجَى اللَّيْلِ يَلْمَقُ
وأَسْوَدَ مبيَضِّ القباءِ[5] كأَنَّمَا ... يَطِيرُ به نَحْوَ الكَرِيهَةِ عَقْعَقُ
وخَيْلٍ تمشَّى للوَغَى ببُطُونِهَا ... إذا جَعَلَتْ بالمُرْتَقَى الصَّعْبِ تزلَقُ

---

(١) الذخيرة (ر) : «جد».
(٢) الذخيرة (ب ، ت ، ق) : «يبتغي».
(٣) الذخيرة (ق) : «أن الرعن حصن».
(٤) الذخيرة (ب) : «فأرعد».
(٥) الذخيرة (ر ، ق) الفناء.

٤٤

مديح يحيى المعتلى
"عند انتصاره على السودان بإشبيلية"

غَنَّاكَ سَعْدُكَ فى ظِلِّ الظُّبا وسَقَى ❊ « فاشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التّاجُ مُرْتَفِقا »

* * *

سَقْيًا لأُسْدٍ تَساقَى المَوْتَ أَنْفُسُها ❊ وتلْبَسُ الصَّبْرَ فى يَوْمِ الوَغَى حَلَقَا
قامَتْ بنَصْرِكَ لمّا قامَ مُرْتَجِــلاً ❊ خَطِيبُ جُودِكَ[1] فيها يَنْثُرُ الوَرِقَا
سَرَيْتَ تقدُم جَيْشَ النَّصرِ[2] متخذًا ❊ سُبْلَ المَجَرَّةِ فى إِثْرِ العُلا طُرُقَــا
فى ظِلِّ لَيْلٍ مِن الماذِىِّ مُعْتَكِــرٍ ❊ يجلُو إلى الخَيْلِ منه وَجْهُكَ الفَلَقَا
وصَفْحِ قِرْنٍ غداةَ الرَّوْعِ يَكْتُبُــه ❊ مِن الظُّبا قَلَمٌ لا يَعْرِفُ المشَقَا
أَجرَيْتَ للزَّنْجِ فَوْقَ النَّهرِ نَهْرَ دَمٍ ❊ حتَّى اسْتَحالَ سَماءً جُلِّلَتْ شَفَقَا
وساعَدَ الفَلَكُ الأَعْلَى بقَتْلِهِــمُ ❊ حتَّى غَدا الفُلْكُ بالنَّاجِى به غَرِقَا
مِن كُلِّ أَسْوَدَ لم يَدْلِفْ على ثَبَجٍ[3] ❊ وبانَ[4] جِدُّكَ يجلُو صفْحَهُ يقَقا[5]
كأَنَّ هامتَهُ ، والرِّمحُ يحملُها ، ❊ غرابُ بَيْنٍ على بانِ النَّقا نَغقَا[6]

* * *

(١) الذخيرة (ب ، ت) : « مجدك » .
(٢) الذخيرة (ب) : « الصبر » .
(٣) «ثلج» فى الأصل (الذخيرة) .
(٤) « بأن » فى الأصل (الذخيرة) .
(٥) كذا فى جميع نسخ الذخيرة .
(٦) المغرب : « نعقا » .

إِذا ونى ثَغَر الخطِّىُّ ثُغرتَـــهُ   أَوْ عاذَ بالنَّهْرِ مَسْلُوبَ القُوَى غَرِقَا
وأَىُّ نَهْرٍ يُرَجِّى العِبْرَ عابِـــرُهُ   وسُفنُهُ طافِيَاتٌ غُودِرَتْ فِلَقَا ؟

٤٥

غــــزل

مَرَضُ الجُفُونِ ولَثْغَةٌ فى المَنْطِقِ   سَبَبَانِ ، جرَّا عِشْقَ مَن لم يَعْشَقِ
مَن لِى بأَلْثَغَ لا يَزال حَدِيثُـــهُ   يُذْكِى على الأَكْبادِ [1] جَمْرَةَ مُحْرِقِ
يُنْبِى فَيَنْبُو فى الكَلامِ لِسَانُهُ   فكَأَنَّهُ مِن خَمْرِ عَيْنَيْهِ سُقِى
لا يُنْعِشُ الأَلْفاظَ مِن عَثَراتِها   ولَوَ أَنَّهَا كُتِبَتْ له فى مُهْرَقِ

٤٦

فى مديح سليمان المستعين

بَكى أَسفاً للبَيْنِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ   وقد هَوَّنَ التَّوْدِيعُ بَعْضَ الَّذِى لَقِى
وما للَّذِى وَلَّى به البَيْنُ حَسْرَةٌ   بَكَيْتُ ، وَلَكِنْ حَسْرَةً للَّذِى بَقِى

---

(١) النفح : « الأحشاء » .

وقد شاقَنِى الوُرْقُ السّواجعُ بالضُّحى
ومَن يستمع داعِى الصّبابةِ يشتَق (١)

عَلى فَنَنٍ مِن أيْكةٍ قد تَعَلَّقَتْ بحبْلِ النَّوى (٢) مِن قَلْبِى المُتَعَلِّق
فَصدَّقْتُها فى البيْنِ مِن غيْرِ عبْرة وكَمْ مِن كَثيرِ الدّمْعِ غيْرِ مُصدَّقِ
لَعَلَّ نَسيمَ الرِّيحِ تأْتى به الصّبا بنشرِ الخُزامى والكِباءِ المُعَبَّقِ
كأَنَّ علَيْها نفحــةً عَبْشَمِيَّةً أَتتْ مِن جنابِ المُسْتَعِين المُوَفَّق

* * *

فنِلْتَ الَّذِى قد نِلْتَ إذ ليْسَ للعُلا (٣)
ســواكَ كأَنَّ الدَّهْـرَ للنَّاسِ منْتَق

٤٧

رسالة إلى أبى محمد بن حزم فى علته

ولمّا رأيتُ العَيْشَ ولّى (٤) برأسِهِ وأيقَنْتُ أَن المَوْتَ لا شكَّ لاحِقِى
تمنَّيْتُ أَنِّى ساكِنٌ فى غَيــابة (٥) بأَعْلى مَهبِّ الرِّيحِ فى رأسِ شاهِقِ

---

(١) الذخيرة (ق) : يعشق» .
(٢) الذخيرة (ب ، ت) : « الهوى » .
(٣) « (ر) : «للهوى» .
(٤) المطمح ، النفح : « لوى » .
(٥) الجذوة ، العيون ، المطمح ، النفح : « عباءة » .

أُدَرُّ[١] سقيطَ الحَبِّ[٢] فى فَضْلِ عِيشَةٍ[٣]
وحيداً ، وحِسْىُ الماءِ ثِنْىُ المفالـــقِ[٤]

خَلِيلَىَّ مَن ذاقَ[٥] المَنِيَّةَ مَرَّةً   فقد ذُقْتُها[٦] خمْسِين ، قَوْلَةَ صادق
كأنّى وقد حانَ ارْتِحالِىَ لم أَفُزْ[٧]   قَدِيماً مِن الدُّنيا بِلَمحةِ بارقِ
فمَن مُبْلِغٌ عَنى ابْنَ حَزْمٍ وكانَ لى   يَدًا فى مُلِمَّاتِى وعِنْدَ مَضَايِقى ؟
[٨] عليْكَ سَلامُ اللهِ إنى مُفارِقٌ   وحَسْبُكَ زاداً مِن حَبِيبٍ[٨] [٩] مُفارِقِ

فلا تَنْسَ تَأْبِينِى[١٠] إذا مافقدتَنى[١١]
وتَذْكارَ أَيَّامِى وفَضْلَ[١٢] خلائِقِى

وحَرِّكْ به[١٣] باللهِ مِن أهلِ فَنِّنا[١٤]   إذا غَيَّبُونى[١٥] كُلَّ شَهْمٍ[١٦] غُرانِقِ[١٧]

---

(١) الجذوة : « أرد » .
(٢) العيون : « الطل » .
(٣) الجذوة : « عيشتى » .
(٤) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب) ؛ فى المطمح ، والنفح :
« أرد سقيط الطل فى فضل عيشتى   وحيدا وأحسو الماء ثنى المعالق »
(٥) المطمح : « رام » .
(٦) المطمح : « رمتها » .
(٧) هذا المصراع ناقص فى الذخيرة (ب ، ت) .
(٨–٨) ن فى الذخيرة (ب ، ت) .
(٩) العيون : « خليل » .
(١٠) الجذوة ، النفح (طل) : « تاتيبى » ؛ المطمح ، النفح (ب ، ج) : « تانيبى » .
(١١) المطمح ، النفح : « ذكرتنى » .
(١٢) العيون : « طيب » .
(١٣) بالأصول «حرك له» .
(١٤) المطمح : « مهما ذكرتنى » .
(١٥) الجذوة : « جئتمونى » .
(١٦) المطمح : «سهم» .
(١٧) هذا البيت والذى يليه ناقصان فى الذخيرة .

عَسَى هامَتى فى القَبْرِ تَسْمَعُ بَعْضَه ... بتَرْجيع ِسارٍ[1] أَوْ يتَطرِيب طارِقِ

فلِي فى ادِّكارِى بَعْدَ مَوْتى راحةٌ[2] ... فلا تمنَعُونيها[2] [3] عُلالَةَ زاهِقِ[4]

وإِنى لأَرجُو الله فيما[5] تقَدَّمَتْ ... ذُنُوبى به مِمّا[6] درى مِن حقائِقى[7]

٤٨

وصف الفرس

وكأَنَّنى لمّا انْحَطَطْتُ بــه ... أَرْمِى الفَلاة بكَوْكَب طَلْق

وكأَنَّنى لمّـــا طَلَبْتُ بــه ... وَحْش الفَلاةِ على مَطا بَرْق

(١) المطمح ، النفح : « شاذ » .
(٢-٢) ن فى الذخيرة (ب ، ت) .
(٣) المطمح ، النفح : « تمنعوها لى » .
(٤) المطمح : « راهق » .
(٥) المطمح : « فى ما » .
(٦) المطمح : « فى ما » ؛ النفح (طل) : « فيما » .
(٧) الجذوة ، المطمح ، النفح : « حقائق » .

٤٩

مديح يحيى المعتلى

أَبكَيْتَ ، إذ ظَعَنَ الفَرِيقُ ، فراقَها ؟[١]
إِنِّى امْرُؤٌ لَعِبُ الزَّمــانُ بِهِمّتى
وسُقِيتُ مِن كأْسِ[٢] الخُطُوبِ دِهاقَهَا
وكَبَوْتُ طِرْفاً فى العُلا فاستَضْحَكَتْ
حُمُرُ الأَنامِ فما تَرِيمُ نِهاقَهَا [٣]
وإِذا[٤] ارْتَمَتْ نَحْوِى المُنَى لأَنــالَها
وَقَفَ الزَّمانُ لها هُناكَ فعاقَهَا[٥]
وإِذا [٦] أَبُو يَحْيَى تَـأَخَّرَ سَعْيُهُ[٧]
فَمَتَى أُؤَمِّلُ فى الزَّمانِ[٨] لَحاقَهَا ؟[٩]
المُلْبِسِى ذَهَبِيَّــةً مِن فَضْلِــهِ شَنَتِ العُيُونَ فلم تُطِق رِقْراقَها[١٠]

---

(١) هذا المصراع ناقص فى الذخيرة (المرة الأولى – ب ، لب) .
(٢) اليتيمة : « خمر » .
(٣) هذا البيت ناقص فى اليتيمة .
(٤) اليتيمة : « فاذا » .
(٥) هذا البيت والذى يليه ناقصان فى الذخيرة (المرة الأولى – ر ، ق) .
(٦) المسالك ، اليتيمة : « فاذا » .
(٧) الذخيرة (المرة الأولى) : « نفسه » .
(٨) اليتيمة : « الدنيا » .
(٩) هذا البيت الى آخر الشعر ناقص فى الذخيرة (المرة الأولى) .
(١٠) هذا البيت والأربعة التى تليه لم تقع إلا فى اليتيمة .

وَالمانِعِى مِن صَرْفِ دهْرِى بعدما قَلَبتْ إلىّ الحادِثاتُ حِداقَهَا

حَتَّامَ لا تزوى جِيادُكَ للوَغى وتَشِيمُ مِن بِيضِ السُّيُوف رِقاقَهَا

[وتَسُدُّ طُرْقَ الأَرْضِ منكَ بِجَحْفَلٍ يذَرُ المُلُوكَ مُدِيمَةً إِطْراقَهَا

بَحْرٍ إذا خَفَقَتْ عُقابُ لِوائِهِ بتُخُومِ أَرْضٍ لم تَخَفْ إِخْفاقَهَا

(١)اللهَ فى أَرْضٍ غُذِيتُ(٢) هَواءَها وعِصابَةٍ لم تَتَّهِمْ إِشْفاقَهَا]

نَكَزَتْهُمُ أَفْعَى الخُطُوبِ وعُوجِلُوا(٣) بِمُثَمَّلٍ منها ، فكُنْ دِرْياقَهَا

وافْتَحْ مَغالِقَها بعَزْمةِ فَيْصَلٍ لَوْ حاوَلَتْ سَوْقَ الثُّرَيَّا ساقَهَا(١)

بَطَلٌ إذا خَطَبَ النُّفُوسَ إلى الوَغى جَعَلَ الظُّبا تَحْتَ العَجاجِ صِداقَهَا(٤)

لَوْ عارَضَتْ هُوجَ الرِّياحِ بَنانُهُ يَوْماً لسدَّ ببَعْضِها آفاقَهَا

ولَو أنَّها منه ، إذا ما اسْتَلَّها تَتَعَرَّضُ الجَوْزاءَ حَلَّ نِطاقَهَا(٥)

وإذا المُلُوكُ جرَتْ جِيادًا فى الوَغى والجُودِ قَطَّعَ جَفْوةً(٦) أَعْناقَهَا(٧)

ولَو أنَّ أَفْواهَ الضَّراغِمِ مَنْهَلٌ لِلْوِرْدِ أَوْرَدَ خَيْلَهُ أَشْداقَهَا

(١-١) لم يقع إلا فى الذخيرة (المرة الثانية) ، المسالك .

(٢) المسالك : «عذمت» .

(٣) المسالك : «عوجلوا» .

(٤) هذا البيت والذى يليه لم يقعا إلا فى اليتيمة .

(٥) لم يقع هذا البيت إلا فى الذخيرة (المرة الثانية) .

(٦) كذا فى الأصل (اليتيمة) ولعله : «عنوة» .

(٧) هذا البيت والذى يليه لم يقعا إلا فى اليتيمة .

حرف اللام

٥٠

هجاء أبي عبد الله الفرضي
"من مديح سليمان بن المرتضى"

فلمَّا بَدا فيهِمْ سُلَيْمانُ عِنْدَها ... وصاحَ ابْنُ ذَكْـوانٍ فثارَ رِجالُ

هَدَى من ضَلالِ الحائِرِينَ مُحَمَّدٌ ... وأَذَّنَ بالبَيْتِ العَتِيـقِ بِلالُ

وقامَ أَبُو عِمْرانَ يَرْأَبُ صَـدْعَها ... بِسَعْيٍ [1] تَجَلَّى عن هُداهُ ضَلالُ

وَزيرٌ متى يَسْتَوْزِرِ المَلْكُ رأْيَهُ ... أُمِرَّتْ له فى النَّائِباتِ حِبالُ

ولَيْسَ كمَنْحُوسٍ مِنَ القَوْمِ مُنْحِسٍ ... تَعـاظَمَ حتى قِيلَ لَيْسَ يُنالُ

أَعانَتْهُ أَمْوالٌ تَخَـوَّنَ عَيْنَهـا ... وأَعْلَتْهُ غُــثْرٌ سُوقةٌ وسِفالُ

له كَعْبُ نَحْسٍ لم يُصاحِبْ به [2] امْرءًا ... على الدَّهْـرِ إلّا رُدَّ وَهْوَ [3] خَيـالُ

فَفِى كُلِّ عَصْرٍ مِن عُصُورِ حَياتِهِ ... تُثَـلُّ عُرُوشٌ أَوْ تُدَكُّ جِبـالُ

هُوَ الدَّاءُ فاسْتأْصِلْه تَلْبَسْ جَمالَها ... وَداءُ كُعُوبِ المُنْحِسِينَ عُضالُ

---

(١) الذخيرة (ر) : «بسعده».
(٢) الذخيرة (ق) : «بها».
(٣) الذخيرة (ب، ق) : «وهى».

٥١

وصف مجلس الإخوان

وفِتْيةٍ كالنُّجومِ حُسْناً   كُلُّهُمُ شاعِرٌ نَبِيلُ
مُتَّقِدُ[1] الجانِبَيْنِ ماضٍ   كأنَّهُ الصّارِمُ الصَّقِيلُ
راموا انْصِرافي عن المَعالي   والغَرْبُ[2] مِن دُونِها فليلُ[3]
فاشْتَدَّ[4] في إثْرِها مِسَحٌّ[5]   كُلُّ كَثِيرٍ بها قَلِيلُ
في مَجْلِسٍ شابَهُ[6] التَّصابي   وطارَدَتْ وَصْفَه العُقُولُ
كأنَّما بابُهُ أسِيرٌ   قد عَرَضَتْ[7] وَسْطَه[8] نُصُولُ
يُرادُ منه المَقالَ قَسْراً   وهْو على ذاكَ لا يَقُولُ
يَنْظُرُ[9] مِنْ لِبْدِهِ[10] لَدَيْنا   بَحْرُ دَمٍ تَحْتَه[11] يَسِيلُ
كأنَّ أخفافَنا عليْه   مَراكِبٌ مالها دَلِيلُ
ضَلَّتْ فلَمْ تَدْرِ أيْنَ تَجْرِي   فَهْيَ على شَطِّهِ تُقِيلُ

---

(١) النفح (طل) : « منفذ » .
(٢) البدائع ، النفح : « الحد » .
(٣) البدائع ، النفح (طل) : « كليل » .
(٤) البدائع ، النفح : « فالشد » .
(٥) البدائع ، النفح : « أمرها فسيح » .
(٦) البدائع النفح : « زانه » ؛ النفح (طل) : « راد »
(٧) البدائع : « تعرض » .
(٨) البدائع ، النفح : « دونه » .
(٩) النفح : « ننظر » .
(١٠) النفح (طل) : « لبدة » .
(١١) البدائع ، النفح : « تحتنا » .

٥٢

وصف الحرشف

هـل أبْصَرتْ عَيْنـاكَ ياخَلِيلى　　قَنَـافِذًا تُبـاعُ فى زَنْبِيل ؟
من حَرْشَفٍ[١] مُعْتَمِدٍ جَلِيلٍ　　ذِى إِبَرٍ تَنفُذُ جِـلْدَ الفِيـلِ[٢]
كأَنَّها أَنْيابُ بِنْتِ الغُـولِ　　لَوْ نُخِسَتْ فى اْستِ امرِئٍ ثَقِيلِ
لَقَفَّزْتُه[٣] نَحْوَ أَرْضِ النِّيلِ　　لَيْسَتْ تُرَى[٤] طَىَّ حَشا مِنْدِيلِ
نُقْلُ السَّخِيفِ المائِنِ الجَهُـولِ　　وأَكْلُ قَوْمٍ بارِحِى[٥] العُقُولِ
أُقْسِمُ لا أَطْعَمْتُهـا[٦] أَ يلِى[٧]　　ولا طَعِمْتُهـا على شَـمُولِ

٥٣

فى وصف رحلة صيد

أَمِن رَسْمِ دارٍ بالعَقِيق مُحِيلِ ؟
ولمّا هَبَطْنَا الغَيْثَ تُذْعَرُ وَحْشُهُ　　على كُلِّ خَـوَّارِ العِنانِ أَسِيلِ

---

(١) الذخيرة : رسمت الكلمة بالخاء المعجمة فى هذا الموضع ولكنها فى الموضعين السابقين بالحاء المهملة .
(٢) هذا البيت ناقص فى البدائع .
(٣) النفح : كذا فى طل ولكن فى ب ، ج ، مب ٢ : «لفقزته» ؛ أكر : «لفقرته» ؛ مب ١ : «لقذفته» ؛
(٤) البدائع ، النفح : «ليس يرى» .
(٥) الذخيرة : الكلمة غير معجمة فى الأصل فتحتمل أيضا أن تكون «نازحى» وكذا فى البدائع ، النفح .
(٦) البدائع ، النفح : «أقسمت لا أطعمها» .
(٧) فى الأصل (الذخيرة) : «أكليل» .

وثارَتْ بَناتُ الأَعْوَجيّاتِ بالضُّحَى   أَبابِيلَ مِن أَعْطَافِ غَيْرٍ وَبِيلِ [1]

مُسَوَّمَةً نَعْتَدُّها مِنْ خِيارِها [2]   لِطَرْدِ قَنِيصٍ أَوْ لِطَرْدِ رَعِيلِ

إذا ما تَغَنَّى الصَّحْبُ[3] فَوْقَ مُتُونِها   ضُحيًا أَجابَتْ تَحْتَهُمْ بِصَهِيلِ [4]

تَدُوسُ بها أَبْكارَ نَوْرٍ كَأَنَّهُ[5]   رِداءُ عَرُوسٍ أُوذِنَتْ بِحَلِيلِ [6]

رَمَيْنا بها عَرْضَ الصُّوارِ [7] فَأَقْعَصَتْ   أَغَنَّ قَتَلْناهُ بِغَيْرِ قَتِيلِ

وبادَرَ أَصْحابِي النُّزُولَ فأَقْبَلَتْ   كَرادِيسُ من َ ضِّ الشِّواءِ نَشِيل

نُمَسِّحُ بالجودانِ منه أَكُفَّنا   إذا ما اقْتَنَصْنا منه غَيْرَ قَلِيلِ [8]

فقُلْنا لِساقِيها[9] أَدِرْها سُلافَةً   شَمُولًا ومِن عَيْنَيْكَ صِرْفَ شَمُولِ

فقامَ بكأسَيْهِ مُطيعاً لأَمْرِنا[10]   يَمِيلُ به الإِدْلالُ كُلَّ مَمِيلِ

وشَعْشَعَ راحَيْهِ[11] فما زالَ مائِلًا   بِرأْسِ كَرِيمٍ منهُمُ وتَلِيلِ [12]

---

(١) هذا البيت ناقص فى اليتيمة .

(٢) اليتيمة : «حيادنا» .

(٣) اليتيمة : « القوم » .

(٤) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، لب) .

(٥) هذا المصراع فى اليتيمة : « تدوس بنا أوكار نوه كأنه » .

(٦) اليتيمة : « آدنت برحيل » .

(٧) الذخيرة (ق) : « السواد » .

(٨) ن فى الذخيرة (ر ، ق) ، اليتيمة .

(٩) الذخيرة (ق) : «لسافينا» .

(١٠) اليتيمة : «لامرقى» .

(١١) الذخيرة (ب ، لب) : « ساقية » .

(١٢) اليتيمة : « ونبيل » .

إلى أَن ثَناهُمْ راكِدِينَ لِما احْتَسوا
خَلِيعِينَ مِن بَطْشٍ وفَضْلِ عُقُولِ (١)

نَشاوَى على الزَّهْراءِ ، صَرْعَى (٢) كأَنَّهُمْ
أَساطِينُ قَصْرٍ (٣) أَوْ جُذُوعُ نَخِيلِ

٥٤
فى عتاب الزمان

أَبَرْقٌ بَدا أَمْ لَمْعُ أَبْيَضَ قاصِلِ (٤) ... ورَجْعُ صَدًى (٥) أَمْ رَجْعُ أَشْقَرَ صاهِلِ

أَلا إِنَّها حَرْبٌ جَنَيْتُ بِلَحظَةٍ ... إلى عُرُبٍ يَوْمَ الكَثِيبِ عَقائِلِ

هَوًى تَغْلِبِيٌّ غالَبَ القَلْبَ فانْطَوَى ... على كَمَدٍ مِن لَوْعَةِ القَلْبِ داخِلِ

رِدِى تَعْلَمِى بالخَيْلِ ما قَرَّبَ النَّوَى ... جِيادَكِ بالثَّرْثارِ يا ابْنَةَ وائِلِ

جَزَيْنا بِيَوْمِ المَرْجِ آخَرَ مِثْلَهُ ... وغُصْنا سَقَيْنا نابَ أَسْمَرَ عاسِلِ (٦)

* * *

---

(١) هذا البيت والذى يليه ناقصان فى اليتيمة .
(٢) الذخيرة (ر ، ق) : « حتى » .
(٣) الذخيرة (ب ، لب) : « نترى » .
(٤) اليتيمة : « ناصل » .
(٥) «شدا» فى الأصل (اليتيمة) .
(٦) لم يقع إلا فى اليتيمة .

تَرَدَّدَ فيها البَرْقُ حتَّى حَسِبْتُهُ　　يُشِيرُ إلى نَجْمِ الرُّبَى[1] بالأَنامِلِ

رُبىً[2] نَسَجَتْ أَيْدِي الغَمامِ لِلبسها[3]　　غَلائِلَ صُفْراً فَوْقَ بِيضِ غلائِلِ

سَهِرْتُ بها[4] أَرْعَى النُّجُومَ وأَنجما　　طَوالِعَ للرَّاعِينَ غَيْرَ أَوافِـلِ

وقد فَغَرَتْ فاها بها[5] كُلُّ زَهْرة　　إلى كُلِّ ضَرْعٍ للغَمامةِ حافِـلِ

وَمَرَّتْ جُيوشُ المُزْنِ رَهْواً[6] كأَنَّها　　عَساكِرُ زَنْجٍ مُذْهَباتُ المناصِلِ

وحَلَّقَتِ[7] الخَضْراءُ في غُرِّ شُهْبِها[8]　　كَلُجَّةِ بَحْرٍ كُلِّلَتْ باليَعالِـلِ

تَخالُ بها زُهْرَ الكَواكِبِ نَرْجِسا[9]　　على شَطِّ وادٍ للمَجَرَّةِ سائِـلِ[10]

وتَلْمَحُ مِن جَوْزائِها في غُرُوبِهـا　　تَساقُطَ عَرْشٍ واهِنِ الدَّعْمِ[11] مائِلِ

وتَحْسَبُ صَقْرًا واقِعًا دَبَرانَهَا　　بِعُشِّ الثُّرَيَّا فَوْقَ حُمْرِ الحَواصِلِ

وبَدْرَ الدُّجَى فيها غَدِيرًا وحَوْلَهُ　　نُجُومٌ كَطَلْعَاتِ الحَمامِ[12] النَّواهِلِ

كأَنَّ الدُّجَى هَمِّي ودَمْعِي نُجُومُـهُ　　تَحَدَّرَ إِشْفاقًا لِدَهْرِ الأَراذِلِ[13]

---

(١) المسالك : « الثرى » .
(٢) المسالك : « ترى » .
(٣) المسالك : « بالبسها » .
(٤) اليتيمة : « لها » .
(٥) الرايات : « دجى » اليتيمة : «إلى» .
(٦) الذخيرة (ب ، لب) : « زهراء » ؛ (ر) ، الرايات : « زهوا » .
(٧) المغرب : « حلفت » .
(٨) الذخيرة (ب ، ق ، لب) ، المسالك : « نجمها » ؛ المغرب : «زهرها» .
(٩) المسالك : « أنجما » .
(١٠) المسالك : « حافل » .
(١١) المسالك : « رقم » .
(١٢) الذخيرة (د) : « الجام » .
(١٣) اليتيمة : «بماحل» .

هَوَتْ أَنْجُمُ العَلْيَاءِ إِلاَّ أَقَلَّهَا ... وغِبْنَ بما يَحْظَى به كُلُّ عاقِلِ

وأَصْبَحْتُ فى خَلْفٍ إِذا مالَمَحْتَهُمْ (١) ... تَبَيَّنْتَ أَنَّ الجَهْلَ إِحْدَى الفَضَائِلِ

وما طابَ فى هَذِى البَرِيَّةِ آخِرٌ ... إِذا هُو لم يُنْجِدْ بِطِيبٍ (٢) الأَوائِلِ

أَرَى حُمُرًا فَوْقَ الصَّواهِلِ جَمَّةً ... فأَبْكِى بعَيْنِى ذُلَّ تِلْكَ الصَّواهِلِ

ورُبَّتَ كُتَّابٍ إِذا قِيلَ: زَوِّرُوا ... بَكَتْ مِنْ تَأَنِّيهِمْ (٣) صُدُورُ الرَّسائِلِ

ونَاقِلِ فِقْهٍ لم يرِ اللهَ قَلْبُهُ ... يَظُنُّ بأَنَّ الدِّينَ حِفْظُ المَسائِلِ

وحامِلِ رُمْحٍ راحَ فَوْقَ مَضائِهِ ... بِهِ كاعِبًا فى الحَىِّ ذاتَ مَغازِلِ

حُبُوا بالمُنَى دُونِى وغُودِرْتُ دُونَهُمْ ... أَرُودُ الأَمانِىَ فى رِياضِ الأَباطِلِ

وما هِىَ (٤) إِلاَّ هِمَّةٌ أَشْجَعِيَّةٌ ... ونَفْسٌ أَبَتْ لِى مِن طِلابِ الرَّذائِلِ

وفَهْمٍ لَوِ البِرْجِيسَ جِئْتُ بِجِدِّهِ ... إِذًا لَتَلَقَّانِى بنَحْسِ المَقاتِلِ

وكَيْفَ ارْتِضائِى دارَةَ الجَهْلِ مَنْزِلاً ... إِذا كانَتِ الجَوْزاءُ بَعْضَ مَنازِلِى (٥)

وصَبْرِى على مَحْضِ الأَذَى مِن أَسافِلٍ ... ومَجْدِى حُسامِى والسِّيادَةُ ذابِلِى ؟

ولَمَّا طَمَا (٦) بَحْرُ البَيانِ بِفِكْرَتِى ... وأَغْرَقَ قَرْنَ الشَّمْسِ بَعْضُ جَداوِلِى

زَفَفْتُ (٧) إِلى خَيْرِ الوَرَى كُلَّ حُرَّةٍ (٨) ... مِنَ المَدْحِ لَمْ تَخْمُلْ بِرَعْىِ (٩) الخَمائِلِ

---

(١) الذخيرة (ق ، لب) : « التمحتهم » .
(٢) الذخيرة (ب ، لب) : « ينجده طيب » .
(٣) الذخيرة (ب ، ت ، ق ، لب) : « تأتيهم » .
(٤) اليتيمة : « وما بى » .
(٥) لم يقع هذا البيت والذى يليه إلا فى اليتيمة .
(٦) اليتيمة : « طمى » .
(٧) الذخيرة : « رحلت » .
(٨) اليتيمة : « خير وقفة » .
(٩) اليتيمة : « بدعى » .

ومارِمْتُهَا حتَّى حطَطْتُ رِحالَهَــا ‏ على ملك منهم أَغرَّ حُلاحِــلِ[1]
وكِدْتُ لفَضْلِ القَوْلِ أَبْلُغُ ساكِتًا ‏ وإنْ ساءَ حُسّادِى مدى كُلِّ قائِلِ

٥٥
فى رثاء نفسه وقد عزم على الانتحار

أَنُوحُ على نَفْسِى وأَندبُ نُبْلَهَــا ‏ إذا أنا فى الضَّرَّاءِ أَزمعْتُ قتلَهَــا
رضيتُ قضاءَ اللهِ فى كُلِّ حالــةٍ ‏ علىّ وأَحكامًا تيقَّنْتُ عدلَهَا
أَظلُّ قعيد الدّارِ تجنُبُنِى العصـا ‏ على ضَعْفِ ساقٍ أَوْهَن السُّقْمُ رِجلَهَا
وأَنْعِى خسيسات ابْنِ آدم عامــلاً ‏ براحةِ طِفل أَحكم الضُرُّ نَصْلَهَا
أَلا رُبَّ خَصمٍ قد كفيت ، وكُرْبَةٍ ‏ كشفْتُ ودارٍ كُنْتُ فى المحْلِ وبلُهَا
ورُبَّ قَريضٍ كالجريضِ بعثْتُــهُ ‏ إلى خُطْبَةٍ لا يُنْكِرُ الجمْعُ فَضْلَهَا
فمَن مُبْلِغُ الفِتْيانِ أَنَّ أَخاهُــمُ ‏ أَخُو فتكَةٍ شَنْعَاءَ ما كانَ شِكْلَهَا ؟
عليْكُمُ سلامٌ مِن فَتًى عضَّهُ الرَّدى ‏ ولم ينْسَ عيْنًا أَثْبتَتْ فيه نَبْلَهَا
يُبِينُ وكَفُّ الموْتِ يَخْلَعُ نَفْسه ‏ وداخلُهَــا حُبٌ يهــوِّنُ ثُكْلَهَــا

---

(١) لم يقع هذا البيت إلا فى اليتيمة .

٥٦

رسالة إلى الوزير
أبي مروان بن إدريس الجزيري

يا سيِّدًا أَرِجتْ طِيبًا شمائِلُـهُ ... وشاكَلَتْ شِعْرَهُ حُسْنًا رَسائِلُـهُ

وسَائِلاً لِيَ عَمّا لَيْسَ يَجْهَلُـهُ ... ولا الَّذِى كُلِّفَ التَّفْصِيلَ جاهِلُـهُ

الوَرْدُ عَهْدًا ونَشْرًا صِنْوُ عهْدِكَ ، لا ... تُنْسِى أَواخِرَهُ طِيبًا أَوائِلُـهُ

ووَصْلُهُ فى كِلا الحالَيْنِ مُفْتَرَضٌ ... سِيّانِ قاطِعُهُ جَهْلاً وواصِلُـهُ

فالعُودُ يَخْفُقُ ، والمِزْمارُ يَتْبَعُهُ ، ... وهاجِرُ الرّاحِ قد هاجَتْ بَلابِلُهُ

تُخْبِرْ بِمِثْلِ الَّذِى أَنْتَ العَلِيمُ به ... أَيّامُنَا والصِّبَا تُعْصَى عواذِلُـهُ

حرف الميم

٥٧

فى رثاء الوزير حسان بن مالك

أَفى كُلِّ عامٍ (١) مَصْرَعٌ لعظِيم ؟ أَصابَ المَنَايا (٢) حادِثِى وقَدِيمى
هَوَى قَمَرا قَيْسِ بْن عَيْلاَنَ آنِفًا وأَوْحَشَ مِن كَلْبٍ مَكَانُ زَعِيمِ (٣)
فكَيْفَ لِقَائِى الحادِثَاتِ إِذا سَطَتْ وقد فُلَّ سَيْفِى منهُمُ وعَزِيمِى ؟ (٤)
وكَيْفَ اهْتِدائى فى الخُطُوبِ إِذا دَجَت وقد فَقَدَتْ عَيْنَاى ضَوْءَ نُجُومِى ؟ (٥)
مَضَى السَّلَفُ الوَضَّاحُ إِلاَّ بَقِيَّةً كغُرَّةِ مُسْوَدِّ القَمِيصِ بَهِيمِ (٦)

* * *

رَمَيْت بها الآفاقَ عَنِّى غَرِيبَةً نَتِيجةَ خَفَّاقِ الضُّلُوعِ كَظِيمِ (٧)
لأُبْدِى إِلى أَهْلِ الحِجَا مِن بَواطِنِى وأُدْلِى بعذْرٍ فى ظَوَاهِرِ (٨) لُومِ

---

(١) المغرب : « حين » .
(٢) المسالك : « الرزايا » .
(٣) هذا البيت ناقص فى المطمح ، اليتيمة .
(٤) هذا البيت ناقص فى المطمح .
(٥) الذخيرة ، المغرب : « نجوم » .
(٦) اليتيمة : « لهيم » .
(٧) لم يقع هذا البيت والأربعة التى تليه إلا فى الذخيرة .
(٨) الذخيرة (ب ، ق ، لب) : « بواطن » .

أَنا السيفُ لم تَتْعَبْ به (1) كفُّ ضاربٍ ... صَرومٌ إذا صادفْتَ كفَّ صَرومِ (2)

سَعَيْتُ بأَحْرارِ الرِّجالِ فخانَنِي ... رِجالٌ ولم أُنْجِدْ بجَدٍّ عَظِيمِ

وضيَّعَنِي الأَمْلاكُ بَدْءًا وعَوْدةً (3) ... فضِعْتُ بدارٍ منهم وحَريمِ

فإِنْ رَكِبَتْ منِّي اللَّيالِي هَضِيمةً ... فقَبْلِيَ ما كانَ اهْتِضامُ تَمِيمِ (4)(5)

أَما وأَبِي الأَيَّامِ لَوْلا اعْتِداؤُها (6) ... لَظاهَرْتُ في ساداتِها بقُرومِ

وقارَعْتُ مَن يَبْغِي قِراعِيَ منهمُ ... بأَحْلامِ بَطْشٍ أَوْ بِطَيْشِ حلُومِ

أَحَلُّوا مَلامِي لا أَبا لأَبِيهِمُ ... وإِنِّي ورَبِّ المَجْدِ غَيْرُ مَلُومِ

فَلا تَعْذُلُونِي إِنْ وَلِهْتُ فإِنَّها ... عِلاقَةُ حُبٍّ لا عِلاقَةُ رِيمِ (6)

أَبا عَبْدةٍ إِنَّا عَذَرْناكَ (7) عِنْدَما ... رَجَعْنا وغادَرْناكَ غَيْرَ ذَمِيمِ (8)

أَنَخْذُلُ مَن كُنَّا نَرودُ بأَرْضِهِ ... ونَكْرَعُ منه في إِناءِ علُومِ ؟

ويَجْلُو العَمَى عنَّا بأَنْوارِ رأْيِهِ ... إذا أَظْلَمَتْ ظَلْماءُ ذاتُ غُيومِ (9)

كأَنَّكَ لم تُلْقِحْ بريحٍ مِن الحِجَا ... عَقائِمَ أَوْكارٍ بغَيْرِ عَقِيمِ

ولم نَعْتَمِدْ مَغْناكَ غَدْوًا ولم نزَلْ ... نَؤُمُّ لفَصْلِ الحُكْمِ دارَ حَكِيمِ

---

(1) الذخيرة (ب ، لب) : « له » .
(2) الذخيرة (ق) : « صريم » .
(3) الذخيرة (ب) : « عوداً وبدأة » .
(4) هذا البيت إلى آخر الشعر ناقص فى الذخيرة .
(5) هذا البيت ناقص فى اليتيمة .
(٦–٦) ن فى المطمح ، النفح .
(7) النفح : « غدرناك » .
(8) هذا البيت إلى آخر الشعر لم يقع إلا فى المطمح ، النفح .
(9) المطمح . « غموم »

٥٨

سلام إلى حبيبه فى علته

اقْرَ السَّلامَ على الأَصْحابِ أَجْمَعِهِم (١) وخُصَّ عَمْرًا بأَزْكَى (١) نُورِ تَسْلِيمِ

وقُمْ له : يا أَعَزَّ النَّاسِ كُلِّهِمُ شخْصًا علىّ وأَولاهُمْ بتَكْرِيمِ

اللهُ جارُكَ مِن ذِي مَنْعَةٍ ظَفِرَتْ (٢) منه اللَّيَالِى بعِلْقٍ (٢) غَيْرِ مَذْمُومِ

ما كانَ حُبُّكَ إلاَّ صَوْبَ غادِيَةٍ طِيبًا وحاشا لحُبِّى فيكَ مِن لُومِ (٣)

إن شاءَ صَرْفُ الرَّدَى تَقْدِيمَ أَطْوعِنا (٤) فقد رَضِيتُ ، حَمَاكَ (٤) اللهُ ، تَقْدِيمِى

وإِنْ أَحَبَّ الثَّرَى جِسْمًا ليأْكُلَهُ أَسْمَحْ بجِسْمِى له يَفْدِيكَ تَعْظِيمِى

عِشْنَا [أَلِيفَيْنِ] فى بَرِّ الهَوى زَمَنًا (٥) حَتَّى رَقَى بِنَوانا (٥) طائِرُ الشُّومِ

فَشَتَّتَتْ نُوَبُ الأَيَّامِ أُلْفَتَنا قَسْرًا ولم يُغْنِهَا ظَنِّى وتَنْجِيمِى

(١–١) ناقص فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .
(٢–٢) ناقص فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .
(٣) الذخيرة (ق) : « بجى فيك اللوم » .
(٤–٤) ناقص فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .
(٥–٥) ناقص فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .

٥٩
فى مدح ممدوح غير معروف

طَرَقَتْكَ بالدَّهْنا وصَحْبُكَ نُوَّمُ ... واللَّيْلُ أَدْهَمُ بالثُّرَيّا مُلْجَـمُ

* * *

والشَّامُ خِطَّتُكُمْ ولَيْسَتْ نِسْبَـةً ... إلاَّ كَمَا نُسِبَتْ إِلَيْهَا[1] الأَنْجُمُ

٦٠
وصف النحلة

وطائِرةٍ تَهْوِى كأَنَّ جَناحها ... ضَمِيرٌ خَفِىٌّ لا يُحَدِّدُهُ وهْمُ

مُلازِمةٍ للرَّوْضِ حتى كأَنَّما ... لها كُلُّ ما تفْتَرُّ عنه الرُّبى طُعْمُ

تَمُجُّ بفِيها الشَّهْدَ صِرْفاً ويختَفِى ... لمُشْتارِه مابيْنَ أَحْشائِهـا سَهْمُ

مُنـافِرةِ الإِنْسِ تأْنَسُ بالفَـلا ... مُفَرِّقَة للشَّهْدِ ، مِن بَعْضِها السُّمُّ

فإِدْنـاؤُها رُشْدٌ ، وَهَتْكُ حِجابها ... إِذا احْتَجَبتْ فى غَيْرِ أَيَّامِها ظُلْمُ

---

(١) فى الأصل : « إليه » .

٦١

شكوى إلى سليمان المستعين

وقالتِ النَّفْسُ لمّا أَن خلَوْتُ بها ... لاأَشْكُو إِلَيْها الهَوى خِلْوًا من النِّعمِ :
حَتَّام أَنْتَ على الضَّرَّاءِ مُضْطَجِعٌ ... مُعرِّسٌ فى دِيارِ الظُّلْمِ والظُّلَمِ ؟
وفى السُّرى لكَ لوْ أَزْمعتَ مرتَحِلًا ، ... بُرْءٌ من الشَّوْقِ أَوْ بُرْءٌ مِن العدمِ [١]
ثُمَّ اسْتَمرَّتْ بفَضْلِ [٢] القوْلِ تُنْهِضُنى [٣]
فقُلْتُ : إِنى لأَسْتَحْيِى بَنى الحَكَمِ
المُلْحِفِينَ رِداءَ الشَّمْسِ مَجدَهُمُ ... والمُنْعِلِينَ الثُّريَّا أَخْمصَ القَدمِ [٤]
أَلِمتُ [٥] بالحُبِّ حتى لَوْدنا أَجلى ... لَمَّا وجدْتُ لطَعْمِ الموْتِ مِن أَلَمِ
وذادنى [٦] كَرمِى عمَّن [٧] وَلِهتُ به [٨]
وَيْلِى من الحُبِّ أَو وَيْلِى مِن الكَرمِ
تَخَوَّنَتْنى رجالٌ طالَما شَكرتْ ... عَهْدِى وأَثْنَتْ بما راعيْتُ من ذِمَمِ
لَئِنْ وردْتُ سُهَيْلًا غِبَّ ثالِثةٍ ... لَتَقْرَعَنَّ علىَّ السِّنَّ مِن نَدمِ

---

(١) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .
(٢) الذخيرة (ر) : « بفعل » .
(٣) الذخيرة (ق) : « بقبضتى » .
(٤) الذخيرة (ب ، ت ، لب) : « الهمم » .
(٥) فى جميع نسخ الذخيرة « ألممت » ؛ المطمح ، النفح (مرتين) : « كلفت » .
(٦) الجذوة : « زاد فى » ؛ المطرب : « زادنى » ؛ النفح (المرة الثانية) : « عاقنى » .
(٧) البغية : « عما » .
(٨) هذا المصراع فى المطمح ، النفح (المرة الأولى) : « كلا الندى والهوى قدما ولعت به » .

هُنــاكَ لا تَبْتَغِى غَيْرَ السَّـناءِ يَدِى
ولا تَخِفُّ إلى غَيْرِ العُـلا قَدمِى

حتى تَرانِى فى أَدْنَى مَـواكِبِهِمْ — على النَّعـامَةِ شَلَّالًا مِنَ النِّعَمِ
رَيَّانَ مِنْ زَفَراتِ الخَيْلِ أُورِدُها — أَمْواهَ نِيطَةَ[1] تَهْوِى فيهِ باللُّجُمِ
قُدّامَ أَرْوَعَ مِن قَـوْمٍ وجدتُهُم — أَرْعَى لحقِّ العُلا مِن سالِفِ[2] الأُمَمِ

٦٣

غـــــزل

أَلا بِأَبِى زائِرِى فى العَـتَمْ — بِوَجْـهٍ يُجلِّى سَوادَ الظُّلَمْ
تَكَتَّمَ باللَّيْلِ فى ظِـلِّهِ — وهل يُمْكِنُ الصُّبْحُ أَن يُكْتَتَمْ ؟
أَتَى يَسْتَجِيرُ أَلِيفًـا لَـهُ — كما جاوبَ[3] البانُ رطبَ العَنَمْ
وقد رقَّ[4] ماوَرْدُ تلكَ[4] الخُدُودِ — بِما سالَ مِن مِسْكِ تِلْكَ اللِّمَمْ
وكانَ يُحمْحِمُ تَحْتَ العِـذارِ — كَحَمْحَمةِ الخَيْلِ تَحْتَ اللُّجُمْ
فقُلْتُ : مَنِ الزَّائِرِى والدُّجى[5] — يَسُدُّ العُيُونَ بِثَوْبٍ أَجَمَّ ؟[6]

---

(١) الذخيرة (ب ، ت ، لب) : « بيضة » ؛ (ق) : « مرآة بيضة » .
(٢) الذخيرة (ب ، ت ، لب) : « سائر » .
(٣) الذخيرة (ق) : « جاور » .
(٤–٤) الذخيرة (ب ، ت) : « ماء تلك » .
(٥) الذخيرة (ب ، ت) : « فى الدجى » .
(٦) الذخيرة (ب ، ت) : « بثوب أدم » .

فقــالَ أَبُو جَعْفَــرٍ : لائِمُ ... بما جِئْتَ مِن كَذِبٍ يُنْتَظَمْ (١)

فأَيْقَنْتُ أَنَّ أَبــا خالِــدٍ ... سَرى (٢) وخيــالَ حَبِيبِي أَلَمّ

فأَبْصرْتُ وجْهاً حكاهُ الهِــلالُ ... وثغــراً حكى الدُّرّ لمّا ٱبْتَسمْ

وإِلَّا فَعفْوٌ يُقِيــلُ العِثــارَ ... فذُو العرْشِ يَرْحمُ مَن قدرحِمْ (٣)

فقالَ : بلِ العفْــو ياسيِّدِي ... وقَبَّلَنى مِن بَعِيــدٍ وضَمّ

فبِتُّ على بردِ طِيبِ الرِّضــا ... أُسرُّ بلَيْلِى وإِنْ لم أَنَــمْ

وقُلْتُ : ابْنَ زَيْدُونَ ، لا كُنْتَ لِى ... بِخَالٍ(٤) ولا كُنْتَ لِى بابْن عَمّ

خَبِيثٌ سَــعى بَيْنَنا بالنَّمِيمِ ... وقَطَّعَ خُلَّتَنَــا بالجلَمْ

٦٣

فى نية الهروب إلى مالقة

أَرى أَعْيُنَــا ترنُو إِلىّ كأَنَّما(٥) ... تُساوِرُ منها جانِبَىَّ أَراقِــمُ

أَدُورُ فلا أَعْتامُ غيْرَ مُحارِبٍ ... وأَسْعى فلا أَلْقَى امْرءًا لِى يُسالِمُ(٦)

---

(١) الذخيرة (ب ، ت) : « تنتظم » .

(٢) فى الأصول الثلاثة : « سوى وأن خيال » .

(٣) قبل هذا البيت بيت مضطرب فى الذخيرة (ب ، ت) نصه ما يأتى :

فقلت أمره بهم فأشعر ... بضرب فاحذر حان ندم

(٤) الذخيرة (ق) (ب ، ت) : « لا كنته بخال » .

(٥) الذخيرة (ق) : « كأنها » .

(٦) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ق) .

وَيجْلِبُ لِي فَهْمِي ضُرُوباً مِن الأَذَى وَأَشْقَى اَمْرِىءٍ فِى قَرْيَةِ الجهْلِ عالِم

وأَوْجعُ مَظْلُومٍ لقَلْبٍ وذِى حِجًى فَتى عَربىٌّ تزدريهِ أَعـاجِمُ

غَنِيتُمُ ، على ماتزعمُونَ ، عن الورى لقد سَفِهَت تِلْكَ الحُلُومُ الزَّوَاعِمُ

وهل يُقْدِمُ البازِى على الطَّيْرِ فى الضُّحى إِذا زالَ عن رِيشِ الجناحِ القَوادِمُ

سَلامٌ عليْكُم لا تَحِيَّةَ شاكِرٍ ولَكِنْ شَجًى تَنْسدُّ منـه الحلاقِمُ

وما قُرِعتْ سِنى عليْكُم نَـدامةً وأَوْشِكْ غَدًا أَنْ يَقْرعَ السِّنَّ نادِمُ

عليْكُم بدارِى فاهْدِمُوها دعائِمًـا ففى الأَرْضِ بنَّاءُونَ لِى ودَعائِمُ

لئِن أَخرجتْنى عنكُم شرُّ عُصْبةٍ ففى الأَرْضِ إِخْوانٌ علىَّ أَكارِمُ

وإِنْ هَشَمَتْ حقِّى أُميَّـةُ عِنْدها فهاتا على ظَهْرِ المحجَّةِ هاشِمُ

ولا غرو مِن تَرْكِ (١) القَلانِسِ جانِبًا (٢)

إِذا عَرفَتْ حَقِّى هُناكَ العمـائِمُ (٣)

ولمّا فَشا بِالدَّمْعِ مِنْ سِرٍّ وجْدِنا إِلى كاشِحِينا ما القُلُوبُ كواتِمُ

أَمرْنا بِإِمْساكِ الدُّمُوعِ جُفُونَنـا لِيشْجى بما تطوِى عَذُولٌ ولائِمُ

فظَلَّتْ دُمُوعُ العيْنِ حيْرى كأَنَّها خِـلالَ مآقِينـا لآلٍ توائِمِ (٤)

أَبَى دَمْعُنا يَجْرِى مَخافـةَ شامِتٍ فنَظَّمهُ بَيْنَ (٥) المحاجِرِ ناظِمُ

وراقَ الهَوى منّا عُيُونٌ كَرِيمـةٌ تَبسَّمْنَ حـتى ما تَرُوقُ المباسِمُ

---

(١) بالأصول « تلك » .

(٢) الذخيرة (ب ، ر ، ق ، لب) : «جاليا» .

(٣) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ق) .

(٤) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، ت) .

(٥) المغرب : « فوق » .

٦٤

مديح عبد العزيز المؤتمن

أَمَّا الرِّيـاحُ بجـوٍّ عاصِمْ   فِحلَبْنَ [١] أَخْـلافَ الغَمـائِمْ

* * *

سَهِرَ الحيـا برِياضِهــــا   فَأَسـالَها والنَّوْرُ نـائِمْ
حتى اغْتَـدتْ زهَــراتُهـا   كالغِيـدِ باللُّججِ [٢] العوائمْ
مِن ثَيِّبـاتٍ لم تُبـــلْ   كشْفَ الخُـدُودِ ولا المعاصِمْ
وصِغـارِ أبكـارٍ شَـكَتْ   خَجلًا فعـاذَتْ بالكمـائِمْ
وَرْدٌ كمـا خجِلَتْ خُـدُو   دُ العِـينِ مِن لحظاتِ هائِمْ
وشَقِيقُ نُعْمـانٍ شَـكَتْ   صَفَحـاتُه مِن لَطْمِ لاطِمْ
وغُصُـونُ أَشْجـارٍ حَـكَتْ   رقْص المـآتِمِ للمآثِمْ [٣]
حَيِيتْ [٤] بطُـوفانِ الحيا   فتَضـاحكَتْ والجـوُّ واجِمْ
أَصْـنافُ زَهْرٍ طُـوِّقَتْ   دُررًا تذوب بكَفِّ نـاظِمْ
مِن باسِمٍ بـاك إلَيْـ   ـكَ نَدِ وباكٍ وهـو باسِمْ [٤]

---

(١) المسالك : « فجلين » .
(٢) الذخيرة : « باللج » .
(٣) الذخيرة : « المآتم للمآتم » .
(٤–٤) لم يقع إلا فى البديع .

بَكَرَ الحِسانُ يرِدْنَها   مِن كُلِّ واضِحةِ الملاغِمْ

وضَحِكْنَ عُجْباً فالتَقَتْ   فيها المباسِمُ بالمباسِمْ

ضَحِكَتْ وأَوْمَض [1] بارِقٌ   فظَلِلْتُ للبرْقَيْنِ شائِمْ

وتَشوَّفَتْ فتطامَنَتْ [2]   أَجْيادُ أَظْبِيها الحوائِمْ

ورنَتْ [3] فبادر نَرْجِسٌ   يشْكو عَماهُ إلى حَمائِمْ [4]

طارَدْتُهُنَّ بفِتْيةٍ   حُرْدٍ على حرْبِ المُسالِمْ

وكأنَّني فِيهِمْ لَقِيـ   ـطُ قادَ مِن أَحْياءِ دارِمْ

وتكاوست فيها الأَبا   رِقُ وهْي فاهِقةُ الحلاقِمْ

وكأنَّها أَظْبٍ رَعَفْـ   ـنَ فثُرْنَ دامِيَةَ الخَياشِمْ

وجرى بها فلَكَ الصِّبا   باللَّهْوِ والقُضُبُ اللَّواثِمْ [5]

وكأنَّنا [6] فيها العفا   رِتُ [7] والكُؤوسُ مِن الرَّواجِمْ [8]

وعلا بنا سُكْرٌ أبى   إلَّا الإنابةَ لِلْمَحارِمْ

نَرْمِي قَلانِسنَا لَهُ   ونَجُرُّ مِن عَذَبِ العمائِمْ

وتَرنَّمتْ فيها القِيا   نُ لنا ورجَّعتِ البواغِمْ [9]

---

(١) الذخيرة (ب ، ق ، لب) ، العيون : « أزعج » .
(٢) الذخيرة (ر) : « فتصامنت » .
(٣) المسالك : « قدمت » .
(٤) المسالك : « الحماحم » .
(٥) المسالك : « وانقضت اللوائم » .
(٦) العيون ، المسالك : « كأنها » .
(٧) المسالك : « العقارب » .
(٨) المسالك : « الأراقم » .
(٩) العيون : « النواعم » .

قُمْنَا نُصفِّقُ بالأَكُفِّ (م) لها ونَرْقُصُ بالجماجِمْ

وأَغَنَّ مِن سَدنِ المُلُو كِ سَليلِ (١) أَقْيالٍ خضارِمْ

يَشْكُو الرِّعاثَ تَنَعُّمًا (٢) ويضِجُّ مِن حَمْلِ التَّمائِمْ

لا تَسْتَحِيهِ الرَّاشِفا تُ ولا تُبَاليهِ اللَّوائِمْ

يُجْنِينَهُ ثَمرَ النُّحُو رِ ويعْتَلِينَ بِه المحازِمْ

مُتَجاهِلاتٍ أَنَّهُ يَهْوى وهُنَّ به عَوالِمْ

لازَمْتُ باب مَحلِّهِ والنُّجْحُ مِن قَنَصِ المُلازِمْ

حتى إذا وثِقَتْ بنا عُجُزُ الحواضِن والخَوادِمْ

أَيْقَنْتُ من أَخْذِي له وتَلَوْتُ مِن سُورِ العزائِمْ

واقْتَدْتُهُ بشَكائِمِي فانْقاد فى تِلْكَ الشَّكائِمْ

فورَدْتُ جَمَّاتِ (٣) المُنَى وكَرُمْتُ عن لُؤمِ (٤) المآثِمْ

وأَغَرَّ (٥) قد لَبِس الدُّجى بُرْدًا فَراقَكَ وهْو فاحِمْ

يَحْكِى بغُرَّتِهِ هِلا لَ الفِطْرِ لاحَ لِعَيْنِ صائِمْ

فكأَنَّما (٦) خاضَ الصبا حَ فجاءَ مُبْيَضَّ القَوائِمْ

ويسِيرُ فى يَبَسِ الثَّرى (٧) وكأَنَّهُ فى البحْرِ عائِمْ

---

(١) المسالك : « سليك » .

(٢) هذا المصراع فى المسالك : « يشلو الرغاث ترنما » .

(٣) المسالك : « مامول » .

(٤) المسالك : « جمل » .

(٥) المسالك : « أغن » .

(٦) المسالك : « وكأنما » .

(٧) الذخيرة « (ق) : « الكرى »

أَرمِى بــه بَقَــر الحِمـــى وَأَصُدُّ عن عُصْم العواصِمْ (١)

وتجــانبى فَتْـــق النُّفُـــو سِن مِن المَهارِيتِ الــدَّلاقِمْ

حــتى إذا عَلَمُ الصَّـــبا حِ أَشار مِن تِلْكَ المعــالِمْ

وتَمــايلَتْ أَيْــدِى الثُّــريَّ (م) ــا وهى مُذْهَبةُ الخَــواتِمْ

ورنَتْ ذُكاءُ بنـــــــــاظِرٍ رمِــدٍ مِن الأَقْــذاءِ ســالِمْ

طَــلَعَ الصِّــوارُ لحِينِــهِ (٢) وكأنَّه المــوْجُ المُـــراكِمْ

أَوْ عسْكَرٌ ركِبُـــوا الخُيُو لَ الشُّهْبَ واحْتَقَرُوا الأَداهِمْ

فاشْـــتَدَّ سُــبَّقنا لـــــه يَكْشِــرْنَ عن مِثْلِ اللَّهاذِمْ

وكأَنَّنـــــا فى رميهـــا نَسْتَلُّ مِن بِيضِ الصَّــوارِمْ

فحمى . أَواخِــــرَهُ أَغَـــرُّ (م) مُعاوِدٌ تِلْكَ المــلاحِمْ

يَهْـــوِى برَوْقَى مِحْـــرَبٍ طَبِنٍ بحَرْبِ الغُضْفِ حــازِمْ

وكأنَّمــــــــا أَرْواقُهـــا مُسْــوَدَّةً أَقْــــلامُ عــالِمْ

فَتَبادَرَ الفِتْيَــــانُ مِـــن جَنَباتِـــهِ أَشْهَى المَطَــاعِمْ

شَيًّا ومُطَّبَخًــــا عـــلى جَمْــرٍ زَهَتْـــهُ الرِّيحُ جاحِمْ

وبَعِيـــدةِ الأَرْجَـــاءِ نــا زِحَةٍ عــلى أَيْدَى الرَّواسِمْ

لا تَدَّعِى جَـــوْبًا لهــا ذاتُ الخَــوافِى والقَــوادِمْ

---

(١) هذا البيت والذى يليه لم يقعا إلا فى اليتيمة .

(٢) المسالك : « لعين » .

مِنْ فِتْنَةٍ قد أُسْبِلَتْ ظُلُماتُها بيدِ المَظَالِمْ
عَمِهَتْ لها (١) أَحْلامُنَا وكأنَّها (٢) أَضْغاثُ حالِمْ
وتَضاءَلَتْ أَجْرامُنا فيها بمُوبِقَةِ الجَرائِمْ
وتَحَوَّلَتْ فينا الذُّنا بَى الرأْسَ ، وابْنُ المَجْدِ راغِمْ
وأَدارَ كُلُّ صَغِيرِ قَدْ رِ المُنْتَهَى أَرْحِى العَظَائِمْ
فكأَنَّنا عُمْىٌ نُسا قُ على العَمَى فى ظِلِّ عاتِمْ
حتَّى ٱنْتَضَى عَبْدُ العَزِيـ زِ عَزِيمَةً مِن صَدْرِ عازِمْ
فَبَدَتْ لنا سُبُلُ الهُدَى بنَواجِمٍ غَيْرِ الهَواجِمْ (٣)
ضَرَبَ الأَعاجِمَ سُودَها بالسَّدِّ مِن بيضِ الأَعاجِمْ (٤)
فاسْتَجْفَلوا فكأَنَّما ضَرَبَ الثَّعالِبَ بالضَّراغِمْ
أَبْنَاءُ مَلْكٍ حِمْيَرِىٍّ (م) قامَ بالغُرِّ القَماقِمْ
مِن عامِرٍ أَهْلِ المَصَا نِعِ وَالصَّنائِعِ والكَرائِمِ
الكُفْرُ عنهمْ قاعِدٌ قِدْمًا ودِينُ اللهِ قائِمْ
حَكَمَ الزَّمانُ بظُلْمِهِمْ دَهْرًا وصَرْفُ الدَّهْرِ ظالِمْ
فارْتَدَّ بَهْجَةَ مُلْكِهِمْ كَرُّ الخُبَعْثِنَةِ الضُّبارِمُ
واشْتَدَّ يَنْظِمُ حَزْمَهُمْ شَيْحَانُ طَلَّاعُ المخارِمْ

---

(١) الذخيرة (ب ، لب) : «له» ؛ المسالك : «بها» .
(٢) الذخيرة (ب ، لب) ، المسالك : «فكأنها» .
(٣) كذا فى الأصل (الذخيرة) ؛ ق : «التراجم» .
(٤) كذا فى الأصل (الذخيرة) .

ذَكَرٌ على ذَكَرٍ يَصُـــو لُ وصارِمٌ يَسْطُـو بصارِمْ

إِيـهِ هَيـا عَبْدَ العَـزِ يزِ وأَنْتَ رَجّامُ المَراجِمْ (1)

قَمَرٌ تُضِيءُ لـه الخُطُـو بُ على دَآدِيها الفَـواحِمْ

تَسْرِي الرِّيـاحُ بمَجْـدِهِ فَنَسِيمُهـا بالغَـوْرِ فـاغِمْ

لم يَرْوَ مِن مـاءِ الشَّبـا بِ وكُلُّ أَشْيَـبَ عنه خائِمْ

رَعْيًا لمُـؤْتَمَنٍ رَعَـى فينَـا الحَدايِثَ والقَـدايِمْ

بَدَأَتْ أَوائِلُـه وعـا دَ لكَشْـفِ غاشِيَـةِ الغَيَاهِمْ

لا تَتْرُكَنْ صـرم الزمَـا نِ على ظُبَى تِلْكَ الصَّـوارِمْ

وارْمِ الخُطُـوبَ بمِثْلِهَـا عَزْمًا فأَنْتَ لهـا مُسَاهِـمْ

وإِلَيْكَهـا من نَاطِـقٍ يَدْعُوكَ إِذْ صَمَتَ البَهَائِـمْ

---

(1) الذخيرة (ب ، ق ، لب) : « زحام المزاحم » .

حرف النون

٦٥

في الفخر

وما أَلانَ قَناتِي غَمْزُ حادِثةٍ ... ولا اَسْتَخَفَّ بحِلْمِي قَطُّ إِنْسَانُ
أَمْضِي على الهوْل قدْما لا ينهنِهنى ... وأنثنِي (١) لسفِيهِي وهْو حرْدان
ولا أُقارِض جهالا بِجهلِهِم ... والأَمْر أَمْرِي (٢) والأَيام أَعْوان
أُهِيب بالصبْرِ والشحْناءُ ثائِرة ... وأَكظِم (٣) الغيْظ والأَحْقاد نيرانُ
وما لِسانِيَ عِند القوْمِ ذو مِلقٍ ... ولا مقالِي إذا (٤) ما قلت إِدْهانُ
ولا أفوه بغيْرِ الحق خوْف أَخِي ... وإنْ تأَخر عنى وهْوَ غضبان
ولا أَمِيل عِلى خِلى فآكله ... إذا غرِثت وبعْض الناسِ ذؤبان
وَدَّ الفتى منهم لو مُتَّ مِن يدِهِ ... وأنه منك ضخم الجوْفِ مَلْآنُ
إِن الفتوة ، فاعْلمْ ، حَدُّ مطلبها ... عِرْض نَقِيٌّ ونطق فيه تِبْيان
بالعِلمِ يفخر يوْم الحفلِ حامِلُه ... وبالعفافِ غداة الجمْعِ يزدان

---

(١) البغية : «انى» .
(٢) البغية : « أسرى » .
(٣) البغية : «أعظم » .
(٤) الجذوة : « إذ » .

إنَّ (1) الكرِيمَ إِذا (2) نالته مَخْمَصَةٌ   أَبْدى (3) إلى الناسِ شِبْعاً (4) وَهْوَ طَيَّانُ (5)

يحْنِى الضلوعَ على مِثلِ اللظى حُرَقًا   والوجْهِ غَمْرٌ بماءِ البِشْرِ ملآن (6)

* * *

أَقلُّ كُلِّ قَلِيلٍ خِلٌّ (7) ذِى أَدَب   بَيْنَ الوَرَى وأَقلُّ النَّاس إِخْـوَان

وما وَجَدْتُ أَخًا فى الدَّهْرِ يَذكُرُنِى   إِذا سَمَا وعلا يَوْمًا به الشَّانُ

---

(1) المطمح ، النفح : « نابتة » .
(2) فى جميع الأصول « إذ » .
(3) البغية : « شكا » .
(4) المطمح ، النفح : « ريا » .
(5) المطمح ، النفح : « ظمآن » .
(6) النفح : « زيان » .
(7) البغية : « جد » ؛ الجذوة : « جل » . ولكن « خل » أحسن .

٦٦
زيارة ضيف فى الشتاء

وَلَمّا رَأَيْتُ اللَّيْلَ عَسْكَرَ قُرِّهِ ... وَهَبَّتْ له رِيحانِ تَلْتَطِمَـــانِ
وَعَمَّمَ صُلْعَ الهُضْبِ مِن قَطْرِ ثَلْجِهِ ... يَـــدانِ مِنَ الصِّنَّبْرِ تَبْتَـــدِرانِ
رَفَعْتُ لِسارِى اللَّيْلِ نارَيْنِ فارْتَأَى ... شُعاعَيْنِ تَحْتَ النَّجْمِ يَلْتَقِيَان
فَأَقْبَلَ مَقْرُورَ الْحَشَا لم تَكُنْ له ... بِدَفْعِ صُرُوفِ النَّائِباتِ يدانِ
فَقُلْتُ : إِلى ذاتِ الدُّخانِ ، فقالَ لِى : ... وهل عُرِفَتْ نارٌ بِغَيْرِ دُخَانِ ؟
فَمِلْتُ به أَجْتَرُّهُ نَحْوَ جَمْرَةٍ ... لَها بارِقٌ للضَّيْفِ غَيْرُ يَمـــانِ
إِذا ما حَسَا أَلْقَمْتُهُ كُلَّ فِلْذَةٍ ... لِفَرْخَةِ طَيْرٍ أَوْ لِسَخْلَةِ(١) ضانِ
فَما زالَ فى أَكْلٍ وشُرْبٍ مُـــدارَكٍ ... إِلى أَنْ تَشَهَّى التَّرْكَ شَهْوَةَ وانِى
فَأَلْحَفْتُهُ ، فامْتَدَّ فَوْقَ مِهادِهِ ... وَخَدّاهُ بالصَّهْبَـــاءِ تَتَّقِـــدانِ
وما انْفَكَّ مَعْشُوقَ الثَّواءِ(٢) نُمُدُّهُ(٣) ... بِبِشْرٍ وتَرْحِيبٍ وبَسْطِ لِسانِ(٤)
تُغَنِّيهِ أَطْيارُ القِيـــانِ إِذا انْتَشَى ... بِصَنْجٍ وكَيْثَارٍ وعُودِ كِـــرانِ
وَيَسْمُو دُخَانُ المَنْدَلِ الرَّطْبِ فَوْقَهُ ... كَما احْتَمَلَتْ رِيحٌ مُتُونَ عُثَانِ
إِلى أَنْ تَشَهَّى البَيْنَ مِن ذاتِ نَفْسِهِ ... وحَنَّ إِلى الأَهْلِينَ حَنَّةَ حانِى
فَأَتْبَعْتُـــهُ ما سَدَّ خَلَّةَ حالِـــهِ ... وأَتْبَعَنِى ذِكْرًا بِكُلِّ مَكَـــان

---

(١) الذخيرة (ر ، ق) : « لسلخة » .
(٢) النفح : « الثناء » .
(٣) النفح : « يمده » .
(٤) النفح : « بنان » .

٦٧

فى هجاء جعفر بن محمد بن فتح

هَلاَّ سَتَرْتَ الشَّيْنَ بالزَّيْنِ   مِن قَبْلِ إحْضَارِ الوَزِيرَيْنِ ؟

قد عَلِمَا أَنَّهُمَا أُحْضِرا   لخَلْوةٍ أَثْقَلَ مِن دَيْنِ

لمّا تَدانَتْ قابَ قَوْسَيْنِ   أَصابَهَا الحاسِدُ بالعَيْنِ

فانْصَرفا مِثْلَ انْصِرافِ الفَتَى   أَسْلَمَ إلْفًا لِيَدِ البَيْنِ

صَدَّهُمَا (١) مِن قِرْدِكَ المُصْطَفَى   نَطْحَةَ نَطَّاحٍ بِرَوْقَيْنِ

وما رَأَى النَّاسُ على ما مَضَى   مِن قَبْلِهِ قِرْدًا بقَرْنَيْنِ

أَرْبَعَةٌ فى مَجْلِسٍ جُمِّعُوا   فطارَ هَذانِ بِهَذَيْنِ

قد لَزِمَا جَنْبَيْكَ لم يَبْرَحا   لَهْفِى على ضَيْعَةِ جَنْبَيْنِ

فأَنْتَ ما بَيْنَهُمَا جالِسٌ   جُلُوسَ أَيْرٍ بَيْنَ خُصْيَيْنِ

---

(١) الذخيرة (ر) : « حدهما » .

٦٨

مديح عبد العزيز المؤتمن

هاتِيكَ دارُهُمُ فقِفْ بمَغَانِها تَجِدِ[١] الدُّمُوعَ تَجِدُّ فى هَمَلانِهَا

عُجْنا الرِّكابَ بها فَهَيَّجَ وَجْدَنَا دِمَنٌ ذَعَرْنَ[٢] السِّرْبَ مِن إِدْمَانِها[٣]

دارٌ عَهِدْتُ بها الصِّبا لِىَ دَوْحَةً أَتفيَّأُ الفَرَحَاتِ مِنْ أَفْنانِها

أَرْعى على بَقَرِ الأَنِيسِ بجَوِّها وأُحكِّمُ الصَّبواتِ فى غِزْلانِها

وإذا تَهَادَتْ بالشُّمُوسِ نَوَاعِمًا فيها الغُصُونُ جَنَيْتُ مِن رُمّانِها

قَضتِ النَّوَى بذِيادِ رُجَّحِ عِينِهِمْ ظُلْمًا[٤] وكانَ الدَّهْرُ مِن أَعْوانِهَا

زَجَرُوا ٱغْترابًا مِن نَعِيبِ غُرابِهِمْ وقَضوا ببَيْنٍ مِن مُغَرِّدِ بانِهَا

فبَدا لهم وَجْهُ الفِرَاقِ مُوَقَّحًا آتٍ[٥] على خَبَرِ النَّوَى بعِيانِهَا

يَقْذِفْنَ دُرَّ الدَّمْعِ فى يَوْمِ النَّوَى عن جُمَّةٍ لَعِبَ الأَسَى بجُمانِها[٦]

وَدَّعْتُهُمْ وزِنَادُ قَدْحٍ فى الحَشَا دُونَ الضُّلُوعِ يَشُبُّ مِن نِيرانِهَا[٧]

---

(١) لم يقع إلا فى الذخيرة .

(٢) الذخيرة : « دعون » .

(٣) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، لب) .

(٤) الذخيرة (ب ، ق ، لب) : « صلفا » .

(٥) كذا فى الأصل (الذخيرة) وينبغى أن يكون « آتيا » .

(٦) الذخيرة : « بنات قرح » .

(٧) هذا البيت والذى يليه ناقصان فى الذخيرة (ب ، ت ، لب) .

وأَسلْتُهَا ذَوْبَ [١] الجُفُونِ كَأَنَّهَا ... أَيْدِي بَنِى المَنْصُور فى سَيلانِهَا[٢]

يا صاحِبَىَّ إِذا وَنَى حادِيكُمَا[٣] ... فَتَنَشَّقَا النَّفَحَاتِ مِن ظَيَّانِهَا

وخُذَا لمُرْتَبَع [٤] الحِسانِ فرُبَّمَا ... شَفَعَ الشَّبَابُ فصْرتُ مِن أَخدانِهَا[٥]

عَاوَدَتُ ذِكْرَ العَيْشِ فيه وما انْقَضَى ... مِن صَبْوَتِى ، وطَوَيْتُ مِن أَزْمانِهَا[٦]

فَبَكَيْتُ مِن زَمَنٍ قَطَعْتُ مَرَاحِلاً ... وشَبِيبَةٍ أَخْلَقْتُ مِن رَيْعَانِهَا

ورَعَيْتُ مِن وَجْهِ السَّمَاءِ خَمِيلَةً ... خَضْرَاءَ لاحَ البَدْرُ مِن غُدْرانِهَا

وكَأَنَّ نَثْرَ النَّجْمِ ضَأْنٌ وسْطَهَا[٧] ... وكَأَنَّمَا الجَوْزاءُ راعِى ضانِهَا

وكَأَنَّما فيه الثُّرَيَّا جوْهرٌ ... نَثَرَتْ فَرَائِدَهُ يدا [٨] دبرانِهَا

وكأَنَّما الشِّعْرى عقِيلةُ معْشَرٍ ... نَزَلَتْ بأَعْلَى النَّسْرِ مِن ولِدانِهَا

وكأَنَّما طُرُقُ الْمَجَرَّةِ مَنْهَجٌ ... للعامِرِيَّة ضاءَ من فينانِهَا

المُعْجِلِين عِداتَهُمْ بِرِماحِهِمْ ... والجاعِلِين الْهَام مِن تِيجانِهَا

أَسْرى لهم بالخَيْلِ حتَّى خَيَّلُوا ... أَنَّ الجِبال رمتْهُمُ بِرعانِهَا

ورمى العِدى بكَتَائِبٍ مِلءَ الفَضا ... أَغْمدْنَ نَصْل الصُّبْحِ فى رَهَجانِهَا

مِن كُلِّ سلْهَبةٍ تَطِيرُ بأَرْبَعٍ ... يُنْسِيك مُؤْخَرُهَا الْتِمَاحَ لَبانِهَا

---

(١) الذخيرة (ق) : « صوب » .
(٢) لم يقع هذا البيت إلا فى الذخيرة .
(٣) الذخيرة (ب ، لب) : « هاديكما » .
(٤) اليتيمة : « بمرتبع » .
(٥) هذا المصراع فى الذخيرة : شفع الشباب فكنت * الف حسانها » (* ق : « فكن ») .
(٦) لم يقع هذا البيت والأربعة التى تليه إلا فى الذخيرة .
(٧) المغرب : « عنده » .
(٨) المسالك : « يد » .
(٩) لم يقع إلا فى اليتيمة .

نَشَأُوا بزاهِرةِ المُلُوكِ ومائِهَـا وكَأَنَّهُمْ نَشَأُوا على غَسَّانِهَا
وأَرتْهُمُ العُرْبُ الكِرامُ مِصاعَهَا فَتَعَلَّمُوا مِن ضَرْبِهَا وطِعانِهَا [1]

* * *

أَنا طَوْدُهَـا الرّاسِى إِذا ما زَلْزَلَتْ أَيْدِى الحوادِثِ مِن فُؤادِ جبانِهَـا
وعلىّ للصَّبْرِ الجميلِ مُفاضَـةٌ زَغْفٌ أَفُلُّ بها شَباةَ سِنانِهَـا
وكأَنَّنِى لمّا كَرُمْتُ وقد شَكَتْ أَرْضِى الحوادِثَ غِبْتُ مِن حدثانِهَا [2]
[3] والنَّفْسُ نَفْسٌ مِن شُهَيْدٍ سِنْخُهَا سِنْخٌ غَذَتْ منه العُلا بِلِبانِهَـا
ما احْولَّ نَحْوِى لَحْظُ مُقْلَةِ ساخِطٍ إِلَّا وَضَعْتُ السَّهْم فى إِنْسانِهَا
ولَوْ أَنَّهُ نَطَحَ النُّجُوم بِقَرْنِهِ كُنْتُ الزَّعِيمَ له بنَحْسِ قِرانِهَا [3]
وقَضَتْ بِعِزٍّ [4] النَّفْسِ مِنِّى دَوْحَةٌ مِن عامِرٍ أَصْبحْتُ مِن أَغْصانِهَا
يا ابْنَ الأَبالِجِ مِن مَعافِرَ والَّذِى أَرْبى يزِيدُ على عُلا بُنْيانِهَـا [5]
أَعْلَى كِتابُك فى مُهِمِّى [6] حُرْمَتِى وجلا جوابُك مِن دُجى حِرْمانِهَـا
فَلَيطْلُعنَّ إِلَيْك مِن زَهرِ الحِجا أَبْكارُ شُكْرٍ لُحْن فى إِبّانِهَـا
حُرُّ القَوافِى ماجِدٌ فى أَهْلِهَـا الشِّعْرُ عَبْدٌ فى بنِى [7] عُبْدانِهَا
مدح المُلُوكَ وكان أَيْضًا منهُمُ ولقد يُرى والشِّعْرُ مِن ذُؤبانِهَا [8]
أَمْسى الفَرزْدَقُ كُفْؤَها فى حوْكِهِ وجرى القَضاءُ لها على صَلَتانِهَـا

---

(١) لم تقع هذه الأبيات الثمانية الأخيرة إلا فى اليتيمة .
(٢) هذا البيت ناقص فى الذخيرة . (٣—٣) لم يقع إلا فى الذخيرة .
(٤) اليتيمة : « لعز » .
(٥) هذا البيت الى آخر الشعر لم يقع إلا فى الذخيرة .
(٦) الذخيرة (ب ، ق) : « مهانة » . (٧) الذخيرة (ب ، ق ، لب) : « يدى » .
(٨) الذخيرة (ر) : « ديوانها » ؛ (لب) : « دونانها » .

٦٩

حبه لقرطبة

عجُوزٌ لَعمْرُ الصِّبا فانِيــهْ   لها فى الحشَا صُورةُ الغانِيــهْ

زَنَتْ بالرِّجــالِ على سِنِّهــا   فَياحبَّذَا هِى مِن زانِيــهْ

تُريك العُقُول على ضَعْفِهَــا   تُدارُ كمــا دارتِ السَّانِيــهْ

فقد عنِيتْ [١] بهَواها الحُلُو   مُ فهْى براحتِها عانِيــهْ

تَقاصَرُ عن طُولِهَا قُونْكَــةٌ   وتَبْعُدُ عن غُنْجِهَــا دانِيهْ

تَردَّيْتُ مِن حُزْنِ عيْشِى بهــا   غَرامًا فَيا طُول أَحْزَانِيــهْ

---

(١) الذخيرة (ب ، ق ، لب) : «عبثت» .

حرف الهاء

٧٠

هجاء أبي عبد الله الفرضي

نالَتْ سُلَيْمان منه رِجْلُ مِن قَبْلُ ما أَرْجلَتْ أَبـاهُ

فاسْتَدْرجا كاشِفَى دُجاهُ يا ويْلَةَ المرْءِ ، ما دهاهُ !

يا سُخْطَ ربِّ العُلا عليْهِ إِذْ أَدَّتِ [1] المُرْتَضى يَداهُ

لم يُبْقِ مِن زُمْرَةِ المعالِي إِلاَّ هِشامَ العُلا أَخاهُ

يا ربِّ فاحْرُسْهُ لِي بعيْنٍ تَمْنَعُهُ الدَّهْرَ مِن أَذاهُ

---

(١) الذخيرة (ق) : « دهت »

٧١

فى رثاء بنية صغيرة

أَيُّهَا المُعْتَدُّ فى أَهْلِ النُّهَى لا تَذُبْ إِثْر فَقِيدٍ ولَهَـا

* * *

وإذا الأُسْدُ حمتْ أَغيالَهَـا لم يضُرَّ الخِيس صَرْعاتُ المهَا

وغَرِيبٌ يا ابْن أَقْمارِ العُـلا أَنْ يُراعَ البدْرُ مِن فَقْدِ السُّهَا

٧٢

غـــزل

وآلى (١) زُهَيْرُ الحُبِّ يا عزَّ أَنَّهُ إِذا ذَكَرتْهُ (٢) الذَّاكِراتُ أَتاهَـا

إِذا جرتِ الأَفْواهُ يوْمًا بذِكْرِها يُخَيَّلُ (٣) لِى أَنِّى أُقبِّلُ فاهَـا

فأَغْشَى دِيارَ الذَّاكِرِينَ وإِن نَأَتْ أَجارِعَ مِن دارِى هَوًى لهواهَـا

---

(١) الذخيرة : « والى » .

(٢) المغرب : « ذكرتك » .

(٣) المغرب : « تخيل » .

حرف الواو

٧٣

في الغــزل

مَن لا أُسمِّى ولا أَبُوحُ بـه   أَصْلَحَ بَيْنِى وبَيْنَ مَن أَهْـوَى
أَرْسَلْتُ مَن كابَدَ الهَوَى فدَرَى   كَيْفَ يُداوِى مواضِعَ البَلْـوَى
ولِى حُقُوقٌ فى الحُبِّ ظاهِرةٌ (١)   لَكِنَّ إِلْفِى يَعُدُّهـا دَعْوَى
يارَبِّ إنَّ الرَّسُـولَ أَحْسَنَ بى   يارَبِّ فاحْفَظْهُ من الأَسْوَا (٢)

---

(١) البدائع : « ثابتة » .
(٢) لم يقع هذا البيت إلا فى الذخيرة (ب ، ت ، ر ، لب) .

حرف الياء

٧٤

رثاء الكاتب أبي جعفر بن اللمائي

أَمِن جَنابِهِمُ النَّفْحُ الجَنُـوبِيُّ   أَسْرَى فصاكَ به فى الغَوْرِ غارِيُّ ؟
أَهْدَى إِلَيَّ ظَلاماً رَدْعَ نافِجَـةٍ   أَدْماءَ شَقَّ بها الدَّأْمـاءَ هِنْدِيُّ
واللَّيْلُ قد قامَ فى أَثْوابِ نادِبةٍ (١)   كأَنَّهُ فَوْقَ ظَهْرِ الأَرْضِ نُوبِيُّ
والنَّجْمُ تحْسَبُهُ قدّامَ تابِعِـهِ   حَمـامَةً رامَها فى الجَوِّ بازِيُّ
وجَدْوَلُ الأُفْقِ يَجْرِى فى مَنافِسِهِ   ماءٌ سَقى زَهْرَةَ الخَضْـراءِ فِضِّيُّ
فقُلْتُ والسُّقْمُ مَنْشُورٌ (٢) على جَسَدِى
يحْدُو الرَّدَى ورِداءُ العَيْشِ مَطْوِيُّ (٣)
أَهْدَى(٤) اللَّمائِيُّ مِن أَزْهارِ فِكْرَتِهِ
نَشْراً (٤) فقالَ الدُّجى : مَرَّ(٥) اللَّمائِيُّ
فقِيلَ : ماتَ ، فقالَ اللَّيْلُ قارِبَ ذا   فانْهَلَّ مِن مُقْلَتِى نَوْءٌ سِماكِيُّ

---

(١) الذخيرة (ب ، ق) ، المسالك : «نابية» .
(٢) الذخيرة (ق) : « مستور » .
(٣) هذا البيت ناقص فى المسالك .
(٤-٤) ن فى الذخيرة (ب) .
(٥) المسالك : «إبن» .

وبِتُّ فَرْدًا أُناجِي مُقْلَتِى شَغَفًا[1]

كَأَنَّنى [2] فى نُقُوبِ الدارِ جِنِّىُّ

لا عِشْتُ إنْ مُتَّ لِى يا واحِدِى أَبدًا ومَوْتُنـا واحِدٌ لاشَكَّ مرئِىُّ[3]

إِنَّ الكَرِيمَ[4] إذا ما ماتَ صاحِبُه

أَوْدَى بِهِ الوَجْدُ[4] وَالثُّكْلُ الطَّبِيعِىُّ

إِنْ مِتُّ قبلكَ لاتَعْجَبْ فذُو أَمَلٍ قد حُمَّ مِن دُونِه يَوْماً حِمَامِىُّ[5]

أَوْ مُتَّ قبْلِى فما[6] مَنْعاكَ لِى عَجَبٌ

إِنَّ الكَرِيمَ إِلى الأَصْحابِ مَنْعِىُّ

زادَ البلاءُ على نَفْسِى فَأَعْدَمَها صَبْرِى، فصَبْرِى عَلَيْكَ اليَوْمَ وحْشِى

حتى أَهمَّ بقتلى كُلَّ داجِيَـةٍ يا قَـوْمِ هل رامَ هذا قَبْلُ إِنسِىُّ؟

إِنِّى [7] إلى اللهِ مِن عُقْبَى بُلِيتُ بها

جَرَى بها الحُكْمُ [7] و الأَمْرُ الإِلٰهِىُّ

(١–١) ن فى الذخيرة (ب ، ق) .
(٢) المسالك : «مهجة شفقا» .
(٣) هذا البيت ناقص فى المسالك .
(٤) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، ت) .
(٥) الذخيرة (ق) : «ففى» .
(٦) هذا البيت ناقص فى الذخيرة (ب ، ت) .
(٧–٧) ن فى الذخيرة (ب ، ت) .

بيان رموز الأُصول

العنوان	المؤلف	الاختصارات
أعمال الأعلام	لسان الدين بن الخطيب	—
بدائع البدائه	ابن ظافر	البدائع
البديع في وصف الربيع	أبو الوليد الحميرى	البديع
بغية الملتمس	الضبي	البغية
جذوة المقتبس	الحميدى	الجذوة
خريدة القصر	عماد الدين الاصبهانى	الخريدة
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة	ابن بسام	الذخيرة
« (نسخة باريس)		ب
« (« أحمد تيمور)		ت
« (« جوتا)		ج
« (« الرباط)		ر
« (« القاهرة)		ق
« (« ليڤى بروفنسال)		ڤ
« (« مدريد)		م
رايات المبرزين	ابن سعيد	الرايات
عيون التواريخ	ابن شاكر	العيون
قلائد العقيان	ابن خاقان	القلائد
مسالك الأبصار	ابن فضل الله العمرى	المسالك
المطرب من أشعار أهل المغرب	ابن دحية	المطرب
مطمح الأنفس	ابن خاقان	المطمح
معجم الأدباء	ياقوت الرومى	المعجم
المغرب فى حلى المغرب	ابن سعيد	المغرب

العنوان	المؤلف	الاختصارات
نفح الطيب	المقرى	النفح
نفح الطيب (طبعة القاهرة الأولى)		طق ١
« « (« « الثانية)		طق ٢
« « (« ليدن)		طل
« « (نسخة أكسفورد)		أكس
« « (« باريس)		ب
« « (« جوتا)		ج
« « (« ليدن)		ل
« « (« المتحف البريطاني الأولى)		مب ١
« « (« « « الثانية)		مب ٢
وفيات الأعيان	ابن خلكان	الوفيات
يتيمة الدهر	الثعالبي	اليتيمة

فهرس الديوان

الرقم	العنوان	القافية	الصفحة
حـرف الهمزة			
	هجاء الفقهاء		
١	(من مديح هشام المعتد)	الأعـداء	٨١
٢	في مديح أبي مروان	نحـاءهـا	٨٢
حـرف الباء			
٣	في الفخر	عـابِ	٨٥
٤	مديح الوزير أبي القاسم الافليلي	الأحزابِ	٨٧
٥	وصف البرغوث	الثيـابْ	٨٧
٦	في الغـزل	تُسكَبُ	٨٨
٧	رثاء القاضي أبي حاتم بن ذكوان	كاذِبَا	٨٩
٨	في الحكمة	مَشْرَبِ	٩١
٩	غـزل	شنَبِ	٩١
١٠	مديح عبد العزيز المؤتمن	العتَبِ	٩٢
١١	وصف ساقية صغيرة	راتبْ	٩٤
١٢	هجاء الوزير أبي جعفر بن عباس	الخطابَهْ	٩٥
١٣	في الفخر	حبابُها	٩٥
حـرف الحاء			
١٤	في رثاء صالح	صالحِ	٩٦
حـرف الدال			
١٥	مديح أبي عامر بن المظفر	الأعيَادُ	٩٧
١٦	في الشكوى	جمـادِ	٩٧
١٧	أبيات في شاهد قبره	هُجُودُ	٩٨

الرقم	العنــــوان	القافية	الصفحة
١٨	فى السجن	فيُجيدُ	٩٩
١٩	فى مدح ممدوح غير معروف	أزْنَدا	١٠٢
٢٠	غــزل	عَنهْدا	١٠٥
حــرف الراء			
٢١	هجـاء كاتب غير معروف	رارُ	١٠٦
٢٢	فى رثاء حبيب	الغرير	١٠٦
٢٣	رسالة الى اخوانه فى علته	ذكَرُ	١٠٧
٢٤	فى مدح يحيي المعتلى	معشَرُ	١٠٧
٢٥	ختام رسالة	سِرُّ	١٠٩
٢٦	رثاء قرطبة	نَستَخبِرُ	١٠٩
٢٧	مديح أبي محمد بن حزم	مُضافِرِ	١١١
٢٨	فى رثاء نفسه	ناظــرِ	١١٣
٢٩	غــزل	بالنّاظــرِ	١١٤
٣٠	شكوى من أعدائه الى سليمان المستعين	الصّدْرِ	١١٤
٣١	فى الديــر	خُمُــورِه	١١٥
٣٢	مديح عبد العزيز المؤتمن	بغَــزيرِهِ	١٦١
حــرف السين			
٣٣	وصف الذئب	يتَنفّسُ	١١٩
٣٤	معارضة لامرىء القيس	العَسَسْ	١٢٠
حــرف الطاء			
٣٥	فى وصف الطبيعة	فاختَبَطا	١٢١
حــرف العين			
٣٦	فى مدح ممدوح غير معروف	سبــاعُ	١٢٣
٣٧	فى المجــون	داعى	١٢٤
٣٨	وصف الربيع « من مديح سليمان المستعين »	تطلّعِ	١٢٥
٣٩	وصف حمامه « عند زيارة أبي عامر بن المظفر »	وقعَــا	١٢٦

الرقم	العنوان	القافية	الصفحة
حـرف الفـاء			
٤٠	على باب اليهــود	تكْسَفَا	١٢٧
٤١	وصف الباقلاء « فى جنان القاضى أبي حاتم بن ذكوان »	صَدَفَا	١٢٧
حـرف القاف			
٤٢	وداع الإخــوان	سَبَّاقِ	١٢٩
٤٣	فى مدح يحيى المعتلى	أوْلَقُ	١٣٠
٤٤	مدح يحيى المعتلى « عند انتصاره على السودان بإشبيلية »	مُرْتَفِقَا	١٣١
٤٥	غـزل	يَعْشَقِ	١٣٢
٤٦	فى مدح سليمان المستعين	لَقِى	١٣٢
٤٧	رسالة الى أبي محمد بن حزم فى علته	لاحِقِ	١٣٣
٤٨	وصف الفرس	طَلْـقِ	١٣٥
٤٩	مديح يحيى المعتلى	دِهاقَهـا	١٣٦
حـرف اللام			
٥٠	هجاء أبي عبد الله الفرضى « من مديح سليمان ابن المرتضى »	رِجـالُ	١٣٨
٥١	وصف مجلس الإخوان	نَبيـلُ	١٣٩
٥٢	وصف الحرشف	زُنْبيـلِ	١٤٠
٥٣	فى وصف رحلة صيد	أسيلِ	١٤٠
٥٤	فى عتاب الزمان	صاهِلِ	١٤٢
٥٥	فى رثاء نفسه « وقد عزم على الانتحار »	قَتْلَهَا	١٤٥
٥٦	رسالة إلى الوزير أبي مروان بن إدريس الجزيرى	رَسائِلُهُ	١٤٦
حـرف الميم			
٥٧	فى رثاء الوزير حسان بن مالك	قَدِيمِى	١٤٧
٥٨	سلام إلى حبيبه فى علته	تَسْليمِ	١٤٩
٥٩	فى مدح ممدوح غير معروف	مُنْجِسِمُ	١٥٠
٦٠	وصف النحلة	وَهْمُ	١٥٠

الرقم	العنـــوان	القافية	الصفحة
٦١	شكوى إلى سليمان المستعين	النِّعَمِ	١٥١
٦٢	غـــزل	الظُّـلَمْ	١٥٢
٦٣	فى نية الهروب إلى مالقة	أراقمُ	١٥٣
٦٤	مديح عبد العزيز المؤتمن	الغَمـــائمْ	١٥٥
حـــرف النون			
٦٥	فى الفخـــر	إنْسانُ	١٦١
٦٦	زيارة ضيف فى الشتاء	تَلْتَطمانِ	١٦٣
٦٧	فى هجاء جعفر بن محمد بن فتح	الوَزِيرَينِ	١٦٤
٦٨	مديح عبد العزيز المؤتمن	هَمَـــلانِها	١٦٥
٦٩	حبه لقرطبـــة	الغانيَـــهْ	١٦٨
حـــرف الهاء			
٧٠	هجاء أبى عبد الله القرضى	أبــاهُ	١٦٩
٧١	فى رثاء بنية صغيرة	ولَهَـــا	١٧٠
٧٢	غـــزل	أتاهَـــا	١٧٠
حـــرف الواو			
٧٣	فى الغـــزل	أهْـــوَى	١٧١
حـــرف الياء			
٧٤	رثاء الكاتب أبى جعفر بن اللمائى	غاريٌّ	١٧٢

حواشي القصائد

(١)

المصادر : « الذخيرة » و « المغرب » (ج ١ ص ٨٥) . ويورد ابن بسام نص هذه القصيدة فى المجلد الثالث ، الفصل التاسع عشر ، أى خارج محيط الجزء الخاص بشعر ابن شهيد . ولقد أوردنا نص القصيدة عن مخطوطة جوتا (٢١٣٦ Perch ورق ١٤١ و ٢ ظ) ومخطوطة ليفى بروفنسال (ورق ٧٠ ظ — ٧١ و) ، وهى الآن فى معهد الدراسات الاسلامية فى اسبانيا ، وكذلك المخطوطة المدريدية (ورق ٩٥ و . ظ) فى الأكاديمية التاريخية الملكية (مجموعة جايانجوس ١٢) . وعند ابن سعيد نجد فقط البيتين الأول والثالث ، ولكن فى قراءة أحسن قليلا ، رغم أنه يخطىء فى وصف القصيدة فيقول إنها مرثية قيلت عند سقوط هشام المعتد (الثالث) وابن سعيد ينقل جزء القصيدة هذا عن كتاب يبدو محتملا جدا أن يكون هو كتاب « المسهب » من تأليف الحجارى . والبحر : الكامل . وتاريخ تأليفها عام ٤٢١ هـ (١٠٣١ م) . انظر المقدمة ص ٤٦ — ٤٧ . وكذلك دوزى : Histoire des musulmans ج ٢ ، ص ٣٤٠ . مارق : أى عبد الرحمن بن الخياط .

(٢)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢١٦) و « اليتيمة » (ج ٢ ص ٣١ — ٣٢) . ولعل الثعالبى نقل هذه القصيدة عن نفس المصدر الذى نقل عنه القصيدتين ٢٠ ، ٢٤ (انظر الحاشيتين) — البحر : الطويل . ولم نتمكن من التحقق من شخصية أبى مروان الذى يخاطبه شاعرنا بهذه القصيدة . فالدلائل فى متن القصيدة تدل على أنها كتبت فى تمام نضج ابن شهيد وعنفوان قواه الشعرية ، لذلك كان من غير المعقول أن تكون الاشارة هنا الى أبى مروان الجزيرى صديق طفولته ، أو الى أبى مروان والد الشاعر .

(٢)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢٠ — ٢٢١) و « المسالك » (ج ١١ ص ٢١٠) و « المغرب » (ج ١ ص ٨١) و « اليتيمة » (ج ٢ ص ٣٤) . وأما ابن سعيد (البيتان ٦ ، ٧ فقط) وابن فضل الله العمرى (الأبيات ٥ — ٧ فقط) فانهما ينقلان عن « الذخيرة » . ولربما كان المصدر الذى نقل عنه الثعالبى القصيدة ٢٠ والقصيدة ٢٤ ، هو الذى نقل عنه أيضا هذه القصيدة . — البحر : الخفيف . وتاريخ التأليف لابد سابق لأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) إذ هو منقول فى « الرسالة » ، فان أبا الطبع ، شيطان البحترى ، يسود وجهه غيرة حينما يلقى ابن شهيد هذه القصيدة إبان رحلته السماوية .

(٤)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ١٨٠) . — والبحر الخفيف . انظر المقدمة ص ٢٩ .

(٥)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ١٨٥ — ١٨٦) . — والبحر : الكامل . ولم نتمكن من تحديد تاريخ التأليف ولا اكتشاف الظروف التى قيلت فيها القصيدة .

(٦)

المصدر : « اليتيمة » (ج ٢ ص ٤٤) . ومن المحتمل أن المصدر الذى نقل عنه الثعالبى هذه القصيدة هو نفس مصدر القصيدتين ٢٠ ، ٢٤ — والبحر : الكامل . ولا شىء عن تاريخ تأليف القصيدة أو ظروف تأليفها .

(٧)

المصادر : « المطمح » (ص ١٩ — ٢٠) و « النفح » (ج ٤ ، ص ٣٣٢ — ٣٣٣) . وبالرغم من أن نص القصيدة التى يوردها المقرى أكمل وأحسن ، الا أنه من الواضح أنه ينقل النص عن « المطمح » . ومن الواضح أيضا أنه استعمل نسخة خطية أحسن مما لدينا الآن أو أحسن على الأقل من النسخة التى تم منها طبع ذلك الكتاب . — والبحر : الطويل . تاريخ تأليف القصيدة : عام ٤١٣ هـ (١٠٢٢ م) . انظر المقدمة (ص ٣٥) . وانظر كذلك بيريس La Poésie andalouse ص ٢٩٦ .

(٨)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٤٨ — ٢٤٩) وابن فضل الله العمرى : المسالك ، (ج ١١ ص ٢١٢) والعمرى ينقل عن « الذخيرة » — والبحر : الكامل وقد ألفت القصيدة فى تاريخ سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ . (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) ، اذ أنها وردت فى « الرسالة » .

(٩)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٦٥) . والبحر : الرمل . ولا شىء عن تاريخ التأليف أو ظروفه .

(١٠)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ١٧٨ — ١٧٩) و « المسالك » (ج ١١ ص ٢٠٩ — ٢١٠) . والعمرى ينقل عن « الذخيرة » — والبحر : الرمل . وتاريخ التأليف على الأرجح بعد سنة ٤١٢ هـ . (١٠٢١ م .) والقصيدة قيلت فى مدح المؤتمن . انظر بيريس La Poésie andalouse ص ٣٧٢ .

(١١)

المصادر : « البدائع » (ص ١٦٥) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٦٠) و « النفح » (ج ٤ ص ٢٢٨) و « المسالك » (ج ١١ ص ٢١٣) . و « الذخيرة » هى المصدر الرئيسى الذى أخذت عنه كل المصادر الأخرى . وابن بسام ينقل القصيدة عن نسخة خطية من يد ابن حيان . — والبحر : مخلع البسيط . وتاريخ التأليف سابق لعام ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) تقريبا . — انظر المقدمة ص ٤٦ .

(١٢)

المصادر : « البدائع » (ص ٤٣) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٦٢) و « النفح » (ج ٥ ص ١٤٦) . ولكن نص « البدائع » ونص « النفح » منقولان عن « الذخيرة » . — والبحر : المتقارب . والتاريخ : عام ٤٢٥ هـ (١٠٣٤ م) . — انظر المقدمة ص ٥٠ . ويقول ابن بسام أن فكرة البيت الثالث قد أخذها عن هذه القصيدة ابن زيدون (الديوان ، ص ٥٩٣) .

ويقول ابن بسام أيضا إن البيت الرابع يشبه فى مبناه شعرا لم يورد نصه لشاعر لم يمكن التحقق من شخصه ، ولكنه رغم ذلك يتضمن هذين البيتين للنابغة :

ياسائلى عن خالدٍ ، عهدى به	رَطْبُ العجانِ وكَفُّه كالجلمد
كالأقحوانِ غداةَ غبِّ سمائه	جَفَّتْ أعاليه وأسفله نَدِى

(١٣)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٤٦ — ٢٤٧) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٢) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨٣) . وابن سعيد والعمرى ينقلان البيتين الثالث والرابع فقط عن « الذخيرة » . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) ، إذ أن هذه القصيدة وردت فى « الرسالة » .

(١٤)

المصدر : « الخريدة » (ج ١٢ ، ورقة ٢٠٣ ظ) والنص الوحيد المفرد هو فى مخطوطة « باريس » . — البحر : الطويل . ولا شىء عن تاريخ التأليف وظروفه .

(١٥)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٥٧) و « المغرب » (ج ٢ ، ص ٨٤) . وابن سعيد ينقل النص من « الذخيرة » . — والبحر : الكامل . وتاريخ التأليف سابق لعام ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) تقريبا . انظر المقدمة ص ٤٦ .

(١٦)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢١٧ — ٢١٨) . والبحر : المتقارب . والتاريخ : سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ ﻫ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) ، إذ أن القصيدة وردت فى « الرسالة » .

(١٧)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٧) و « العيون » (ج ١١ ص ٣٥٧) و « القلائد » ص ١٥٣ ، و « النفح » (الجزء الثانى . الصفحات ١٦١ ، ١٦٢) . وأحسن النصوص النص الوارد فى « الذخيرة » وعنه نقل ابن شاكر . أما المقرى فهو ينقل عن « القلائد » . — والبحر : مخلع البسيط . وتاريخ التأليف ٤٢٦ ﻫ (١٠٣٥ م) . — انظر المقدمة (ص ٦٣) . انظر كذلك نيكل : Hispano - Arabic Poetry ص ١٠٤ . ويقول ابن بسام إن البيت الثانى فيه صدى لبيتى ابن المعتز (الديوان ، ص ٣٣٨) :

وسُكانِ دارٍ لا تَـزاوُرَ بَيْنَهُمْ على قُرْبِ بَعْضٍ فى المحَلَّةِ مِن بَعْضِ
كأَنَّ خواتيماً مِن الطِّينِ فوقهمْ فلَيْسَ لها حتى القِيامةِ مِن فَضِّ

ويضيف ابن بسام الى ذلك قوله إن الفكرة ربما أخذت عن بيت المعرى فى قصيدته فى رثاء أمه (« سقط الزند » ، ص ٤٠) :

سَأَلْتُ متى اللِّقاءُ ؟ فقِيلَ : حتى يقُومَ الهامِدُون مِن الرِّجَـــامِ

(١٨)

المصادر : « الذخيرة » (مرتين) و « المطمح » (ص ٢٠ — ٢١) و « النفح » (ج ٤ ص ٣٣٣ — ٣٣٤) . وأحسن نص ذلك الذى يورده « المطمح » وعنه نقل المقرى . وأول ظهورها كان فى « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢٥) حيث ورد فقط البيتان ٧ — ٨ و ١١ — ١٢ والشطر الأول . وثانى مرة ظهرت فيها ، كانت فى القسم الثانى (المخطوطة القاهرية — أدب ٢٣٤٧ — ص ٤٢ — ٤٣) حيث ورد فيها البيت الرابع عشر (وهذا البيت لم يظهر فى أى مصدر آخر) وكذلك البيت الخامس عشر . ونص القصيدة مطابق لمخطوطة اكسفورد ف ١٩ ، ر) انظر دوزى Historia Abbadidarum ج ١ ص ٣١٦ ، ٣٦٠ — ٣٦١ . — البحر : الطويل . والتاريخ : عام ٤٠٨ ﻫ (١٠١٧ م) تقريبا . — انظر المقدمة ، ص ٣٠ . وكذلك بيريس : La Poésie andalouse ص ٦٥ — ٦٦ .

(١٩)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤) و « العيون » (ج ١١ ص ٣٥٧) و « المسالك » (ج ١١ ص ٢٢٠ — ٢١١) و « المطمح » (ص ١٨) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨٢) و « النفح » (ثلاث مرات) ، و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣٤ — ٣٥) . والمصادر الرئيسية هى « الذخيرة » و « المطمح » و « اليتيمة » ،

وهى كلها يكمل بعضها البعض ، وعنها تنقل كل المصادر الستة الأخرى . والمقرى ينقل أولا (ج ٤ ، ص ٣٣١ — ٣٣٢) النص الوارد فى « المطمح » ، ثم ينقل (ج ٤ ، ص ٤٠٦ — ٤٠٧) عن « الذخيرة » ، ثم ينقل أخيرا (ج ٨ ص ١١١ — ١١٢) الأبيات ٢ — ٣ ، ١٢ ، ١٥ — ١٧ ، من كتاب من تأليف ابن ليون عنوانه « أنداء الديم » ، وهو كتاب ضاعت كل نسخه ، فلم يعد له اليوم وجود . وأما نص ابن سعيد (الأبيات ١ — ٣ ، ٦ — ١٠ ، ١٢ — ١٤ ، ١٦ — ١٧ فقط) ونص ابن شاكر (الأبيات ١ — ٣ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١١ على التوالى ، فقط) ونص العمرى (الأبيات ٢ — ٣ ، ٨ — ٩ ، ١٢ ، ١٤ — ١٧ فقط) فمن المحتمل أنها جميعا تنقل عن « الذخيرة » . ومن المحتمل كذلك أن الثعالبى استند فى نصه الى نفس المصدر الذى نقل عنه القصيدتين ٢٠ ، ٢٤ . — والبحر : الرمل . وتاريخ التأليف سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ ﻫ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) ، اذ أن القصيدة وردت فى « الرسالة » ، بل إنها جاءت لصاحبها بتقريظ شديد على لسان حسين الدنان ، شيطان أبى نواس ، عندما ألقى القصيدة ابان رحلته السماوية ، فصاح حسين الدنان قائلا : « لله أنت وان كان طبعك مخترعا منك » .

(٢٠)

المصدر : « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٤٤) . وقد سمعها الثعالبى من الشيخ أبى سعيد بن دوست نقلا عن الفقيه الوليد أبى بكر الأندلسى . — والبحر : الخفيف . ولا شىء عن تاريخ التأليف أو ظروفه .

(٢١)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٥٢) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨٣) . وابن سعيد ينقل البيت الثانى فقط من « الذخيرة » . — والبحر : البسيط . وتاريخ تأليفها سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ﻫ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) اذ جاء ذكر القصيدة فى « الرسالة » .

(٢٢)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢١١) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٠) و « المغرب » (ج ١ ص ٧٩ — ٨٠) . وابن سعيد ينقل البيتين ٣ — ٤ فقط عن « الذخيرة » وكذلك ينقل عنها العمرى . — والبحر : المتقارب . أما تاريخ التأليف فيبدو أن هذه القصيدة قد كتبت خصيصا لكى تكون فى الرسالة ، فلا بد أنها كتبت بين الأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ ﻫ (١٠٢٤ — ١٠٢٩ م) .

(٢٣)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٥) . — والبحر : البسيط . وتاريخ التأليف : ٤٢٥ — ٤٢٦ ﻫ (١٠٣٤ — ١٠٣٥ م) . انظر المقدمة ، ص ٥٤ .

(٢٤)

المصادر : « الخريدة » (ج ١٢ ، ورق ٢٠٣ و) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢١٣ — ٢١٤ ، ٢٤٦) و « الرايات » (ص ٤٣) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨١) « اليتيمة » (ج ١ ص ٣٠ — ٣١) .

وأحسن النصوص نص الثعالبي الذي سمعها من الشيخ أبي سعيد بن دوست عن الفقيه الوليد أبي بكر الأندلسي . أما « الذخيرة » فانها في المرتين لا تورد غير الشطر الأول والأبيات ٥ — ١٠ . أما النصوص الثلاثة الباقية فانها كلها تنقل عن « الذخيرة » ، فعماد الدين الأصبهاني ينقل الأبيات ٨ ، ١٠ — ١١ بيما ابن سعيد ينقل البيت الحادي عشر في « الرايات » وينقل الأبيات ٥ ، ٧ — ٨ ، ١٠ — ١١ في « المغرب » — البحر : الطويل . وتاريخ التأليف سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ ﻫ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) اذ جاءت في « الرسالة » . وقد قرظها في الرحلة السماوية عتيبة ، شيطان امرىء القيس (ص ٢٢١) . انظر المقدمة ، ص ٣٤ . و « الوشيج » في البيت الرابع الشجرة التي تصنعها من خشبها الرماح .

(٢٥)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ٢ ، ص ٦٤) و « النفح » (ج ٣ ص ٢٥٦) . والمقري يقر بأن « الذخيرة » مصدره . — والبحر : الطويل . وهذا البيت هو آخر بيت في قصيدة ضاعت بقيتها ، يخاطب فيها ابن شهيد صديقا آلمه منه بعض أفعاله ، مما دعا ذلك الصديق الى الاعتذار والتوبة .

(٢٦)

المصدر : « أعمال الأعلام » (ص ١٢٢ — ١٢٣) . ونص القصيدة في هذه الطبعة الصادرة عن مخطوطة « فاس » ، تطابق كلية نص القصيدة في مخطوطة « مدريد » (الأكاديمية التاريخية الملكية ، كوديرا ٣٧ ، ورق ١٨٧ظ — ١٨٨و) . — والبحر : الكامل . وتاريخ التأليف ٤٠٣ ﻫ (١٠١٣ م) . انظر المقدمة ص ٢١—٢٢ . وكذلك انظر بيريس : La Poésie andalouse ص ١٢٢ — ١٢٣ .

(٢٧)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٤٩ — ٢٥٠) . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : بين عام ٤٠٩ ﻫ (١٠١٩ م) وحوالي عام ٤٢٠ ﻫ (١٠٢٩ م) . انظر المقدمة ، ص ٣٢ . أما كلمة « السلمانية » في البيت الخامس ، فهي صفة تشير الى سلمان الفارسي الصحابي الجليل .

(٢٨)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٥ — ٢٨٦) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨٤) . وابن سعيد ينقل الأبيات ١ — ٤ ، ٦ — ٧ فقط من « الذخيرة » . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : من ٤٢٥ الى ٤٢٦ ﻫ (١٠٣٤ — ١٠٣٥ م) . انظر المقدمة ، ص ٥٢ .

(٢٩)

المصادر : « الجذوة » ص ١٢٦ و « البغية » (ص ١٨٠) و « المطرب » (ص ١٤٩) . والضبي ينقل عن « الجذوة » . ونصوص القصيدة كلها متطابقة . — وبحرها المتقارب . ولا شيء يذكر عن تاريخ التأليف أو ظروفه .

(٣٠)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٥٣) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٢) و « النفح » (ج ٤ ، ص ٤٠٣) . والعمرى ينقل عن « الذخيرة » الأبيات ١ — ٤ ، ٦ فقط ، وعنها أيضا ينقل المقرى . — والبحر : الطويل . وتاريخ تأليفها عام ٤٠٦ هـ (١٠١٥ م) تقريبا . انظر المقدمة ص ٢٧ .

(٣١)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٢٢) و « المطمح » (ص ١٩) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨١) و « النفح » (ج ٢ ، ص ٦٦ — ٦٧) . وابن سعيد ينقل الأبيات ١ — ٢ ، ٦ فقط من « الذخيرة » ، أما المقرى فينقل عن « المطمح » . — والبحر : الكامل . وتاريخ التأليف سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) اذ هى واردة فى « الرسالة » . انظر المقدمة ، ٢٦ . وكذلك بيريس La Poésie andalouse ص ٢٧٧ — ٢٧٨ ، وسيمونت Historia de los mozàrabes ، ص ٢٨٠ — ٢٨١ ، ٦٤٨ — ٦٤٩ .

(٣٢)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٧٦ — ١٧٧ ، ٢٤٨) . — والبحر : الكامل . وتاريخ التأليف بعد عام ٤١٢ هـ (١٠٢١) على الأرجح ، اذ أنها قيلت فى مدح المؤتمن . و « المنصور » المذكور فى البيت الواحد والعشرين هو أبو عامر محمد بن أبى عامر ، جد الممدوح ، و « الناصر » هو عبد الرحمن بن أبى عامر والد الممدوح .

(٣٣)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٣٧) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٢) و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣٧ — ٣٨) . والعمرى ينقل بالتتابع (١ ، ٣ ، ٢ ، ٤ ، ٥) عن « الذخيرة » . ولربما كان مصدر الثعالبى وهو يورد فقط نص البيتين ٤ — ٥ ، هو نفس مصدره فى القصيدتين ٢٠ ، ٢٤ . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) اذ وردت القصيدة فى « الرسالة » .

(٣٤)

المصادر : « الخريدة » (ج ١٢ ، ص ٢٠٢ ظ — ٢٠٣ و) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٤٥) و « الرايات » (ص ٤٢ — ٤٣) و « العيون » (ج ١١ ، ص ٣٥٤ — ٣٥٥) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢٠٧) و « المطرب » (ص ١٥٢) و « النفح » (ج ٤ ، ص ١٨٦ — ١٨٧) و « الوفيات » (ج ١ ، ص ٩٩) . وأحسن النصوص النص الوارد فى « الذخيرة » ، وعنه نقلت معظم المصادر الأخرى ان لم تكن كلها نصوصها . والمقرى يوردها خلال نصوص الكتاب الشهير « رسالة فى فضل الأندلس » من تأليف الشقندى . ولقد أعدنا ترتيب البيتين الأخيرين الى ما كانا عليه فى صورتهما الأولى بالتأكيد . — والبحر : المتقارب . وتاريخ التأليف سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩) اذ أنها وردت فى « الرسالة » انظر « نيكل Hispano-Arabic

Poerty ص ١٠٤ ، وغرسية‌غومس : Poemas aràbigoandaluces ، ص ١١٨ . والقصيدة تطوير فكرة جاءت عند امرىء القيس (الديوان ، ص ٣١) :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا   سُمُوَّ حَبَابِ المَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ

(٣٥)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٣٦ — ٢٣٧) و « النفح » (ج ٢ ، ص ١٥١ — ١٥٢) و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣٧) . وأكمل النصوص نص الثعالبي ، ويحتمل أن مصدره هنا هو نفس مصدره في القصيدتين ٢٠ ، ٢٤ . ويؤيد نص الثعالبي النص الوارد في « الذخيرة » . أما المقرى فهو ينقل النص الأخير من « الذخيرة » من جديد . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) إذ أنها وردت في « الرسالة » . انظر بيريس : La Poésie andalouse ، ص ٢٢٠ . أما « البرير » في البيت الخاص فهو باكورة ثمار الأراك .

(٣٦)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٤٣) و « العيون » (ج ١١ ، ص ٣٥٤) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢٠٧) و « المطرب » (ص ١٤٩) و « الوفيات » (ج ١ ، ص ٩٨ — ٩٩) ، وأحسن نص هو الوارد في « الذخيرة » ، أما المصادر الأربعة الأخرى فإنها تورد فقط البيتين الأول والثالث . — البحر : الطويل ، وتاريخ التأليف سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) إذ أنها وردت في « الرسالة » .

(٣٧)

المصادر : « البدائع » (ص ٢٠٢) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٢٥) و « المطمح » (ص ١٨) . وأما المصدران الأولان فالنصان فيهما يكمل بعضهما البعض . ومن العجيب أن أكمل النصوص هو النص الذى أورده ابن ظافر . وهناك بعض الاختلاف في ترتيب الأبيات ، أما نحن فقد فضلنا الترتيب المتبع في « الذخيرة » وأدمجنا فيه البيتين اللذين لم يردا في « الذخيرة » في المكان الذى جاءا فيه في النص الوارد في « المطمح » ، و « البدائع » ترتب الأبيات هكذا : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، و « الذخيرة » ترتبها ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٨ و « المطمح » يرتبها : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ . — والقصيدة بحرها المتقارب . وتاريخ تأليفها سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٦٥ — ١٠٢٩ م) إذ أنها وردت في « الرسالة » انظر المقدمة ، ص ٢٣ .

(٣٨)

المصدر : « البديع » (ص ٣٥ — ٣٦) . وهى نسخة فريدة في مخطوطة « الاسكوريال » (رقم ٣٥٣) . انظر اللوحة رقم (٢) فيما سبق . — البحر : الكامل . وتاريخ تأليفها : ٤٠٣ — ٤٠٥ هـ (١٠١٣ — ١٠١٥ م) انظر المقدمة ص ٢٢ .

(٣٩)

المصادر : « الخريدة » (ج ١٢ ، ورق ٢٠٣ و) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٥٧) . والنص فى المصدر الأول الذى يورد فقط الأبيات ٥ – ٦ ، مأخوذ من المصدر الثانى — والبحر : البسيط ، وتاريخ التأليف سابق لعام ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) تقريبا . انظر المقدمة ، ص ٤٦ .

(٤٠)

المصادر : « القلائد » (ص ١٥٣) و « النفح » (ج ١ ص ١٤٨ ، ج ٢ ، ص ١٦١) . والمقرى فى أول مرة ينقل النص عن « القلائد » ، وفى المرة الثانية ينقل عن مصدر لم يمكن التحقق منه . — البحر : المتقارب . — انظر « المقدمة » ، ص ٥٩ .

(٤١)

المصادر : « البدائع » (ص ١٥٦) و « البديع » (ص ١٦٥ – ١٦٦) و « الذخيرة » (قسم ٤ مجلد ١ ، ص ٢٨ – ٢٩) و « النفح » (ج ٤ ، ص ٢٢٨) . وأحسن النصوص النص الوارد فى « الذخيرة » . ويعترف المقرى وابن ظافر بأنهما أخذا عنه . أما النص الوارد فى « البديع » فهو مستقل تماما عن المصادر الأخرى . — والبحر : المنسرح . وتاريخ تأليفها سابق لعام ٤١٣ هـ (١٠٢٢ م) . انظر المقدمة ، ص ٣٦ . وانظر بيريس La Poésie andalouse ص ١٩٥

(٤٢)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٦ – ٢٨٧) و « العيون » (ج ١١ ، ص ٣٦١ – ٣٦٢) . أما ابن شاكر فهو ينقل عن « الذخيرة » . — والبحر : البسيط . وتاريخ التأليف : عام ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) . انظر المقدمة ، ص ٥٤ .

(٤٣)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤) . والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : ٤١٤ – ٤١٦ هـ (١٠٢٤ – ١٠٢٥ م) . انظر المقدمة ، ص ٤٢ ، و « الخورنق » فى البيت الثالث قصر فى الحيرة قضى النعمان ابن امرئ القيس ستين سنة فى بنائه . والصورة فى البيت الأخير مسروقة . انظر المتنبى (الديوان : ص ٣٧٩) :

إذا زَلَقَتْ مشَّيْتَها بِبُطُونِها   كما تتمشَّى بالصَّعيـدِ الأَراقِمُ

(٤٤)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٦٨ – ٢٧٧) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٥٤) . أما ابن سعيد فهو يورد البيت العاشر فقط ، وينقله عن « الذخيرة » . — والبحر : البسيط ، وتاريخ التأليف : عام ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) . انظر المقدمة ، ص ٣٧ ، و « النهر » فى البيت السابع هو نهر الوادى الكبير ، ويقول ابن بسام إن الشطر الثانى من البيت السادس يشابه بيتى شاعر لم يذكره هو على وجه التحقيق ، ولكنه فى الواقع أبو العلاء (« سقط الزند » ص ٩٦) ، حيث يقول :

وعلى الأُفْقِ مِن دِماءِ الشَّهِيدَيْـ ـنِ : علىّ ونَجْلِه شـاهِدان

فهُما فى أَواخِرِ اللَّيْـلِ فَجْرا ـنِ وفى أُولَيـاتِه شَفَقان

(٤٥)

المصادر : « البدائع » (ص ٤٣) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٦٢) و « العيون » (ج ١١ ، ص ٣٥٨) و « النفح » (ج ٧ ، ص ١٤٥) . والمصادر الثانوية الثلاثة كلها تنقل عن النص الوارد فى « الذخيرة » . — والبحر : الكامل . وتاريخ التأليف : ٤٢٥ هـ (١٠٣٤ م) انظر المقدمة ، ص ٥٠ .

(٤٦)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٧٤) . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : ٤٠٣ — ٤٠٦ هـ (١٠١٣ — ١٠١٦ م) . انظر المقدمة ، ص ٢٢ . وكلمة « عبشمية » فى البيت السابع ، صفة من « عبد شمس » ، وهم بنو أمية . ويقول ابن بسام إن البيت الثانى يشير إلى بيت شعر لابن هانىء (لم يرد فى ديوانه) ، يقول فيه :

لاتسألنى عن اللَّيالِى المواضِى وَأَجِـرْنى مِن اللَّيـالِى البواقِى

بينما البيت الأخير فيه أصداء من شعر المتنبى (الديوان : ص ٣١٢) :

ولمَّا رأَيْتُ النَّاسَ دُونَ محلِّه تيقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ للنَّاسِ ناقِدُ

(٤٧)

المصادر : « الجذوة » (ص ١٢٤ — ١٢٥) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٢ — ٢٨٢) و « العيون » (ج ١١ ، ص ٣٥٩ — ٣٦٠) و « المطمح » (ص ٢١ — ٢٢) و « المغرب » (ج ١ ص ٨٤) و « النفح » (٤ ، ص ٣٣٤ — ٣٣٥) . أما النصان الواردان فى « الذخيرة » و « الجذوة » فهما يكملان بعضهما البعض . وقد نقل ابن بسام نصه مباشرة من القصة التى رواها ودونها ابن حزم نفسه عن الحادثة ، وسمعها منه الحميدى . وأما ابن شاكر فهو ينقل الأبيات ١ — ٦ ، ٨ ، ١٢ فقط من « الذخيرة » . وأما المقرى فهو ينقل عن « المطمح » نص القصيدة التى يبدو أنها بدورها نقلت من « الجذوة » . أما ابن سعيد فهو ينقل البيت الرابع فقط من « الذخيرة » . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : عام ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) . انظر المقدمة ، ص ٥٦ — ٥٨ . وانظر أيضاً غرسية غومس El collar de la Paloma ص ٦٣ ، و Poesia aràbigoandaluza ص ٩ ، وبيريس La Poesie andalouse ص ٤٦٨ . ويبدو أن ابن قزمان يقلد الأبيات ٨ — ١٢ فى الفقرة الشعرية السادسة من الزجل التسعين (Cancionero ص ٢١٥) :

ويُقِيم صاحِى سَوْثُمَّ كُلْ وَدُودْ

واذْ كُرُونى علَيْه قِيامْ وقُعُودْ

والعِنَبِ كُلٌّ مَن أَكَلْ عَنْقُودْ

فَيغَرَّسْ فى قَـبْرِى العَرْجُونْ

(٤٨)

المصدر : « الخريدة » (ج ١٢ ، ورقة ٢٠٣ و) . والنص الفريد المحفوظ فى مخطوطة « باريس » . — والبحر : الكامل . ولا شىء عن التاريخ أو ظروف التأليف .

(٤٩)

المصادر : « الخريدة » (ج ١٢ ، ورقة ٢٠٣ ظ) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢١٧ ، ٢٤٨) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٠) و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣٣) . والنص الذى حققناه ونورده هنا مزاج من النص الذى ورد فى « الذخيرة » والنص الوارد فى « اليتيمة » . وبالرغم من أن القطعتين المبتسرتين اللتين أوردهما ابن بسام لا صلة ظاهرة لهما بأى مصدر آخر ، وليس فيهما أبيات مشتركة مع أبيات أى مصدر آخر ، إلا أن وحدة الموضوع والفكرة والبحر والقافية تبين أنهما جزءان من هذه القصيدة . ومن المحتمل أن الثعالبى قد أخذ نصه من نفس المصدر الذى أخذ عنه القصيدتين ٢٠ ، ٢٤ (انظر الحاشيتين) . أما العمرى فهو ينقل البيتين الرابع والخامس فقط من « الذخيرة » (فى موضعها الثانى) . أما عماد الدين الأصبهانى فهو ينقل الأبيات ١١ ، ١٤ ، ١٧ فقط من مصدر غير معروف . — والبحر : الكامل . وتاريخ التأليف : من المحتمل أن القصيدة كتبت عندما كان الشاعر منفياً فى مالقة فى الأعوام ٤١٤ — ٤١٦ هـ (١٠٢٤ — ١٠٢٥ م) .

(٥٠)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٨٨) والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : عام ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) . انظر المقدمة ، ص ٣٩ . و « سليمان » فى البيت الأول ، هو أبو أيوب سليمان بن المرتضى ، أما « ابن ذكوان » فمن المحتمل جداً أن يكون أبا بكر بن ذكوان ، ابن القاضى الشهير . أما «أبو عمران» المشار إليه فى البيت الثالث فهو صديق لسليمان .

(٥١)

المصادر : « البدائع » (ص ١٦٦) و « الذخيرة » (قسم ٤ مجلد ١ ، ص ٢٧) و« النفح » (ج ٤ ، ص ٢٢٩) وأما ابن ظافر والمقرى ، فهما يعترفان بأن المصدر الذى استقيا منه نصيهما ، هو كتاب « الذخيرة » . — والبحر : الرجز . والأمر أن بعضهم تحدى ابن شهيد يوماً من الأيام فى جمع من الأصحاب أن يصف المجلس حيث كانوا ، فجاء ابن شهيد فى وصفه بالعجب ، فذكر الأبواب وهى تقفل فتقرص أقدام الداخلين ، وذكر البساط الأحمر على الأرض ، وذكر الأحذية وطرف كل حذاء مستقر على حافة البساط ، وكل ذلك فى غموض ماكر مفتاح سره فى الأبيات الأولى .

(٥٢)

المصادر : « البدائع » (ص ١٦٦) و « الذخيرة » (قسم ٤ مجلد ١ ، ص ٢٨) و « النفح » (ج ٤ ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠) . وأما ابن ظافر والمقرى فكلاهما يقر بأنه ينقل النص عن « الذخيرة » . — والبحر : الرجز . — انظر بيريس La Poésie andalouse ص ١٩٥ . وأمر هذه القصيدة أن ابن شهيد كان وصاحب له راكبين الخيل يوماً فمرا على حانوت بعض معارفه الطرائفيين ، وبين يديه رامسنة جميلة فى زنبيل ملآن حرشفا ، فجعل يده فى لجام دابة ابن شهيد وقال له : صف هذا أبا عامر ، فإن صاعداً رام وصف ذلك لابن أبى عامر ، فلم يأت بشىء غير ذكر الحرشف . فقال ابن شهيد (هذه القصيدة) ، وهو على ظهر دابته . وقد يكون من المناسب والأسهل أن نغير « حرشف » إلى « خرشوف » ، ولعل هذا بالإضافة إلى المعركة الصاخبة التى دارت حول هجاء هذه الكلمة وموقعها الأساسى فى القصيدة . انظر مثلا بيريس (La poésie andalouse ص ١٩٥) ، وغرسية غومس فى الجزء الرابع (ص٣٠٩) من مجلة « الأندلس » (سنة ١٩٣٩) ، ونيكل : Hispano — Arabic Poetry ص ٣١٢ هو الذى دعانى إلى أن لا أحاول إجراء أية تعديلات أو تبديل فى قراءة الأصل . ولعل هذا مثل من التصحيف ، وهو خطأ فى الهجاء متعمد ، كثيراً ما يلجأ إليه بعض شعراء العربية .

(٥٣)

المصادر : « الذخيرة » ، قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢١٤ — ٢١٥ ، و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣١) . والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) ، إذ أن القصيدة وردت فى وفيها يحظى ابن شهيد بالتقريظ الشديد من عنتر بن العيلان ، شيطان طرفة بن العبد الشاعر الجاهلى . أما « الرسالة » الجوذان فى البيت التاسع فمعناه « النيلوفر » .

(٥٤)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٢٧ — ٢٢٨) و « الرايات » (ص ٤٣) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨٢ — ٨٣) و « المسالك » (ج ١١ ، ٢١١) و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣١) والمصدران الأخيران يكملان بعضهما البعض . أما ابن سعيد وهو يورد البيتين التاسع والثانى عشر فقط ، والعمرى وهو يورد الأبيات ٦ — ٧ ، ١٠ — ١٤ فقط ، فإنهما ينقلان عن « الذخيرة » . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : سابق للأعوام ٤١٦ — ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ — ١٠٢٩ م) إذ أن القصيدة وردت فى « الرسالة » ، وفيها يلقى ابن شهيد هذه القصيدة على أسماع حارثة بن المغلس ، شيطان المتنبى . انظر : غرسية غومس : Poemas aràbigoandaluces ص ١١٩ أما « الثرثار » فى البيت الثالث ، فهو واد عظيم فى جزيرة العرب موقعه بين سنجار وتكريت ، حيث كانت منازل بكر ابن وائل ، التى كانت تحتل معظمها قبيلة تغلب . أما يوم المرج المذكور فى البيت الخامس فلعله يعنى به وقعة مرج راهط فى الشام ، وكان الوضاح جد بنى شهيد فيه مع الضحاك بن قيس (انظر ابن الأبار : الحلة ، نشر الدكتور حسين مؤنس ج ١ ص ٢٣٨) .

(٥٥)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٢) . — والبحر : الطويل . وتاريخ التأليف : عام ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ م) . انظر المقدمة ص ٥٥ . وانظر كذلك بيريس La poésie andalouse ص ٤٦٧ — ٤٦٨ .

(٥٦)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٨٤ — ١٨٥) . البحر : البسيط . وتاريخ التأليف لا يمكن أن يكون لاحقا لعام ٣٩٤ هـ . (١٠٠٣ م .) انظر المقدمة ص ١٤ — ١٥ .

(٥٧)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ٢ ، ص ٢١٨ — ٢١٩) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٠) ، و « المطمح » (ص ٢٧ — ٢٨) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨١) و « النفح » (ج ٥ ، ص ٩١) و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣٣ — ٣٤) . ونصوص « الذخيرة و « المطمح » و « اليتيمة » نصوص تكمل بعضها البعض ومن « الذخيرة » ينقل ابن سعيد حين يورد البيتين الأول والرابع فقط ، ومنها أيضا ينقل العمرى الأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ فقط في ذلك الترتيب ، أما الثعالبى فينقل نصه عن « المطمح » . — والبحر : الطويل وتاريخ التأليف : عام ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م) ، انظر المقدمة ص ٤٣ — ٤٤ .

(٥٨)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٤ — ٢٨٥) . والبحر : البسيط ، وتاريخ التأليف : ٤٢٥ — ٤٢٦ هـ (١٠٣٥ — ١٠٣٦ م) ، انظر المقدمة ص ٥٤

(٥٩)

المصدر : « الخريدة » (ج ١٢ ، ورقة ٢٠٢ ظ) . والنسخة الوحيدة الباقية هى فى مخطوطة « باريس » . — والبحر : الكامل ، ولا شيء عن تاريخ التأليف أو ظروفه ، و « الدهنا » فى البيت الأول صحراء فى الربع الخالى .

(٦٠)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ ، ص ١٨٥) . — والبحر : الطويل . ولا شيء عن تاريخ التأليف أو ظروفه .

(٦١)

المصادر : « البغية » (ص ١٧٩ — ١٨٠) و « الجذوة » (ص ١٢٦) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٥٠ — ١٨٠) و « الجذوة » (ص ١٢٦) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٥٠ — ٢٥١) و « المطرب (ص ١٦٠) و « المطمح » (ص ١٧) و « المعجم » (ج ٣ ، ٢٢٣) ، و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨٣) و « النفح » (ج ٢ ص ١٥١ ، ج ٤ ، ص ٤٠٨) . والنص الوحيد الكامل هو الوارد فى « الذخيرة » ، ومنها ينقل ابن سعيد البيتين الأول والثانى . أما الباقون فانهم جميعا ينقلون البيتين السادس والسابع فقط ، فالمقرى ينقلهما أول مرة من « المطمح » ، وينقلهما جاذيا حذو « الجذوة » التى يعتمد عليها بتصرف بقليل كل من الضبى وابن دحية وياقوت . والبحر : البسيط . ولابد أن القصيدة ألفت عام ٤٠٥ هـ (١٠١٦ م) أو قبلها بقليل . انظر المقدمة ص ٢٧ وانظر كذلك نيكل : Hispano—Arabic Poetry ص ١٠٤ وبيريس : La poésie andalouse ص ٤٠٩ . أما « سهيل » فى البيت التاسع ، فهو قصر وواد بالقرب من مالقة يسمى اليوم فوينخيرولا Fuengirola ، وأما « نيطة » فى البيت الثانى عشر فمعناها موضع مرتفع عن الماء .

(٦٢)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٠ — ٢٨١) . والبحر : المتقارب . وتاريخ التأليف : ٤٢٥ — ٤٢٦ ﻫ (١٠٣٥ — ١٠٣٦ م) . انظر المقدمة ص ٥٣ .

(٦٣)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٧٥ — ٢٧٦) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨٤) و « النفح » (ج ٤ ، ص ٤٠٣) . وابن سعيد يتمثل البيتين السادس عشر والسابع عشر فقط من « الذخيرة » ، ومنها أيضا ينقل المقرى . — البحر : الطويل . وتاريخ التأليف : ٤١٤ ﻫ (١٠٢٤ م) . انظر المقدمة ص ٤١ . ويقول ابن بسام إن معنى الأبيات الأخيرة من القصيدة مأخوذ عن الرمادى :

وَلَمْ أَرَ أَحْلَى مِنْ تَبَسُّمِ أَعْيُنٍ غَدَاةَ النَّوَى عَنْ لُؤْلُؤٍ كانَ كامِنَا

ويقول إن الرمادى بدوره استوحى البيت من قول ابن عبد ربه :

وكأنّما غاصَ الأَسَى بجُفُونِها حتى أتاكَ بلُؤلُؤٍ منثـــــور

(٦٤)

المصادر : « البديع » (ص ١٥ — ١٦) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٦٧ — ١٦١) و « العيون » (ج ١١ ، ص ٣٥٥ — ٣٥٦) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢٠٧ — ٢٠٩) و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣٨) . والقصيدة طويلة جدا ، ولعل ذلك هو السبب فى أنها لم تأت كاملة فى أى مصدر من هذه المصادر . ولكن أكمل نص وارد فى « الذخيرة » . وما أتى من النص فى « البديع » ، وهى الأبيات ٨ — ١١ ، ١٥ — ١٧ فقط ، مستقل تماما عن النص الوارد فى « الذخيرة » ، وكذلك النص الوارد فى « اليتيمة » ، وهى الأبيات ٣٧ — ٣٨ ، ٤١ — ٤٥ فقط ، أيضا مستقل عن نص « الذخيرة » . ومن « الذخيرة » ينقل العمرى الأبيات ١ — ٣ ، ٦ — ٧ ، ١٢ — ١٣ ، ١٦ ، ٢١ — ٢٤ ، ٢٧ — ٢٨ ، ٣٥ — ٤٠ ، ٤٣ — ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ومن « الذخيرة » أيضا ينقل ابن شاكر الأبيات ٢ — ٣ ، ١٢ — ١٤ ، ١٧ ، ١٩ — ٢٨ . — والبحر : مجزوء الكامل . وتاريخ التأليف : عام ٣٩٩ ﻫ (١٠٠٩ م) أو بعده بقليل . — انظر المقدمة ص ١٩ و « عاصم » فى البيت الأول ، مكان فى منازل هذيل ، و « لقيط » فى البيت الثامن عشر ، هو لقيط بن يعمر . أما فى البيت الرابع والثلاثين فقد فضلنا أن نقرأ كلمة « أخذى » (بمعنى ء ناعوظ » أو « دواء مقو للباه ») بدلا من « أخذ ني » كما فعل الناشرون لكتاب « الذخيرة » . أما « ابن المجد » المشار اليه فى البيت الستين فهو عبد الرحمن الناصر (شنجول) .

(٦٥)

المصادر : « البغية » (ص ١٧٩ — ١٨٠) و « الجذوة » (ص ١٢٥ — ١٢٦) و « المعجم » (ج ٣ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ و « المطمح » ص ١٧ و « النفح » (ج ٢ ، ١٥٠) . ولعل فى اتفاق هذه القطع الثلاث التى يوردها الحميدى فى القافية والبحر والموضوع ، ما يثبت أنها كلها أجزاء من قصيدة واحدة . وأما الضبى فينقلها عن « الجذوة » . وأما

ابن خاقان فهو يورد البيتين الحادى عشر والثانى عشر ، مستقلا عن هؤلاء . وعنه ينقلهما المقرى . وأما ياقوت فهو يورد الأبيات ١ ـ ٤ .

والبحر : البسيط . ولا شيء عن تاريخ التأليف أوظروفه . انظر بيريس: La poésie andalouse ص ٤٦٧

(٦٦)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧) و « النفح » (ج ٤ ، ص ٤٠٤) . والمقرى ينقل الأبيات ١٠ ، ١٣ ، ١٤ فقط من « الذخيرة » ـ والبحر : الطويل . ـ ولاشيء عن تاريخ التأليف أوظروفه .
ويقول ابن بسام إن البيت الثانى يشبه بيتين لشاعر من معاصريه يصف الثلج :

وأَتْرَعَ الوَهْدَ مِن أَزْبادِ لُجّتِهِ بالبرسِ بَنْبُتُ بَيْنَ القَوْسِ والوتَرِ
فالأَرْضُ مَلْساءُ لا أَمْتٌ ولاعِوَجٌ كنُقْطةٍ مِن سرابِ القاعِ لم تَمُرِ

ويضيف ابن بسام إلى ذلك أن البيت الأخير يشبه قول حبيب :

فراحَ فى ثَنَـائِى ورُحْتُ فى ثِيابِهْ

(٦٧)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٧١ ـ ١٨٢) والبحر : السريع . انظر المقدمة ، ص ٣٥ .

(٦٨)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ ، ٢٢٨) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢٠٩) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٧٩) و « اليتيمة » (ج ٢ ، ص ٣٦ ـ ٣٧) . والنص الوارد فى الموضع الأول من « الذخيرة » والنص الوارد فى « اليتيمة » يكملان بعضهما البعض . والشطر الأول من البيت الأول فقط هو الذى ورد فى « الرسالة » . ومن المحتمل أن مصدر الثعالبى هنا هو نفس مصدره فى القصيدتين ٢٠ ، ٢٤ (انظر الحاشيتين) . أما ابن سعيد فهو ينقل البيتين ١٦ ـ ١٧ فقط من « الذخيرة » وكذلك ينقل عنها العمرى الأبيات ١٦ ـ ١٨ . ـ والبحر : الكامل . وتاريخ التأليف : على الأرجح لاحق لسنة ٤١٢ هـ . (١٠٢١ م .) ، إذ أن القصيدة قيلت فى مدح المؤتمن وهذه القصيدة فى « الرسالة » أكسبت صاحبها ابن شهيد تقريظ حارثة بن المغلس ، شيطان المتنبى . (انظر المقدمة ، ص ١٩) . و « العامرية » المذكورة فى البيت العشرين هى قصر المنصور قريب من قرطبة ، و « زاهرة الملوك » فى البيت الخامس والعشرين قصر آخر للمنصور أيضا قريب من نفس العاصمة وأما « ذؤبان » الواردة فى البيت الثامن والثلاثين فإنه يعنى بهم ذؤبان العرب وهم الصعاليك من شعراء الجاهلية .

(٦٩)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ١٧٥) . والبحر : المتقارب . وتاريخ التأليف : عام ٣٩٩ هـ (١٠٠٩ م) أو بعد ذلك بقليل . انظر المقدمة ، ص ٢٠ . وقونكة Cuenca ودانية Denia مدينتان فى شرق الأندلس .

(٧٠)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص١٨٨) . ــ والبحر : مخلع البسيط . وتاريخ التأليف ما بين دخول هشام المؤيد الثانى إلى قرطبة ، وبين خلعه عن العرش (٤٢٠ ــ ٤٢٢ هـ : ١٠٢٩ ــ ١٠٣١ م) . انظر المقدمة ص٣٩ .

(٧١)

المصدر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٢٤) . ــ والبحر : الرمل . وتاريخ التأليف : سابق للأعوام ٤١٦ ــ ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ ــ ١٠٢٩ م) . إذ أنها وردت فى « الرسالة » .

(٧٢)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢١٢) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٠) و « المغرب » (ج ١ ، ص ٨٠) ، أما ابن سعيد والعمرى (البيتين الثانى والثالث فقط) فهما ينقلان عن « الذخيرة » . ــ البحر : الطويل . ومن المحتمل أن يكون تاريخ تأليف القصيدة خلال الأعوام ٤١٦ ــ ٤٢٠ هـ (١٠٢٥ ــ ١٠٢٩ م) اذ يظهر أنها كتبت خصيصا « الرسالة » .

(٧٣)

المصادر : « البدائع » (ص ٢٠١) و « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٠) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٣) ويقر ابن ظافر بأن « الذخيرة » مصدره وكذلك ينقل العمرى البيتين الأول والثانى فقط من « الذخيرة » . ــ والبحر : المنسرح وتاريخ التأليف : ٤٢٥ هـ (١٠٣٤ م) . انظر المقدمة ، ص ٥٢ ــ ٥٣ .

(٧٤)

المصادر : « الذخيرة » (قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٣ ــ ٢٨٤) و « المسالك » (ج ١١ ، ص ٢١٣) . أما العمرى فهو ينقل الأبيات ١ ــ ٥ ، ٧ ــ ٩ ، ١١ ، ١٣ فقط من « الذخيرة » . ــ والبحر : البسيط . وتاريخ التأليف : ٤٢٥ ــ ٤٢٦ هـ (١٠٣٤ ــ ١٠٣٥ م) . انظر المقدمة ، ص ٥٣ ، ٥٦ .

المَلاحق

ملحق (١)

من شعر أبى مروان عبد الملك بن شهيد

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا فحِسِبْناهُ لَبِيبَا
والتَقَيْنَا فَرَأَيْنا هُ بَعِيدًا وقَرِيبَا

(« الذخيرة » قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٥١ ؛ « الحلة » — دوزى ص ١٢٩)

أَما تَرى برد يَوْمنا هذا صَيَّرَنا لِلكُمُون أَفْذاذَا
قد فُطِرَتْ صِحَّةُ الكُبُودِ به حَتَّى لَكادَتْ تَعُودُ أَفْلاذَا
فادْعُ بنا للشَّمول مُصْطليا نُغِذَّ سيرًا إِلَيْك إِغْذاذَا
وادْعُ المُسَمَّى بها وصاحِبَهُ تَدْعُ نَبِيلًا وتَدْعُ أُسْتاذَا
ولا تبالى أَبا العلاءِ زَها بخَمْرِ قُطْرُبُّلٍ وكَلواذَا
ما دامَ مِن أَرْمِلاط مشرُبُنا دَعْ دَيْر غُمَّى وطِيرَ نابَاذَا

(« النفح » ج ٤ ، ص ٢٤٣)

أَقْصَرْتَ عن شأْوِى فعادَيْتَنِى أَقصِرْ فلَيْسَ الجَهْل مِن شانى
إِنْ كان قد أَغْناك ما تحْتوى بُخْلًا فإِنَّ الجُودَ أَغْنانِى

(« الجذوة » ص ٢٦١ ؛ « الصلة » ج ١ ، ص ٣٥٠)

ملحق (ب)

نهب قرطبة

ولقد أخبرني بعض الورّاد من قرطبة ، وقد استخبرته عنها ، أنه رأى دورنا ببلاط مغيث ، في الجانب الغربي منها وقد امّحت رسومها وطمست أعلامها ، وخفيت معاهدها ، وغيّرها البلى وصارت صحاري مجدبة بعد العمران ، وفيافي موحشة بعد الأنس ، وخرائب منقطعة بعد الحسن ، وشعابا مفزعة بعد الأمن ، ومأوى للذئاب ، ومعازف للغيلان ، وملاعب للجان ، ومكامن للوحوش ، بعد رجال كالليوث ، وخرائد كالدمى تفيض لديهم النعم الفاشية . تبدد شملهم فصاروا في البلاد أيادي سبأ ، فكأن تلك المحاريب المنمّقة ، والمقاصير المزيّنة التي كانت تشرق اشراق الشمس ، ويجاو الهموم حسن منظرها ، حيث شملها الخراب ، وعمّها الهدم ، كأفواه السباع فاغرة ، تؤذن بفناء الدنيا وتريك عواقب أهلها ، تخبرك عمّا يصير اليه كل من تراه قائما فيها ، وتزهد في طابها بعد أن طالما زهدت في تركها ، وتذكرت أيامي بها ولذاتي فيها ومشهور صباي لديها ، مع كواعب الى مثلهن صبا الحليم ، ومثّلت لنفسي كونهن تحت الثرى وفي الآثار النائية والنواحي البعيدة وقد فرّقتهن يد الجلاء ، ومزقتهن أكف النوى ، وخيّل الى بصرى بقاء تلك النصبة بعد ما علمته من حسنها وغضارتها ، والمراتب المحكمة التي نشأت فيها لديها ، وخلاء تلك الأفنية بعد تضايقها بأهلها ، وأوهمت سمعي صوت الصدى والهام عليها ، بعد حركة تلك الجماعات التي ربّيت بينهم فيها . وكان ليلها تبعا لنهارها في انتشار ساكنها والتقاء عمارها ، فعاد نهارها تبعا لليلها في الهدوء والاستيحاش ، فأبكى عيني ، وأوجع قلبي وقرع صفاة كبدي ، وزاد في بلاء لبي ، فقلت شعرا ، منه :

وَإِن كَانَ أَظْمَانَا فَقَدْ طَالَمَا سَقَى
وَإِنْ سَاءَنَا فِيهَـا فَقَدْ طَالَمَا سَرَّا

(« الطوق » ص ٩٤)

ملحق (ج)

الأخلاق في الكنائس الأندلسية

يجب أن يمنع النساء المسلمات من دخول الكنائس المشنوعة فان القسيسين فسقة زناة لوطة . يجب أن يمنع الافرنجيات من الدخول في الكنيسة الا في يوم فضل أو عيد فانهن يأكلن ويشربن ويزنين مع القسيسين وما منهم واحد الا وعنده منهن اثنتان أو أكثر يبيت معهن وقد صار هذا عرفا عندهم لأنهم حرّموا الحلال واستحلّوا الحـرام .

Journal Asiatique في Le Traité d'Ibu 'Abdun جزء ٢٢٤
(إبريل إلى يونيو ١٩٣٤) ، ص ٢٣٩

ملحق (د)

وصف أبى عامر بن المظفر

وأما من تزيّا باسم الحب وهو ملول فليس منهم ، وحقّه ألا يتجرع مذاقه ، وينفى عن أهل هذه الصفة ولا يدخل فى جملتهم .

وما رأيت قط هذه الصفة أشد تغلبا منها على أبى عامر محمد بن عامر رحمه الله ، فلو وصف لى واصف بعض ما علمته منه لما صدقته . وأهل هذا الطبع أسرع الخلق محبة ، وأقلهم صبرا على المحبوب وعلى المكروه والصد ، وانقلابهم على الودّ على قدر تسرعهم اليه . فلا تشق بملول ولا تشغل به نفسك ، ولا تعنها بالرجاء فى وفائه . فان دفعت الى محبته ضرورة فعدّه ابن ساعته ، واستأنفه كل حين من أحيانه بحسب ما تراه من تلونه ، وقابله بما يشاكله . ولقد كان أبو عامر المحدث عنه يرى الجارية فلا يصبر عنها ، ويحيق به من الاغتمام والهمّ ما يكاد أن يأتى عليه حتى يملكها ، ولو حال دون ذلك شوك القتاد ، فاذا أيقن بتصيرها اليه عادت المحبة نفارا ، وذلك الأنس شرودا ، والقلق اليها قلقا منها ، ونزاعه نحوها نزاعا عنها ، فيبيعها بأوكس الأثمان . هذا كان دأبه حتى أتلف فيما ذكرنا من عشرات ألوف الدنانير عددا عظيما ، وكان رحمه الله مع هذا من أهل الأدب والحذق والذكاء والنبل والحلاوة والتوقّد مع الشرف العظيم والمنصب الفخم والجاه العريض ، وأما حسن وجهه وكمال صورته فشىء تقف الحدود عنه وتكل الأوهام عن وصف أقله ولا يتعاطى أحد وصفه . ولقد كانت الشوارع تخلو من السيارة ويتعمّدون الخطور على باب داره فى الشارع الآخذ من النهر الصغير على باب دارنا فى الجانب الشرقى بقرطبة الى الدرب المتصل بقصر الزاهرة ، وفى هذا الدرب كانت داره رحمه الله ملاصقة لنا ، لا لشىء الا للنظر منه . ولقد مات من محبّته جوار كن علّقن أوهامهن به ، ورثين له فخانهن ما أملنه منه ، فصرن رهائن البلى وقتلتهن الوحدة .

وأنا أعرف جارية منهن كانت تسمى عفراء ، عهدى بها لا تتستر بمحبته حيثما حلت ، ولا تجف دموعها ، وكانت قد تصيرت من داره الى أبى البركات الخيّال صاحب الفتيان . ولقد كان رحمه الله يخبرنى عن نفسه أنه يمل اسمه فضلا عن غير ذلك .

وأما اخوانه فانه تبدّل بهم فى عمره على قصره مرارا ، وكان لا يثبت على زىّ واحد كأبى براقش ، حينا يكون فى ملابس الملوك وحينا فى ملابس الفتّاك .

« الطوق » ص ٧٣ — ٧٤

ملحق (هـ)

مراث في ابن شهيد

(١)

لأبي الأصبغ القرشي

شهدنا غريباتِ المكارمِ والعُلا تُبكّي على قبرِ الشُّهيديِّ أحْمدا

وما زالَ أهْلُ الدِّين والفضْلِ والتُّقى عُكوفاً به حتى حسِبْناهُ مَسْجِدا

أُريدُ بسُقْيا الغيثِ إحْياءَ(١) حُفْرةٍ كدَرْنا بها (٢) نَجْمَ العُلاَ المتوقدَا

ولم أرَ مِثْلي باتَ مُستسقِيَ الحَيا لماءِ حَياءٍ كانَ يشفي من الصَّدا

فأيُّ جمالٍ صارَ في قبضةِ الثَّرى وأيُّ بهاءٍ قد طوتْهُ يدُ الرَّدى

وأيُّ قناةٍ في طَلَى الأرْضِ غُيِّبَتْ وأيُّ حُسامٍ في حَشا القَبْرِ أُغمِدا

بنَفْسِيَ الَّذِي أوْدَى وأَنْشأَ للنَّدَى حَماماً على دَوْحِ العَلاءِ مُغرِّدا

أَبا عامرٍ، بُعْدًا لسَهْمٍ مصيبةٍ رَماكَ به(٣) ريبُ المنونِ فأقْصَدا

لقد فُتَّ في نشرِ الفَضائِلِ يافِعًا وبرَّزْتَ في جمعِ المكارِمِ أمْرَدا

لَشقَّتْ علَيْكَ المكرماتُ جُيوبها وأظْهرَ فيكَ المَجْدَ خدًّا مُخدَّدا

[«الذخيرة» قسم ١ مجلد ١ ص ٢٨٨]

---

(١) ب، ت: «أحشاء». (٢) ب: «به». (٣) ق: «بها».

(٢)

لنفس المؤلف

نَـأَى مَن به كانَ السُّرُورُ مُوَاصِلِى[١] وأَسْلَمَ قَلْبِى للصَّبابة والفكرِ

. . . .

لَعَمْرُكَ ما يُجْدِى النَّعِيمُ إذا نأَتْ وُجُوهُهُم عنى ولا فُسحة العمرِ

[« النفح » ، ج ٥ ص ١٣١]

(٣)

لأبى حفص بن برد الأصغر

بفِيكَ التُّرْبُ مِن نـاعٍ نعانِى نَعَى غيـرى إلىّ وما عـــدانى

وكَيْفَ ولم يسِلْ طَرْفى بدمعٍ علَيْـه ، ولم يُجَنَّ لـه جنانى

لأيةِ خَصلة تبكيكَ عَـيْنِى وما لِى بالحِساب لهـا يَدانِ

أَلِلهِمَمِ المَنُوطَةِ بالثُّـرَيَّـا أم الشِّيَمِ المهـذَّبةِ الحسانِ ؟

أم الكرمِ الَّذِى ما زالَ يجْرِى مع الأنواءِ فى طَلَقِ الرِّهـانِ ؟

أم القَلَمِ الَّذِى قد كانَ[٢] يَجْنِى مِن القِرطاسِ نُـوَّارَ البَيـانِ ؟

أم الرأىِ الَّذِى ما زالَ يُغْـنِى عن السَّيْفِ المهنَّدِ والسِّنـانِ ؟

شَهِدْتُ لقد أُصيبَ بنُو شُهيْدٍ بقاطِعـةِ السَّواعِدِ والبَنـانِ

به درجُوا مِن الدُّنْيـا فبانُـوا وكُلٌّ ماخَـلا الرَّحْمَنَ فـانِ

[« الذخيرة » قسم ١ مجلد ١ ، ص ٢٨٨]

---

(١) هذا المصراع فى طق ا : « أيا من به كان السرور مواصلا » . (٢) ق : « كاد » .

المراجع

(١) المراجع العربيـــة :

ابن الأبــــار : الحلة السيراء ، (انظر دوزى : Notices ص ٣٠ — ٢٦٠ فى المراجع الإفرنجية) . وكذلك الطبعة الكاملة بتحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ ، جزءان .

ابن الأثـــير : الكامل فى التاريخ ، تحقيق الشيخ عبد الوهاب النجار . القاهرة ، ١٣٤٨ . الجزءان الخامس والسابع . الاختصار : الكامل .

* ابن بســـام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة .

القسم الأول ، القاهرة ، المجلد الأول ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) ، المجلد الثانى ١٣٦١هـ(١٩٤٢م)

القسم الثانى ، نسخة بدار الكتب المصرية ، رقم : أدب ٢٣٤٧ .

القسم الثالث ، نسخة بمكتبة غوتا ، رقم ٢١٣٦ .

القسم الرابـع ، القاهرة ، المجلد الأول ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) .

الاختصــــار : الذخيرة .

ابن بشــكوال : كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس ، تحقيق كوديرا . مجريط (مدريد) ، ١٨٨٢ — ١٨٨٣ . جزءان . الاختصار : الصلة .

ابن حــزم : جمهرة أنساب العرب (مجموعة : ذخائر العرب ، رقم ٢) ، تحقيق ليفى بروفنسال . القاهرة ، ١٣٦٨ هـ . (١٩٤٨ م) . الإختصار : الجمهرة .

* — : رسالة فى فضائل أهل الأندلس . انظر نفح الطيب ، الجزء الرابع ، ص ١٥١ — ١٧١ .

— : طوق الحمامة فى الألفة والألاف ، تحقيق حسن كامل الصيرفى . القاهرة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠ م) الاختصار : الطوق .

— : الفصل فى الملل والأهواء والنحل . القاهرة ١٣١٧ — ١٣٢١ فى خمسة أجزاء .

ابن حيــان : المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ، قطعة بتحقيق عبد الرحمن على الحجى ، بيروت ١٩٦٥

ابن الخطيب (لسان الدين) : الإحاطة فى أخبار غرناطة . القاهرة ١٣١٩ . جزءان . الاختصار : الإحاطة .

* — كتاب أعمال الأعلام (تاريخ أسبانيا الإسلامية) ، تحقيق ليفى بروفنسال . الرباط ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤م . الاختصار : الأعمال .

— : انظر دوزى (Catalogus ، ص ٢٢٤ — ٢٣١) فى المراجع الأفرنجية .

---

(١) جميع الكتب التى ذكر فيها ابن شهيد مشار اليها بنجمة .

ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر . بولاق ، ١٢٨٤ . الجزء الرابع . الاختصار : العبر .

* ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . القاهرة ، ١٣٤٧ هـ — ١٩٤٨ م . الجزآن الأول والثانى . الإختصار : الوفيات .

* ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق إبراهيم الإبيارى . القاهرة ، ١٩٥٤ . الاختصار : المطرب

ابن زيدون : ديوان ، تحقيق على عبد العظيم . القاهرة ، ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م .

* ابن سعيد : كتاب رايات المبرزين وغايات المميزين ، تحقيق غرسية غومس . مدريد ، ١٩٤٢ . الاختصار : الرايات .

* — : المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق شوقى ضيف . القاهرة ، ١٩٥٣ . جزآن . الاختصار : المغرب .

ابن شاكر : فوات الوفيات ، تحقيق محمد عبد الحميد . القاهرة ، ١٩٥١ . الجزء الأول . الإختصار : الفوات

* — : عيون التواريخ ، نسخة بدار الكتب المصرية ، رقم : تاريخ ١٤٩٧ . الجزء الحادى عشر ، الورقة ٣٥٣ — ٣٦٣ . الاختصار : العيون .

* ابن شهيد : رسالة التوابع والزوابع ، تحقيق بطرس البستانى . بيروت ، ١٩٥١ .

* ابن ظافر : كتاب بدائع البدائه ، بولاق ، ١٢٧٨ . الاختصار : البدائع .

ابن عبدون : Traité de Hisba ، تحقيق ليفى بروفنسال فى Journal Asiatique إبريل — يونيو (١٩٣٤) ، ص ١٧٧ — ٢٩٩ .

* ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار المغرب .

الجزء الثانى ، تحقيق دوزى ، ليدن ، ١٨٤٩ — ١٨٥١ .

الجزء الثالث : تحقيق ليفى بروفنسال . باريس ، ١٩٣٠ . الاختصار : البيان .

* ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . القاهرة ، ١٣٥٠ . الجزء الثالث .

* ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، نسخة مصورة بدار الكتب المصرية (رقم : ٢٥٦٨ تاريخ) من الأصل المحفوظ فى القسطنطينية . الجزء الحادى عشر ، الورقة ٢٠٦ — ٢١٤ . الاختصار : المسالك .

ابن المعتز : ديوان ، تحقيق محيى الدين الخياط ، بيروت ، ١٣٣٢ .

أبو العلاء المعرى : رسالة الغفران (مجموعة : ذخائر العرب ، ٤) ، تحقيق بنت الشاطىء . القاهرة ، ١٩٥٠ : سقط الزند — بيروت ، ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م .

أبو نواس : ديوان ، تحقيق أحمد الغزالى . القاهرة ، ١٩٥٣ .

أبو الوليد الحميرى : البديع فى وصف الربيع ، تحقيق بيريس . الرباط . ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠ م ، الاختصار : البديع .
أحمد ضيف : بلاغة العرب فى الأندلس . القاهرة ، ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٤ م .
أحمد هيكـل : الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة . القاهرة ، ١٩٥٨ . الاختصار : الأدب الأندلسى .
امرؤ القيس : ديوان (مجموعة : ذخائر العرب ، ٢٤) ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ، ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م .
* بطرس البستانى : أدباء العرب فى الأندلس وعصر الانبعاث ، بيروت ، ١٩٤٧ . انظر أيضاً ابن شهيد .
* الثعـالبى : يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، تحقيق على عبد اللطيف . القاهرة ، ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٤ م . الجزء الثانى . الإختصار : اليتيمة .
* الحميـدى : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى . القاهرة ، ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م . الإختصار : الجذوة .
* زكى مبارك : النثر الفنى فى القرن الرابع . القاهرة ، ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٤ م . جزآن ، الاختصار : النثر الفنى .
* الشقنـدى : رسالة فى فضل الأندلس . انظر نفح الطيب ، الجزء الرابع ، ص ١٧٧ ـ ٢٠٨ .
* شوقى ضيف : المقامة (مجموعة : فنون الأدب العربى ، الفن القصصى ، ١) القاهرة ، ١٩٥٤ .
* الضبى : كتاب بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس .
نسخة بمكتبة الأسكوريال ، رقم : ١٦٧٦ .
تحقيق كوديرا . مجريط (مدريد) ، ١٨٨٤ .
الاختصار : البغيـة .
* طه الحاجرى : ابن حزم ، صورة أندلسية . القاهرة ، بدون تاريخ .
* عمادالدين الأصبهانى : خريدة القصر وجريدة أهل العصر ، نسخة بالمكتبة الأهلية فى باريس ، رقم : عربى ٣٣٣ . الجزء الثانى عشر ، الورقة ٢٠١ ـ ٢٠٣ ، الاختصار : الخريدة .
عياض بن موسى : ترتيب المدارك ، نسخة بدار الكتب المصرية برقم : تاريخ ٢٢٩٣ . الجزء الأول .
* الفتح بن خاقان : كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس ، قسطنطينية ، ١٣٠٢ . الاختصار : المطمح .
* ــ : قلائد العقيان . بولاق ، ١٢٨٣ . الاختصار : القلائد .
كلام الله : القرآن الكريم ، مصحف الملك ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) .
المتنبى : ديوان ، تحقيق عبد الوهاب عزام . القاهرة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) .
* المراكشى (عبد الواحد) : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد العريان ومحمد العربى العلمى . القاهرة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) .

* المقــرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . تحقيق دوزى، ١٨٥٥ – ١٨٦١ . الاختصار : Analectes الطبعة القاهرية الأولى ، ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤م) . ٤ أجزاء .

الطبعة القاهرية الثانية ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، ١٣٦٧ هـ (١٩٤٩ م) ١٠ أجزاء .

الاختصار : النفح .

* ياقوت الرومى : معجم الأدباء ، تحقيق مارجوليث . القاهرة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) . الجزءان الثالث والثانى عشر .

— : كتاب معجم البلدان ، تحقيق فستنفلد . ليبزج . الجزءان الثانى (١٨٦٧) والثالث (١٨٦٨) .

(٢) المراجع الأفرنجية :

Anonymous : *Chronicon Burgense* (Collection : *España Sagrada,* Vol. XXIII of 51 vols. edited by Enrique Flórez, Risco, etc., Madrid, 1747-1879).

Asin Palacios (M.) : *Abenhhazam de Córdoba y su Historia de las ideas religiosas,* Madrid, vol. I (1927).

______ : *La escatología musulmana en la Divina Comedia,* Madrid, 1919. Abbreviated to *La escatología musulmana.*

Brockelmann (C.) : *Geschichte der Arabischen Literatur, Supplementband,* Leiden, vol. I, (1937).

______: *History of the Islamic Peoples,* London, 1949.

Condé (J.A.) : *History of the Dominion of the Arabs in Spain,* translated by Mrs. J. Foster, London, 1845, vol. II.

Dozy (R.) : *Catalogus codicum orientalium bibliothecae Academiae Lugduno Batavae,* Leiden, vol. I (1851). Abbreviated to *Catalogus.*

______ : *Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides* (711-1110), new edition revised by Lévi-Provençal, vols. II, III. Abbreviated to *Histoire des Musulmans.*

______: *Historia Abbadidarum Praemissis scriptorum arabum de ea dynastia locis nunc primum editis,* Leiden, vol. II (1852), vol. III (1863). Abbreviated to *Historia Abbadidarum.*

García Gómez (E.) : *El collar de la paloma* (translation of *Tauq al-hamama),* Madrid, 1952.

______: *Poemas arábigoandaluces,* 3rd edition, Buenos Aires, 1944.

______ : *Poesía arábigoandaluza, breve síntesis historica,* Madrid, 1952. Abbreviated to *Poesía arábigoandaluza.*

______: « Poetas musulmanes cordobeses » in *Boletín de la real Academia de ciencias, bellas letras y nobles artes de Córdoba,* XXV (1929), pp. 145-176.

Gomez [illegible] : Ars Hispaniae, historia universal del arte hispánico, vol. III (el arte árabe español hasta los almohades, arte mozárabe), Madrid, 1951. Abbreviated to Ars Hispaniae.

González Palencia (A.) : *Historia de la literatura arábigo-española*, revised edition, Barcelona, 1945.

Lévi-Provençal (E.) : *Histoire de l'Espagne musulmane*, revised edition, vol. II, Paris-Leiden, 1950 ; vol. III, Paris, 1953.

——— : *Inscriptions Arabes d'Espagne*, Leiden-Paris, 1931, vol. I.

——— : *L'Espagne musulmane au Xe siècle. Institutions et vie sociale*, Paris, 1932. Abbreviated to *L'Espagne musulmane.*

——— : « Observations sur le tome III du *Bayan* d'Ibn 'Idari in *Mélanges Gaudefroy-Demombynes*, 248-9.

Nykl (A.R.) : *Cancionero de Aben Guzmán*, Madrid-Granada, 1933.

——— : *Hispano-Arabic Poetry and its Relations with the Old Provençal Troubadours*, Baltimore, 1946. Abbreviated to *Hispano-Arabic Poetry.*

Ocaña Jiménez (M.) : « Las puertas de la medina de Córdoba » in *Al-Andalus*, III (1935), 143-151.

Pellat (C.) : « Ibn Hazm, bibliographe et apologiste de l'Espagne musulmane » in Al-Andalus, XIX (1954), 53-102.

Pérès (H.) : *La poésie andalouse en Arabe classique au XIe siècle, ses aspects généraux, ses principaux thèmes et sa valeur documentaire*, revised edition, Paris, 1953. Abbreviated to *La poésie andalouse.*

Simonet (F.J.) : *Historia de los Mozárabes de España deducida de los mexores y más auténticos testimonios de los escritores cristianos y árabes* (Collection : Memorias de la Real Academia de la Historia vol. XIII), Madrid, 1897-1903. Abbreviated to Historia de [illegible] Mozárabes.

Terés (E.) : « Algunos aspectos de la emulación poética en Al-Andalus » in *Homenaje a Millás-Vallicrosa*, Barcelona, 1956, vol. II, pp. 445-467.

الفهـــرس

التصـــدير ... ... (٣)

المقـــدمة ... ... (٥)

(١) حياة ابن شهيد (٣٨٣ – ٣٩٩ هـ / ٩٩٢ – ١٠٠٨ م) ... ... (١٧)

(٢) حياة ابن شهيد (٣٩٩ – ٤٠٧ هـ / ١٠٠٨ – ١٠١٦ م) ... ... (١٨)

(٣) حياة ابن شهيد (٤٠٧ – ٤١٣ هـ / ١٠١٦ – ١٠٢٣ م) ... ... (٢٨)

(٤) حياة ابن شهيد (٤١٣ – ٤٢٥ هـ / ١٠٢٥ – ١٠٣٤ م) ... ... (٥١)

(٥) حياة ابن شهيد (٤٢٥ – ٤٢٦ هـ / ١٠٣٤ – ١٠٣٥ م) ... ... (٦٦)

(٦) آراء ابن شهيد ... ... (٧٤)

(٧) المصـــادر ... ... (٧٩)

الديـــوان ... ... (١٧٥)

بيان رموز الأصول ... ... (١٧٧)

فهرس الديوان ... ... (١٨١)

حواشي القصائد ... ... (١٩٧)

الملاحـــق ... ... (٢٠٢)

المراجـــع ... ...